صفحات من مآثر وجهاد

الإمام محمّد بن عمر بوحميدة

رمز الوحدة والإصلاح والنّضال والتّحدّي

تأليف .جمال الدين بوحميدة
تقديم.د.محمد مصطفى زرباني

طبعة 2023

بسم الله الرحمن الرحيم
٢٥
ابراهيم

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ
وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

رمز الوحدة والإصلاح
والنّضال والتّحدي

آخر صورة للمناضل محمد بن عمر بوحميدة سنة 1964

بمناسبة الذكرى 58 لوفاته

شهيد الواجب 1965/2023

من أقوال عظماء التاريخ

-"إنّ حفظ التاريخ هوالشرط الأوّل لحفظ الأمم ونموّها ورقيّ الأقوام وسموّها، وإنّه لا يتصوّرعلى وجه الكرة وجودأمّة تشعر بذاتها وتعرف نفسها قائمة بنفسهاإلاّإذاكانت حافظة لتاريخها وواعية لماضيها ،متذكّرة لأولويّاتها مقيّدة لوقائعها، مسلسلة لأنسابها،خازنة لآدابها ،ممّا لا يقوم به إلاّعلم التاريخ الذي هو الوصل بين الماضي والحاضروالمستقبل والرابط بين الآن والمستأنف ".

شكيب أرسلان

-"**لا** جامعة لقوم لا لسان لهم ،ولا لسان لقوم لا آداب لهم، ولا عزّة لقوم لا تاريخ لهم. "

جمال الدين الأفغاني

- يجب على الإبن أن يدرس رغائب أبيه في حياته وبعد وفاته ،عليه أن يدرس تاريخ حياته درسا حقيقيّا ولا يذكره إلاّ باحترام.

جان جاك روسو

-عندما تطالع سيرة ما تذكّرأنّ الحقيقة دوما غيرقابلة للنشر.

جورج برنا رد شو

الإهـــــداء

أصالة عن نفسي ونيّابةعن أسرة الإمام المجاهد محمّد بن عمربوحميدة.

أهـدي هــذه الصـفحات التـي تتضـمّن بعـض مـآثره وجهـاده إلـى أرواح شـهداء الـوطن الّـذين قضـوا فـي سـاحات الفداء،لالشـئ مـن متـاع الـدنيا إلاّ مـن أجـل الـدّين والـوطن وصـون القـيم وإقامـة دولـة العـدل ومـن أجـل أن يعـيش الشّـعب الجزائـري معـزّزا مكرّمـاعلى ضـوء مـا نـصّ عليـه بيـان أوّل نـوفمبر1954،أولئـك الّـذين لـم يبخلـوا علينـا بـأرواحهم الطّـاهرة ودمـائهم الزكيّة،الـذين حـقّ فـيهم قولـه تعـالى :**"ولا تحسـبنّ الـذين قتلـوا فـي سـبيل الله أمواتـا بـل أحياء عند ربّهم يرزقون** "الآية 169 آل عمران .

وإلى أرواح علماءالجزائرالعزيزةعلينا الذين قاوموا الاستعمار الصليبي وأهل البدع المنكرة بألسـنتهم وأقلاهم من أمثال: الشـيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضـة الجزائرية،والشـيخ محمد البشـيرالإبراهيمي وأذكرمن نظرائهم –"وفوق كلّ ذي علم عليم"- من لاحظّ لهم للأسـف في صـفحـات كتـب التـاريخ محلّيـا ألاوهم كـلّ من الشـيخ محمدالأخضـرفيلالي،والشـيخ محمد بن عمربوحميدة،والإمام الفقيه المالكي سـي زيّان بن إسماعيل بوحميدة جدّ محمد بن عمرمن جهة الأمّ وابنه الشيخ الفقيه إسماعيل معلّم القرآن سابقا في كتّاب مسجد خالد بن الوليدوكلاهما معلّم له ابتداء وتباعا.

وإلى روح والدتي الرؤوم ذات القلب المخموم ،وساعد والدي الأيمن وأمينة سرّه قبل وأثناء الثورة إلى أن لقي ربّه شهيد الواجب .

ولله درّقول الشاعرالحكيم :

أبانا سوف نذكر فيك دومـا عظيما عاش يلتمس المعالي
وصرحا شامخا للعلم حصنا وبدرا في سماء المجد عالي
رجال فيهم جلـد وعـــزم وفيهم بعد ذا كرم والخصال

شكروتقديروعرفان

لا يسعني بادئ ذي بدء إلاّ أن أعرب عن خالص شكري وتقديري وامتناني وبالغ عرفاني إلى كلّ من شجّعني على كتابة هذه المذكّرة سواءً كان من محبّي الإمام محمد بن عمر بوحميدة الذين عاصروه ولا يزالون يشيدون بأعماله ويترحّمون عليه وأخصّ بالذكر المناضلين والمجاهدين الّذين لازموه فترات من حياته أثناء النّضال،معتبرينه أحد رموزالوحدة والإصلاح والنّضال والتّحدّي حيث ،لا تزال ذاكراتهم تذّخر له ما رأوا فيه من خصال ومواقف بطولية تحدّى بها الاستعماروعملاءه من على المنبرأثناء الحركة الوطنية ،والتي مافتئوايروُونهالجيل الإستقلال ويتذاكرُونها في ما بينهم في عدّة مناسبات منها دوره الإصلاحي والوحدوي والُثقافي،ومواجهته حملة التنصيروالتصدّي لظاهرة انتشارالبدع بالحكمة والموعظة الحسنة وإخلاصه في جهاده أثناء ثورة التحريروما لاقاه من معاناة السجن والعذاب والنفي،وحيث أنّهم لا يزالون على العهد، يشيدون بخصال هذا الرّجل الفذّ الّذي نال إعجاب وثقة الجميع، أوأولئك الذين سمعوا عنه وأرادوا أن يعرفوا المزيد وهم جيل الإستقلال،إذ من هؤلاء من جمعتني بهم مناسبات كانت دافعا قويّا لي في رفع معنوياتي للشروع في كتابة هذه المذكّرة.

كما لا يفوتني إلاّ أن أشيد بالسّادة المؤلّفين الذين تناولوا بعض الجوانب من شخصية الإمام محمّد بن عمرفي كتاباتهم لتبليغ رسالة المجاهدين والشّهداء إلى الأجيال المتعاقبة، ما أفادني بعض المعلومات النادرة والتعقيب على المغالطات الواردة في مؤلّفات آخرين.وهذا ما ساعدني على المضيّ قدماً في تأليف هذه الصفحات على ضوء ما جاء ذكره في مؤلّفات النزهاء.

مـــن هـــؤلاءوهم الســـادة : أ/المجاهدمحمـــدجبريط [1]) والمجاهدأحمـــد مهايـــة (لعمـــى) [2]) ود. محمـــد عبـــد الحلـــيم بيشـــي [3]) وأ. مصـــطفى رمضـــان[4]) وأ. حمّـــاني أحمـــد التّجـــاتي بـــن المـــزوزي5) ود.محمّـــد مصـــطفى زربـــاني6) وأ. بومـــدين بـــوداود وأ.كعبـــوش بـــن حـــرزالله 7) وأ.الشـــيخ الأخضـــرالدّهمة [8]) وأ.المـــؤرّخ محمّـــد علـــي دبّـــوز9) والمـــؤرّخ عبـــد الحميـــد مســـعود بـــن ولـــه10) والقيّـــادي المجاهـــد محمـــد جغابة11) وأ. حمّومحمد عيسى النوري12) .

كما لا يفوتني إلاّ أن أسجّل بحروف من ذهب أسماء من ألحّواعليّ بضرورة تأليف مذكّرة لإبرازشخصيّة والدي الإمام المناضل والمجاهد محمّد بن عمر وهم كلّ من: د. محمّد بن دارة من جامعة أدرارود.محمد مصطفى زرباني من جامعة غارداية و د. أحمد أولاد سعيد من جامعة غارداية.

المراجع:

[1]) صاحب كتاب: "على مدارج النّضال والثّورة"
[2]) صاحب كتاب"ذكريات من النّضال والمقاومة " من تأليف: أ. د/ سويلم مختار.
[3]) صاحب كتاب: " تطوّر الثّورة الجزائرية في ناحية غرداية "
[4]) صاحب كتاب: "إبراهيم رمضان رجل العلم والنّضال"
[5])صاحب كتاب: "ومضات من تاريخ القرارة "
[6])صاحب كتاب:" ذكريات من أيام الثورة (مذكّرة المجاهد عمران زرباني بن بوبكر).
[7]) صاحب كتيب :" مذكرة الشيخ المجاهد سليمان غزال"
[8])صاحب كتاب: "نبذة مختصرة من حياة الشيخ الأخضرالدهمة الجزائري"
9) صاحب كتاب "أعلام الإصلاح في الجزائر"
10) صاحب كتاب: "الحركة الوطنية والثّورة التّحريرية بناحية غارداية إداريّا وتنظيميّا "(معقّب عليه)
11) صاحب كتاب "حوار مع الذات و مع الغير"(معقّب عليه)
12) صاحب كتاب "نبذة من حياة الميزابيين الدينية و السياسية و العلمية من 1505مالى سنة 1962م "(معقب عليه)

تقـــديم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيّدي وقائدي محمّد رسول الله وخاتم النبيين.

والحمد لله على مجموع نعمه التي لا تعدّ ولا يحصيها إلاّ هو،ومنها :نعمة التأمّل والتفكيروالقدرة على الكتابة والتأليف.فلولا ذلك،لما وصلت إلينا أخبارالغابرين،التي مرّت عليهم آلاف السنين، فكانت تجارب السابقين ومواقف الأبطال وتضحيات الشهداءالأبراروالمجاهدين الخيّرين، ذكرى وعبرة وفوائد لكلّ الأجيال.وهي دون شكّ ستبقى خالدة في صفحات التاريخ،لتنيرالطريق للشرفاءوالأحرارعبرسائرالسنين.

وبناء على هذا،طلب مني الأستاذ جمال الدين بوحميدة الاطّلاع على مذكّرات كان قد كتبها عن سيرة حياة وكفاح ونضال والده الإمام محمّد بن عمربوحميدة (رحمه الله). فسررت بذلك كثيرا واعتبرته شرفا لي أن أساهم في إثراء الكتاب وإبداء الرأي حوله، وإيصاله إلى الطبع ، وذلك لعدّة أسباب ،منها :

-أنّ الشخصية المستهدفة في الموضوع هي شخصية الإمام الشهيد محمّد بن عمر بوحميدة،تستحقّ أن تخلّد مسيرتها النضالية في كتاب خاص يكون في متناول المختصّين والباحثين والطلبة وهواة التاريخ في كلّ أنحاء الوطن .

-أنّ المذكّرات تتعلّق بشخصية تاريخية محورية استطاعت في ظرف وجيز أن تقدّم الكثير من التضحيات سواء تعلّق الأمر بالجنوب الجزائري أو بالشمال.

-أنّ موضوع المذكّرات له ارتباط قويّ بحفظ الذاكرة الوطنية و المحلّية
-أنّ الأجيال الصاعدة تجهل الكثيرعن الشخصيات المحلّية الفاعلة أثناء النضال السياسي لما قبل الثورة وأثنائها .

ومنذ ذلك الوقت حاولت أن يتمّ الكتاب شكلا ومضمونا وفق القواعد العلمية الرصينة ،وبعد إذن المؤلّف عرضت المذكّرات على الأستاذ الدكتور أحمد أولاد سعيد جزاه الله كلّ الخي، فقدّم ملاحظات في غاية الأهمية، وقمت بجمع كلّ الملاحظات وقدّمتها للمؤلّف على أمل أن يتقيّد بها قبل النشر.فحاولت جاهداالإلتزام بها قدرالمستطاع ،لإنّه في نظري الوقت غير كاف لاستيعاب كلّ الملاحظات،ومن المفيد أن يعجّل بالطبع ويترك التنقيح والإثراء لطبعة ثانية .

وبعد أن صارالكتاب جاهزا للطبع ،طلب مني المؤلّف "حفظه الله" كتابة تقديم له ،لكن من جهتي طلبت إعفائ بهدف مشـــاركة غيري في تقديم الكتاب،فوافق.لكن بعداتصالات مع بعض الأساتذة وجدنا أنّ المسألة قد تطول نظرا لانشـــغالات الكلّ،وربحا للوقت اتفقنا أن يكون هذا التقديم الذي نحن بصدده ، فأسعدني ذلك مرة أخرى،لكون صفحات هذا الكتاب قد تضمّنت من وحي أفكاري.ولأنّه إنتاج،أماط اللثام وكشف النقاب عن مســيرة رجل فاضـــل وشـــهم وغيورعلى دينه أولا:بمواجهته للتنصـــيرمحليّا،وجرأته عند تحويله كنيســة"براقي"إلى مســجد بمجرّد الإعلان عن الإستقلال ،ثم مشفقا وحريصا على سلامة أبناء وطنه في الجنوب وفي الشمال ،والتي عبّرعنها في رسالته التريخية التي بعث بها إلى أبناء الصـــحراء يحثّهم فيها على الوقوف إلى جانب إخوانهم في الشـــمال عندما تعرّضـــوا للجرائم التي اقترفتها منظّمة الجيش الســرّي الفرنســي الإرهابية.فشكّلت رسالته التاريخية حلقة وصل بين نضاله الوطني والثوري في الجنوب ونضاله في الشمال الجزائري. إنّ القارئ الكريم سيجد في هذا الكتاب إضـــافة جديدة تتمثّل في مسيرة نضـــالية وثورية حافلة بالأحداث والمواقف النّاصـــعة للإمام محمّد بن عمر

"رحمه الله"،حمل من خلالها على عاتقه مواجة الاحتلال البغيض فبذل الغالي والنفيس،وضحى بصدق وإخلاص،ووفّى بماعاهد الله عليه بعد أن عاد الحقّ لأصحابه.ولم تنقطع مسيرته النضالية والثورية واعتبرذلك جهادا أصغر،بل كان على استعداد مرّة أخرى للجهادالأكبرفعمل بعد الإستقلال كناظر للشؤون الإسلامية والإوقاف و واجبه أن يدعو الشعب الجزائري إلى التمسّك بدينه الإسلامي الحنيف وأن يتعلّم لغته العربية الأصيلة،وأن يقتدي بأمجاد وبطولات أمّته العربية والإسلامية ،وأبى إلاّ أن يجسّد ذلك ميدانيّا رغم التحدّيات والصعوبات.ويكفيه شرفا وفخرا أنّه توفّي في حادث مرور ،أثناء تأدية واجب دينيّ وطنيّ إسلامي عندما كان ضمن وفد وزاري للقيّام بتدشين مسجد وتفتيش الأوقاف وواجب وطني باعتبارأنّ المهمّة كانت رسمية.

فالكتاب يقدّم للأجيال قصّة جهاد شاق ضد الاحتلال الغاشم ، ويكشف بعض الحقائق التاريخية المرتبطة بإنشاءالخلايا الثورية في المنطقة والتي كان الإمام محمّد بن عمرمن مؤسّسيها ،إلى جانب مناضلين آخرين لهم فضل كبير.

وحتّى لا أضع نفسي بديلا عن المؤلّف ، فإنّ القارئ الكريم سيكتشف في هذاالكتاب الكثيرمن الوقائع والحقائق التاريخية محلّيّاووطنيّا .فالكتاب جدير بالقراءة والتمعّن لمعرفة الحقيقة من السراب،خاصّة وأنّ مؤلّفه الأستاذجمال الدين بوحميدة،من الرجال الشرفاء القلائل الذين عرفناهم في ميدان الحقّ،بنبل أخلاقه وحيوته النادرة في سنّ الكباروشخصيته الفذّة والمؤثّرة ومن المحافظين على المبادئ والقيم والثوابت الوطنية وانضباطه الشديد في المواعيد والأوقات وصرامته في العمل والنشاط كيف لا وهو سليل أسرة نبيلة من أبناء آل بوحميدة ،المعروفة بالأخلاق والأصالة والمحافظة على القيم الإسلامية و توارث العلم أبا عن جدّ،كذلك مؤلّف الكتاب يعتبر من الجيل الذي عاصر والده

"رحمه الله"وكان مرافقا له في منفا ه وشـــاهدا على مســيرته ،وظلّ إلى جانبه في أحلك الظروف. ولهذا فهو شاهد على عصروالده بامتياز.

كما أنّ المؤلّف يحظى بثقافة مزدوجة وخبرة طويلة مع تجارب الحياة ولهذا فشهادته وبصماته في هذا التأ ليف تبرزمن خلال سرد للأحداث

والوقائع التاريخية كأنّها قريبة منه ،وهو بالفعل قد شهد وعايش جزءا منها مع والده "رحمه الله"

ولهذ فإنّ الكتاب الذي بين أيدينا، له أهمّية تارية واعتبار كبيرلأنّه من جهة يعتبر وثيقة تاريخية من مصـــدرها ســـتفيد الباحثين في التاريخ والهواة والمتشوّقين لقراءة التاريخ والغوص في أعماقه .

من جهة أخرى هو كتاب جاء لإحياء القلوب وإيقاظ الهمم ،والدعوة إلى التمسّـك بالقيم والمبادئ والأخلاق التي عاشـها وناضـل من أجلها الإمام محمّد بن عمرمع جيله وفي عصره الذي بعتبر بحقّ جيلا ذهبيّا استطاع أن يحقّق المعجزات،بالرغم من قلّة الوسائل وغطرسة المحتلّ .

كما يعتبرثمرة جهد مضـــن وعمل فكري جادّ قام به المؤلّف وأراد من خلاله إيصـــال رســـالة للأجيال بإبرازمآثروالده "رحمه الله"وتوثيق مسيرته النضـالية في صـفوف حزب الشعب الجزائري وحركة انتصـار الحرّيات والديمقراطية وجمعية العلماء المســلمين الجزائريين،ومواجته للمخطّطات التنصـــيرية ثمّ مشـــاركته في الثورة التحريرية المباركة .ونشـــاطـهـا الإســـلامـي والـخـيـري أثـنـاء الاســـتـقـلال . بهذه الكلمات أقدّم ..كتاب: **صـــفحات من مآثر وجهاد الإمام محمّد بن عمربوحميدة -رمزالوحدة والإصلاح والنضال والتحدّي -.**

والله وليّ التوفيق وهو المستعان في كلّ شيء

ضاية بن ضحوة يوم 25ربيع الثاني1443هـ الموافق 30نوفبر2021 م

د/ محمّد مصطفى زرباني

مقدّمة الطبعة الأولى

من المجاهدين الصـــادقين والمناضـــلين الشّـــرفاء،العلماء الّذين أبلوا بلاءحســـنا طيلة نيّف وســـبع ســـنين دأبا في مواجهة العدوّالصـــليبي الغاصـب، الّذي أمعن في ظلم العباد واسـتعبادهم وإذلالهم ونهب ثروات وطنهم ناهيكم عن محاولة اسـتئصـــال هويّتهم واسـتبدال عقيدة التّوحيد بعقيدة التثليث ودمجهم في ثقافة التغريب والقضـاء على لغة الضّـاد سعيا منه في جعل الجزائرقطعة من فرنسا أبدا وشعبها مواطنين فرنسيين.

ومن أجل تحقيق حلمه ســـخّرلذلك كلّ الوســـائل المتاحة بعد أن حشـــد ترسانته العسكرية بما في ذلك القوّات الرديفة من فيالق الحلف الأطلسي وقوات المسـاندة من الخونة"كالحركة "الذين حلا للنظام الفرنسـي الحالي تكريم هؤلاء بجعل تاريخ25 ســـبتمبر"يوم الحركي" وذلك باعتبارهم محاربين أوفياء من أجل فرنسا.

أضـف إلى هؤلاء المسـاندين من جيش بلّونيس والجواسيس العملاءالّذين باعوا ضـــمائرهم بثمن بخس دراهم معدودة. فتصـــدّى لهذه المحاولات العلمـاء والمجـاهـدون وكـلّ الشّـــعـب الجزائري على اختلاف فئـاتهم ومشـــاربهم إلاّ حلفاء الإســتعمارمن بني جلدتهم ومن ســارعلى دربهم، فمن أجـل قمعهم فتح الســـجون والمعتقلات وتفنّن في تعـذيـب وقمع المناضـــلين من أمثال المناضـــل والمجاهد الإمام محمد بن عمربوحميدة الّذي نال من العذاب مالايطاق ثمّ نفيه بإيعازمن مناوئيه الخونة التقليديين الّذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضـاء،لكن هذا لم يثنه عن مواصلة النّضـــال والجهاد،وهذا شـأن وموقف كلّ المخلصـين الذين يصـدق فيهم قوله عزّوجلّ:۞**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضـــى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا**۞ الأحزاب/ الآية 23 .

فلم ييـأســـواولم تخَّرقواهم ولم تلن عزيمـة هؤلاء في مواجهـة العدوّالمعزّزبالكنيسـة من الرّهبان والرّاهبات تلاميذ [كاردينال شـارل لا فيجري] حتّى جاء النّصرالمبين.

وســـيأتي ذكر تحدّيه-رحمه الله- للإدارة الاســـتعمارية من على المنبر أثناء الحركة الوطنية باعتباره مناضـــلا ناشـــطا في" حركة انتصـــار الحريات والديمقراطية " والتفاف المجتمع المالكي حوله ويتمثّل ذلك في المظاهرة الشّـــعبية العارمة من أجل فكّ حجزه ســـنة 1952في الملحق العســـكري -غارداية-، كما ســـأتعرّض بإســـهاب إلى عمله المســـجدي و دوره الإصـــلاحي والدعوي والتربوي و مواجته محاولة التنصيروكيفية تعامله معها معلّلا ذلك بأمثلة ولابدّ إذاً من سرد بعض مواقفه ومساهماته في الحركـة الوطنيـة ثمّ انضـــوائـه تحت قيّـادة جبهـة التحريرالوطني وتشـكيله خلايا سـرّيّة في الجنوب بمعيّة رفاقه المناضـلين الأوفياء على الرغم من أنوف المشكّكين،والمرجفين من أصـحاب البضـاعة الكاسـدة، الذين غمطوا حقّ الرّجل وتنكّروا لنضاله .

إذ أنّي ســـأعقّـب على هؤلاء بـالأدلّـة القطعيـةالفـاضـــحـة لأكـاذيبهم وافتراءاتهم،الداحضـة لمزاعمهم وسـأفحم كلّ من سـوّلت له نفسـه محاولة النّيل من كرامة المجاهدين المخلصـين من أمثاله مسـتنداعلى تلك المراجع السـالفة الذكروسـأسـلّط الضـوءعلى ظروف اعتقاله على خلفية الإضـراب العام سـنة 1957. وما لاقاه من العذاب حسب شهود عيان وسأميط الستارعن مؤامرة نفيه التي أشـرت إليها سـلفا .و سـأتعرّض إلى ظروف إقامته في المنفى ومواصـلته النّضـال في الولاية الرّابعة وتحمّله المسؤولية قبل الإستقلال في مواجهة الأقدام السّوداء وبعده مباشرة تكليفه بمسؤولية تنظيم الأمورخلال الفترة الإنتقالية ومنها تعيينه قاضـيّاً شـرعيّاً لرعاية شـؤون الأسـرة والمجتمع مؤقّتا ثمّ تقلّده مسـؤولية أمانة تنسـيقية الحزب في مدينة برّاقي بعد الإسـتقلال مباشـرة وتحويله كنيسـتها إلى مسجد ثمّ تولّيه مسؤولية مفتّش جهويّ للشّؤون الدّينية والأوقاف في البليدة كآخر مرحلة من حياته وسأتعرّض إلى سبب وفاته ومجريات جنازته .

أخي القارئ،أختي القارئة: كلّ ما ســـيأتي ذكره عن مآثروجهاد الإمام المناضـــل والمجاهد محمد بن عمر بوحميدة في ما يلي إنّما هي حقائق حدثت في سيّاق فترة زمنية تاريخية معيّنة تعكس بعضـا من شـخصـيته

التّي حاولت إبرازها باعتباري ابنه الأكبرالذي واكب حياته منذ نعومة أظافره وكان متعلّقا بتلابيبه لذا آثرت أن يكون عنوان هذه ا لمذكّرة:
"صفحات من مآثر وجهاد الإمام محمد بن عمر بوحميدة"- رمزالوحدة والإصلاح والنّضال والتّحدّي- أملا في أن تقرأها الأجيال الّتي ستترى ليعلموا أنّ السّلف قد تحدّوا أعتى قوّة استعمارية، صليبيّة في العالم وهزموها بإذن الله بعد أن أعدّولها ما استطاعوا من قوّة تمثّلت في أبسط الوسائل مع الفارق في السّلاح والجند والعتاد. وليعلم الكلّ أنّ هذه المذكّرة تحتوي على أحد عشرفصلا،حيث أنّ كلّ فصل سيتناول جانبا من حياته إلى أن لقي ربه شهيد الواجب وذلك بالتفاصيل وبكلّ موضوعية وأمانة وصدق.

الحاج عمربوحميدة والد الامام محمد وحفيده جمال الدين بوحميدة في البليدة سنة 1966

مقدّمة الطبعة الثانية

إذا كان لا بدّ من تأريخ مآثررموزأعلام الإصلاح والجهاد فذلك من أجل تذكيرالخلف بها والإشادة بأمجاد سلفهم لعلّهم يقتدون بهم،إذلايكاد كاتب متواضع من أمثالي ينتهي من فصول حتّى تتبادرإلى ذهنه أخرى لما لأولئك الأفذاذ من مساهمات حافلة بالتضحيات الجسام في ظلّ ظروف معيشيّةعصيبة،عصيّة ناهيك عن القوانين التعسّفية التي فرضها االمحتلّ.فمهماعظمت وتفاقمت تلك الأحوال المزرية التي كابدوها وهي من مآلات وتداعيات أتون حرب ضروس غيرمتكافئة خلال سنين عديدة تمكّنوامن إحباط محاولات الإستدمارالصليبي الهادفة إلى تنصيرالجزائريين بالتواطؤمع سدنة الكنيسة وساستهاوذلك ديدنهم إذ سعوا إلى تنفيذه بأساليب ممنهجة ووسائل بيداغوجية مع تسخيرالمال،فوقف لهم أولئك الرموزبالمرصاد،فحاربوا الجهل وذادواعن العروبة والهويّة الوطنية رفضاً لسيّاسة الإندماج والفرنسة وصانوا الشريعة السمحة باعتبارالكلّ وعاء قيّم الأمّة الجزائرية المسلمة وصمّام أمان ثوابتها وعزّتها وكرامتها وقد أبلوا في ذلك البلاء الحسن،لكن للأسف لا يزال هؤلاءعرضة للإقصاء من صفحات التاريخ المجيد أوتجاهلاً من قبل المؤلّفين الغلاة،المتعصّبين المناهضين لأفكارهم ومبادئهم .

من أولئك الرموزالستهدفين محلّيّاالإمام المجاهد محمد بن عمربوحميدة -رحمه الله-، إذ تتبلورفصول هذا الكتاب في عنوانه الفرعي التالي توصيفا لشخصيته المتميّزة، المفعمة بتلك المآثر:"رمزالوحدة،والإصلاح،والنضال،والتحدّي".

وهاهي ذي الطبعة الثانية لسنة 2023 التي تصدرمتزامنة وذكرى وفاته الـ58 شهيدالواجب وهي ترفل في حلّة جديدة عساها أن تكون خالية من الأخطاء الكتابية كتلك التي كانت قداعترت الطبعة الأولى وإجراءبعض التنقيحات عليها وإثرائها ببعض المعلومات والوثائق والصورلرجال تاريخيين لتدارك النقص في معلومة ما تاريخيّة ذات الصلة لا يمكن الإستغناءعنهالأهمّيّتها.وفي سيّاق الحديث عن مساهمات الرجل الرمز في الدعوة والإصلاح والنضال في الحركة الوطنية وفي الجهادأثناءالثورةالمباركة فهي جمّة لا يمكن إحصاؤها ولا إنكارها حتّى.

فتزكيّةً لمحتوى هذاالكتاب وحفظاً لمصداقيّته اعتمدت المؤلّفات المذكورة آنفا كمراجع موثوق بها أواستناداً على روايات شهودعيان ثقاة عاصروالإمام محمد بن عمرولازموه بل واكبوا مسيرة نضاله أثناءالثورة وقبلها أوماعاينته شخصيّاعن كثب.

تلك هي ملحمة كفاح شعب مدوّنة بدماءالشهداء التي سوف تروي للأجيال قصص مآسي فئات مناضلة من الرجال والنساء حتّى الأطفال،إذ أنّي ساهمت فيها بجانب والدي بحكم حضوري اليومي معه في متجره الذي استحالت خلفيته إلى خليّة سرّية في منفاه القسري ببرّاقي أين ظلّ المسبّلون يرتادونها بين حين وآخرخلسة ومصاحبتي إيّاه متعلّقا بتلابيبه مذنعومة أظافري،إذ قد تساوربعض القرّاء شكوك في هذالحداثة سنّي بين الـ14و16سنة.

وأنوّه إلى أنّه ليس عجباً أن كان قد شارك بعض الاحداث من أترابي في النضال بقناعتهم الراسخة في نفوسهم وبنضجهم السيّاسي المبكّرالذي خوّل لهم الإرادة على الإنخراط في الثورة تأسيّاً بآبائهم وذويهم من الأسرة الثورية التي كثيرا ما تعرّضوا لشتّى أساليب القمع على غرارماعاناه الإمام محمّدبن عمرالذي تحدّى جلاّديه بلسان قويّ الشكيمة وبفؤاد ثابت العزيمة وهم ينهالون عليه ضربا بالسيّاط ويتفنّنون في تعذيبه حسب رواية كلّ من شهد أيّام اعتقاله.

ولإظهارهذه الحقيقة ومن أجل إضفاء المصداقية التاريخية حول مشاركة اليافعين في الثورة أضرب لكم مثلا سادتي القرّاء الأفاضل قصّةالطفل الشهيدعمرياسف من مواليد1944/01/07 الذي استشهد في"معركة الجزائر"الشهيرة بالقصبة في 10/08 /1957 وعمره آنذاك ثلاث عشرة سنة بمعيّة رفاقه والذي تعهّد الجنيرال Massu بمنح فيلا لمن يدلّ عليه.حيث يتبيّن هذا بالإستنادعلى"تقرير حول أحداث الثورةالتحريرية لولاية غارداية -الفترة ما بين 1962/1959المصادق عليه في الندوةالولائية بتاريخ 1986/10/09"ص35/34ليؤكّدمشاركة فئةالأطفالفي ثورةالتحرير.-والله من وراءالقصدوهويهدي إلى السبيل-

الفصل الأوّل

سيرته الذاتية

- مولده: من مواليد 1914بحيّ الحفرة -غارداية-هو محمّد بن عمربوحميدة وابن فاطمة بنت الإمام الفقيه المالكي زيّان بن اسماعيل بوحميدة.

- نسبه: محمد1 **بن عمر**2 بن بوحميدة 3بن سليمان 4بن محمد 5بن بوحميدة 6بن محمد 7بن **سعيد** 8بن عبد الرّحمن9 بن محمد 10بن أحمد 11بن عبد الرّحمن 12بن أحمد 13بن علي 14بن محمد 15بن **بوحميدة الفاسي 16**بن محمد 17بن أحمد 18بن **عمران 19بن عمران20** بن محمد 21بن عبد الرّحمن 22 بن عبد الرّحيم 23بن الحسين 24بن عمران 25بن أبي جعفر26بن الناصر27 بن طلحة 28 بن موسى29بن أحمد 30بن إدريس 31بن **إدريس 32**بن عبد الله الكامل33**بن الحسن المثنّى 34بن الحسن السّبط 35 بن فاطمة36بنت رسول الله 37** صلى الله عليه وسلّم.

-فرقته:

أمّا فرقته فتسمّى **" أولاد بوحميدة"** التي تنتمي إلى قبيلة المذابيح المنحدرة عن بلدة للماية التابعة حاليّا لبلدية تاجرونة – ولاية الاغواط – على مسافة 93 كم من الطريق الوطني رقم 01 عند مدخل مدينة الاغواط غربا في اتجاه مدينة غارداية .علما أنّ الاسم العائلي **" بوحميدة "** لعلّه نسبة إلى الجدّ السادس عشرفي الشجرة العائليةالمؤشّربرقم 16 **" بوحميدة الفاسي "**وللعلم فإنّ عمران الأصغررقم19دفين مدينة غريس بولاية معسكرأمّا أبوه عمران فهودفين بالمغرب الأقصى،ولمزيد من التفصيل انظرمايلي.

حسب الرسم البياني التالي:

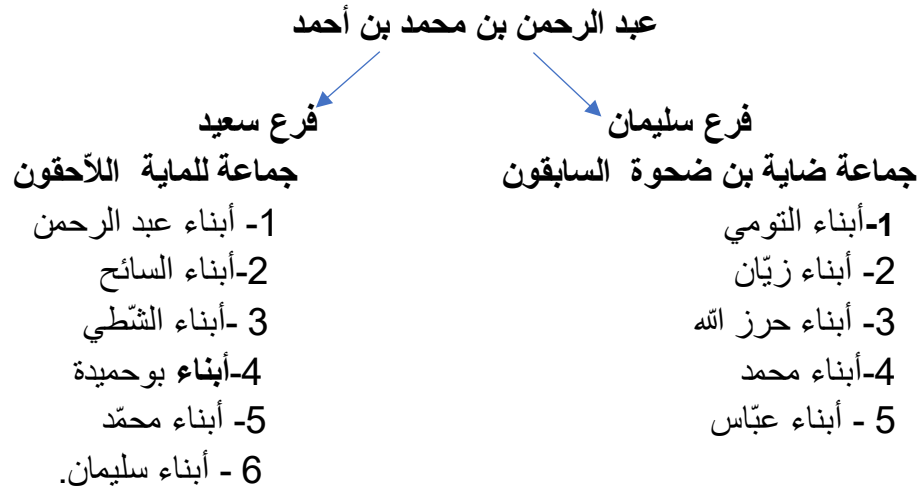

-عمله في سن مبكّرة:

قبل التطرّق إلى انخراط محمد بن عمر بوحميدة في العمل المسجدي بمسجد خالد بن الوليد بحي الحفرة-غارداية- لابدّ من إحاطتك علما أخي القارئ أختي القارئة أنّه – رحمه الله -قد مارس التّجارة في سنّ مبكّرة -قبل الثلاثينات من القرن العشرين- وهذا نظرا لصعوبة المعيشة ، في حين لم يكن طلب العلم من الضرورات بمكان في ذلك العهد لا كما هو حال المجتمع في زمننا هذا على اختلاف طبقاته ،إذ لم يكن بوسع الرجل أن يغطي مصاريف أسرته المتعدّدة الأفراد ويلبّي حاجاتهم ، فالأسرة الميسورة في ذلك العهد هي تلك التي قوت يومها رغيف خبز وجرعات ماء ملوّث أوحليب تدرّه عليه ماشيته اوعنزته الضّامرة، فأنّى له أن يهتمّ بتعليم أبنائه؟ حيث أنّ عمّ الوالدة إسماعيل بن الحاج محمد بن عباس بوحميدة روى لي جانبا من تلك الظروف القاسية منها : أن عظم شاة قد يتداوله الجيران بينهم، بيتا، بيتا فيضعونه في القدرعساهم أن يصيبوا منه قدرا من الدّسم وأنّهم إذا رأوا ميتة خنفساء ظنّوها تمرة فينحنون لالتقاطها !هذا وصف للحال المزرية التي عاشها المجتمع الجزائري في ذلك العهد .

وكان لابدّ،إذا من تسليط الضوء على حال النّاس أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها وانعكاساتها على المجتمع الجزائري برمّته بعد أن وضعت الحرب أوزارها فكان نتيجة ذلك الفقروالمرض والجهل والحرمان وهي ما يطلق عليها "سنين الجمر".ففي تلك الظروف عاشت أسرة عمر بوحميدة أبي الامام محمد وفيها ترعرع ابنها هذاوإخوته .وعندما بلغ أشدّه واستوى وهو في شرخ الشّباب وجد نفسه أمام مسؤولية عظمى ألا وهي مساعدة أبويه فأخذ يعمل في محلّ بيع الخضر عند ابراهيم دربال أبي الحاج دربال السوفي، الذي كان له دكّان لبيع الخضر في"زقاق الخضرة"عمل عنده فترة طويلة فأكسبه دكّانا صغيرا بجوار بيت والده وأغدق عليه من المال ما يمكّنه من الزواج سنة 1934،وهذا جزاء إخلاصه في عمله والجزاء من جنس العمل، وتجدرالإشارة إلى أنّه عمل - رحمه الله – فيما بعد في محلّ بيع الحلويات الشرقيّة كالزلابية والمقروض عند سي علي التونسي في الزقاق الجديد في وسط مدينة غارداية وقد تعلّم هذه الحرفة فصارحاذقا فيها -رواية عن الوالدة- ولقد مارس هذه الحرفة فيما بعد في دكانه، في المنفى ببرّاقي خاصّة في شهررمضان وكنت حينذاك أساعده في تحضير العجينة والعسل السكّري.

هذا من جهة ومن جهة أخرى،فعلى الرّغم من انشغاله في التّجارة لم يثنه هذا العمل عن الدّخول إلى الكتّاب لدى جدّه من جهة الأمّ سي زيّان بن إسماعيل ثمّ خاله إسماعيل بن زيّان المعروف بـ"الطّالب إسماعيل" وهذا ما ستتعرّف عليه فيما يلي:

- بداية تعلّمه: كان تعلّمه الأوّل -رحمه الله- على يد جدّه من جهة الأمّ الإمام الفقيه المالكي سي زيّان ([1]) بن الحاج إسماعيل بن زيان بوحميدة وذلك في كتّاب مسجد خالد بن الوليد في حيّ الحفرة بغارداية وعليه حفظ أجزاء من القرآن الكريم، والمتوفى سنة 1939، دفين مقبرة أولاد بوحميدة ولقد أبّنه الشيخ الفقيه المالكي عبد القادر الزغيدي ـــــ ستجد نسخة من كلمة التأبين في الملحق بخط هذا الأخيرـــ. ثمّ واصل دراسته – رحمه الله – وحفظ القرآن على يد خاله إسماعيل بن زيّان بوحميدة([2])(الصورة) معلّم القرآن خلفا لأبيه وللعلم فإن الشيخ إسماعيل بن زيان بوحميدة قد مارس مهمّة تعليم القرآن لمدّة تزيد على خمسين سنة حسب أحد جلسائه المنادمين وهوالسيد محمد الأخضري السائحي معلم القرآن سابقا.ولمزيد من المعلومات فإن الشيخ إسماعيل بن زيان هو أحد خرّيجي معهد أوزاوية بنفطة في الجمهورية التونسية ومن قبل كان تلقى دروسه على أبيه الإمام الفقيه الشيخ زيّان بن اسماعيل وأمّا الفرنسية فقد تعلّمها محمد بن عمر في مدرسة الآباء البيض الكائنة في حيّ "تيضفّت" وذلك على معلّميه رئيس الرّهبان الاب داوود وسالم، وسالم هذا عاش ومات على دين النصرانية حسب تصريح ابن أخيه وسيأتي ذكره عندما أتعرّض إلى مظاهرة 1952التي قامت على خلفية حجز الإمام محمد بن عمر بوحميدة وكان لسالم موقف مشرّف عندما تمّ اقتحام بوّابة الملحق العسكري في أعلى الجبل بوسط مدينة غارداية كما

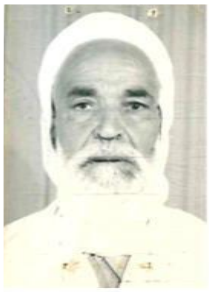

[1])الشيخ زيان بن إسماعيل بوحميدة إمام وفقيه مالكي بمسجد خالد بن الوليد ولد خلال 1870 توفّي في فاتح مارس1939 دفين مقبرة أولاد بوحميدة و هو أحد المدافعين عن قضية الآذان المالكي المحظور سنة1931 وأ مّا أبوه الحاج إسماعيل بن زيّان فهوفقيه ومفتي ،قيل إنّه خرّيج الأزهر الشريف حسب اللوحة التذكارية في مدخل مقبرة "أولادبوحميدة"بللماية- دفين للماية ولاية الأغواط.

[2])-الشيخ إسماعيل بن زيان بوحميدة معلم القرآن سابقا في مسجد خالد بن الوليد ولد خلال 1901 توفّي في26 جويلية 1972 دفين مقبرة أولاد بوحميدة بغارداية

سـيأتي. وكان الإمام محمد بن عمريجيد الفرنسـية كتابة ونطقا،وهذا ما شـهد له به خاله الأستاذ الأديب إبراهيم بن زيان،حينما قال لي: " دخلت أنا ووالدك في دكّان لفرنسي بالعاصمة في السّتّينات من القرن الماضـي فهممت للتحدّث في مكانه باللغة الفرنسـية ظنّا منّي أنّه غيرمتمكّن منها إذا هويفاجئني بلغة فرنسية فصيحة فانبهرت "وأكّد هذا، المجاهد أحمد مهاية في كتاب: "ذكريات من النضـال والمقاومة" قائلا:"..كان يتقن الفرنسيّة لذا كانت له محاورات مع الآباء البيض..([1]) "

-تعلمه على يد شيخه محمّد الأخضرفيلالي:

عنـدماحـلّ الشـيخ محمدالأخضـرفيلالي([2]) - رحمـه الله- بمدينـة غارداية خـلال سنة1941،صاركالغيث النافع،(الصورة)

هذابعدوفاة الشـيخ الإمام الفقيه المالكي زيّان بن إسماعيل بوحميدة سنة 1939عن عمر ناهزتسعا وسـتين سـنة،خلفه ابناه إسـماعيل وابراهيم لمدّة مؤقّتة وكان هذا الأخيرقد كلّف بصـلوات التراويح بالتناوب مع الطالب جيلالي هذا حسـب تصـريح الأسـتاذ ابراهيم بن زيّان،وما إن شرع الشّيخ محمد الأخضر فيلالي في إعطاء الدّروس حتّى كان محمد بن عمر بوحميدة أحد السبّاقين العصـاميين الّذين انخرطوا في مدرسـته – رحمه الله وطيّب ثراه – ومن أبرز هؤلاء الطلبة الشّـيخ

[1]) ذكريات من النضال و المقاومة-امهاية أحمد- تأليف د/سويلم مختار ص147
[2])الشيخ محمد الأخضر الفيلالي(1889-1979) دفين مدينة بوقرّة ولاية البليدة حاليّا

الأخضر الدّهمة[1]،الفقيه والأستاذ القديرمن أبناء مدينة متليلي والأستاذ ابراهيم بن زيّان بوحميدة[2]، والشّيخ الإمام جيلاني حشّاني .

خليفة الإمام محمد بن عمر بعد اعتقاله على خلفيّة الإضراب العام في 28جانفي1957والأستاذ قباني محمّد المدعو (الطّالب حمّودي) والأستاذ زرباني عبد الله بن بوبكروغريقة سعد بن قدّاري ومحمد محجوب وعبد السلام مولاي لخضر...إلخ. وحسب ما جاء ذكره على لسان الشّيخ الأخضر الدّهمة.

كشاهد على العصر في ما يخصّ عدد أفرادالبعثة إلى تونس ما يلي: كان عددهم أوّل الأمر ثلاثة هم:الأخضرالدّهمة ومحمد محجوب وعبد السّلام مولاي لخضر ثمّ تتابع الرّاغبون إلى أن تجاوزوا اثني عشر. اهـ ولابدّ من ذكرخصال هذا الرّجل العظيم محمدالأخضرفيلالي،إذ كان عالما ،قطبامن أقطاب العلم،حيث يستحقّ كلّ الإشادة، ناهيك عن كونه عضوافي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أتى به بعض التّجّار من سكّان حي الحفرة وهم: زرباني عبد القادربن مرزوق وأخيه زرباني بوبكر وعمراني علي بن عيسى حينما كانوا يتردّدون على مدينة آفلو منفى الشيخ محمد الأخضر فيلالي المتوفّى سنة 1979 وصديقه الحميم الشيخ محمد البشيرالإبراهيمي المتوفّى في 19مارس1965نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشّيخ عبد الحميد بن باديس المتوفّى في16أفريل1940-رحمهم الله- ثمّ عيّن إماما بمدينة بوقرّة (روفيجو سابقا)-ولاية البليدة حاليا- بعد الإستقلال وهودفين بها،ولمّا انخرط محمد بن عمر في مدرسة الشيخ فيلالي وجد فيها ضالّته المنشودة فتعلّق بتلابيب شيخه،وكان للشيخ نفس الانطباع

---

[1]) الشيخ الدهمة الأخضر أستاذ وفقيه ومفتي من مواليد متليلي، له مؤلّفات في التفسيرو الافتاء.

[2])إبراهيم بن زيان بوحميدة، من مواليد 1919أستاذ وأديب وشاعرورائي، وفنّان له روايات بالإذاعة الوطنية وله مؤلّفات من بينها ديوان شعر انتقل من غارداية إلى العاصمةخلال1947 انضمّ إلى جامعة الجزائرسنة1963،عيّن أستا ذا في15 سبتمبر1964 في كلّ من ثانوية عقبة بن نافع وعمارة رشيد في المحمّدية (لافيجري)-،تحوّل إلى ثانوية محمّد الأخضر فيلالي غارداية في 24/ 4/ 1975 توفي في 2014/10/22 دفين ضاية بن ضحوة غارداية.

بعد أن توسّـــم فيه الذّكاء والفطنة والحرص الشّـــديدعلى التّعلم فأولاه اهتماما بالغا.

ولقد أثنى عليه زميله الشيخ الأخضرالدّهمة (الصورة)حين زرته في بيته يوم 06-01-2021بمتليلي بحضورالأستاذين: الرّزمة محمد ود/ زرباني محمد مصطفى،ذلك حين أخبرته بأنيّ ابن محمد بن عمر ولقد أظهر إعجابه به لاسيّما بدروسه القيّمة وخطبه الهادفة، فكان للقاء هذا الأخيرحديث شيّق وممتع في آن!كماأفادنا بكثير ممّا كنّا نجهله عن الشّيخ فيلالي،لولى وعكته الصّحّية لأفادنا المزيد.

ولقد تكرّم على الحضـــوربهديّة تمثّلت في كتاب عنوانــه"نبـذة مختصـــرة من حيـاة الشّـــيخ الأخضـرالدّهمة"-مشكورا-وممّا جاء في هذا الكتاب ذكر"مكـان الحلقـة التعليميـة"وإســـنـادمهمّـة تقديم الأحاديث المقصـــودة إلى محمدبن عمر. :"..كانت في المســجد العتيق بحيّ المذابيح(حيّ الحفرة) الذي يسمّى الآن مسجد خالد بن الوليد على أن تنقل في كلّ صيف إلى المسجد العتيق بضـــاية بن ضـــحوة حيث ينتقل الإخوة المذابيح إلى بســـاتينهم هنالك. وقد كانت للشّـــيخ (فيلالي) حلقة أوســـع في كلّ من غارداية والضّـاية يلقي فيها دروسا للعامّة، موضوعها شرح الأحاديث الشّريفة اعتمـادا على كتـاب "بلوغ المرام من أدلـة الأحكـام" وغيرذلـك من المواضيع التي تدعو إليها الحاجة. وكانوا ملزمين بحضورها أيضا مع العوام، وكان الشّـيخ يعتمد على أكبر طالب علم عنده ليقدّم له الأحاديث المقصـودة بالشّـرح ألا وهو **محمد بن عمر بوحميدة** ومن تلاميذه الذين كان يقدّمهم في مجالس أخرى الشّـيخ الجيلالي بن عبد القادر حشّـاني، رحم الله الإثنين."اهـ [1]

[1])**نبدة مختصرة من حياة الشيخ الأخضر الدهمة الجزائري، ص12**

علما أنّ الشيخ محمد الأخضرالفيلالي – رحمه الله – كان يلقي دروسا في اللّغة العربية وعلومهاكالبلاغة وقواعدالنّحووالصّـــرف والإملاء وصناعة الإنشاء،وهذا حسب رواية الأستاذإبراهيم بوحميدة حيث قال:" كان الشـــيخ فيلالي يلقي الدّروس بدون كتابة على الســـبّورة أي يلقيها شفاهه،وكان ضعيف النّظروهذا ما يستلزم الذكاء والفطنة لدى الطّالب وتقييد الدّروس على كرّاسة ومراجعتها بانتظام والمواظبة عليها

كما قال الشّاعر:

العلم صيد والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الواثقة

واصل الأستاذ إبراهيم بوحميدة حديثه قائلا: كان محمد بن عمر وأنا فقط، نجيب على الأسئلة التي يطرحها الشيخ عند اختبارطلبته إن كانوا فهموا الدرس أم لا،وأذكرأنّه قال كلمته مشـــيدا بنا نحن الإثنين: ما كنت أظن العلم يورث . اهـــ .ويقصد السلف من أسرة "أولاد بوحميدة" التي أنجبت العديد من العلماء والأئمة والمعلّمين كما هو معلوم عند العامّة والخاصّة.

كان الشيخ محمدالأخضرفيلالي-رحمه الله - أستاذا ممتازاوأحد فطاحل علوم اللّغة العربيّة وجهابذ تها، ويعترف له بذلك معاصروه وفيما

بعد كل من تتلمذ عليه ومنهم الأســـتاذ إبراهيم بوحميدة بن زيّان (الصـــورة) الكاتب الأديب، والشـــاعر الفصـــيح، والروائي القدير الّذي كرّمته جمعية الوحدة الثقافية قبل وفاته بمناســـبة يوم العلم 16أفريل ســـنة 2009 م ثمّ كرّمته هذه الأخيرة بعد وفاته ،أن أقامت له معرضـــا ثقافيّا عرضـــت فيه أعماله الفنّية والأدبية من2018/04/18 إلى2018/04/23 و بعدها كرّمه السّـــيّد والي غارداية وأخيرا كرّمته جامعة غارداية حين أقامت له ملتقى في حرم جامعة غارداية بتاريخ 06/05 فيفري 2019 بمشـــاركة كلّ من جمعية "الوحدة الثّقافية " الكائن مقرّها بحيّ العين - غارداية- الّتي يرأسها مؤلّف هذه المذكّرة ومؤسّسة "أبوحميدة" الكائن

مقرّها بضـاية بن ضـحوة وهو الذي كان -رحمه الله-نتاج الشـيخ محمد الأخضرفيلالي،مع ابن أخته الشيخ محمد بن عمرالذي نهل هوالأخرمن فيض علم شيخه العظيم محمدالأخضرفيلالي -طيّب الله ثراه-.

وفي سـيّاق الحديث عن أحد أبرز طلبته لابدّ من الإشـارة إلى أنّ الإمام محمد بن عمركان عصاميّا شأنه شأن علماءوشيوخ عصره ولقد أثنى عليه شـيخه حين زارني في بيت الوالد-رحمه الله- بالبليدة سـنة 1970وكان برفقة ربيبه محمد الّذي كان يرافقه إلى مسـتشـفى"فرانز فانون" أين كنت أعمل، علما أنّ الشّـيخ محمد الأخضـر فيلالي لم يعقّب ولدا، أمّا بصـدد تعلّم محمد بن عمرخارج الجزائرلابدّ من تصـويب ما جاء ذكره في كتاب السـيّد عبد الحميد مسـعود بن ولهة حينما قال عنه: إنّه كان من الطلبة الذين درسوا في تونس[1]، وهذا مالم يحصل قطّ، ولم يسبق له أن خرج من الجزائرماعدا ذهابه إلى البقاع المقدّسة في جويلية سـنة 1954 رفقة خاله إسـماعيل بن زيّان بوحميدة المعروف "بالطالب إسماعيل ".

-مصادر ثقافة الإمام محمد بن عمر:

اسـتفاد الإمام محمد بن عمر من دروس شـيخه محمد الأخضـر فيلالي فغدا متضلّعا في علوم اللغة العربيّة،هذاما مهّد له السبيل لينهل من علوم شتّى ،كالفقه والتفسـير وكان كثير المطالعة والتعمّق في البحث،كان يطالع المجلّات العلميّة والدينية كمجلّة"الإسلام"ومجلة"المسلمون"اللتين كان يصدرهما الأزهر الشريف في الثلاثينات من القرن العشـرين وكذلك مجلة "الشـهاب" "وجريدة "البصـائر" اللتين كانت تصدرهما جمعية العلماءالمسلمين الجزائريين ومجلّة العروة الوثقى لجمال الدين الأفغاني.

وكانت الوالدة - رحمها الله - تقول عنه:إنه كان يسهر إلى ساعة متأخّرة من الليل يبيت يقرأ ويطالع الكتب حتّى يستسلم للنوم فأسحب منه الكتاب

---

[1])عبد الحميد مسعود بن ولهة : الحركة الوطنية والثورة التحريرية بغارداية إداريا وتنظيميا، ج/1، ص 74

بلطف ثّم أضع تحت رأسه وسادة وهو يغطّ في نوم عميق وقال لي عنه السيّد الأخضر قارة من قدماء عزّابة المسجد العتيق الإباضي-رحمه الله- المتوفّى بتاريخ11-10-2020: كنت كلّما مررت بسي محمد بن عمرفي زقاق المسجد بحي الحفرة إلاّ وجدته منكبّا على قراءة كتاب يطالعه بإمعان وكان هذا الأخير أحد ملازميه في كثير من الأحيان ،يتبادل معه أطراف الحديث في السيّاسة والشؤون العامّة... إلخ.

وإليك أخي القارئ أختي القارئة بعض عناوين الكتب وهي من بقايا مكتبته العامرة التي نفد منها الكثيرمن العناوين بسبب نقل بعضها إلى منفاه وبعضها قد بعثرته أيادي المظلّيين النّجسة حينما اقتحموا بيته عنوة عند اعتقاله على خلفية الإضراب العام في03 فيفري1957فعاثوا فيهافساداوقلبوا كلّ شيءرأساعلى عقب.

-مراجع مطالعته:

أذكر منها الكتب الآتية:

1- كتاب في غزوات الرّسول – صلع – بدون عنوان
2- الفتوحات الإلهية بتوضيح الجلالين للعلاّمة الشيخ سليمان الجمل
3- فتح الشام لمحمد الواحدي
4- ضحى الإسلام لأحمد أمين
5- المنتقى في شرح الموطّأ
6- كتاب التفسير " البحر المحيط "
7- صحيح الإمام أبي الحافظ أبي الحسين بن مسلم بأجزائه
8- "كتاب التفسير بأجزائه " المنار" للشيخين محمد عبده ومحمد رضا
9- كتاب صنع الأعشى "في صناعة الإنشاء" -تأليف أبي العبّاس القلقشندي المتوفّى سنة861هـ.
10- كتاب الآمالي :تأليف أبي علي إسماعيل القالي البغدادي
11- مجموعة أجزاء كتاب جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني

12- ديـوان أبـي الطيّـب المتنبـي بشـرح أبـي البقـاء العكبـري المسـمّى بالبيان في شرح الديوان -مطبعة ردوسي قدّور -الجزائر-.
13- كتاب حاشية الشنواني على مقدّمة الإعراب لابن هشام
14- كتـاب سـرّ الليـالي فـي القلـب والإبـدال لأحمـد فـارس الملقـب بـ (الشريان).
15- كتـاب متـرجم " جيفرسـون الـرئيس الفيلسـوف"ترجمة وتقـديم د/محمّد عبد المعزّنصر.
16- كتـاب الأديـب وصـناعته المتـرجم " بإشـراف روي كـاودن"- ترجمـة جبـرا إبـراهيم جبـرا- نشـر بالإشـتراك مـع مؤسّسـة فـرانكلين للطباعـة والنّشر بيروت -نييو يورك1962.
17- كتاب "دليل قانون العقوبات الفرنسي " باللّغة الفرنسية .
18- كتاب " الإنجيل " باللّغة الفرنسية أيضا .
19- مجموعـة الكتـب للأديـب صـاحب العبقريـات عبّـاس محمـود العقـاد ومنهـا كتـاب كـلّ مـن عبقريـة محمـد – صـلّى الله عليـه وسـلّم- وعبقريـة "أبو بكر الصديق " – ض – وعبقرية "عمربن الخطّاب "(ض).
20-الـدواتي علـى رسـالة ابـن زيـد القيرونـي تـأليف العلاّمـة الشـيخ أحمدبن مهنا المقراوي المالكي.
21-نفـح الطيـب مـن غصـن الأنـدلس الرطيـب بأجزائـه تـأليف لسـان الـدين بن الخطيب .-مكتبة دارالإحياء بمصر-

وروى لي جدّي عمرأنّ ابنه محمد قد أتى بمجموعة من الكتب عند عودته من البقاع المقدّسة سنة 1954 م، وكان من بينها كتاب قيّم استولى عليه جمركي عنوة ، فقال له محمد بن عمر : " خذ مني إحدى عينيّ ولا هذا الكتاب " فاسترجعه منه على مضض .

وكان – رحمه الله – يتابع الاخبار السـياسـيّة والعلمية والحصـص الثّقافية من خلال المذياع ومن أهمّ الإذاعات التي كان يستمع إليها بصفة دائمة بعد الفجر وفي المسـاء: إذاعة " صـوت العرب من القاهرة " وإذاعة لندن البريطانية "bbc "وإذاعة القرآن الكريم من القاهرة وأمّا

إذاعة الجزائر فلا يستمع إليها إلا عندما تبثّ صلاة الجمعة مباشرة ، هذا في الخمسينات من القرن الماضي و في بداية الستينات كان يستمع إلى الإذاعة الثورية المحظورة " صوت الجزائر من قلب الجزائر " وأمّا التلفزيون فكان يتابع الأخبارالمصورّة وبعض الأشرطة العلمية والتاريخية عندما كان في براقي بعد الاستقلال مباشرة وفيما بعد حينما تحوّل إلى البليدة وكان -رحمه الله- مولعا بمتابعة الأشرطة العلمية والوثائقية.

وكان قد أشاد به العلّامة الشيخ الطيّب العقبي رواية عن خاله الأستاذ إبراهيم بوحميدة بن زيان إذ قال لي هذا الأخير ما يلي : "ينما كنت في زيارة للشيخ الطيّب العقبي كعادتي في نادي الترقّي سألني قائلا : شخص من غارداية يراسلني اسمه محمد بن عمر بوحميدة هل لك به علاقة عائلية ؟ فأجبته: إنه ابن أختي فهو إمام بالمسجد المالكي بغارداية فردّ عليّ العلّامة الشيخ الطيّب العقبي مشيدا به بإعجاب واصفا إياه :أنّ له أسلوبا راقيّا في اللّغة العربيّة ويتميّز بالمنطق والوضوح فضلا عن الفصاحة والبيان !"

- دوره التعليمي في المسجد وتعيينه مساعدا للفيلالي مِؤقّتا:

قبل أن يعيّن محمد بن عمر بوحميدة مدرّسا فإماما بصفة رسميّة في مسجد خالد بن الوليد بحي الحفرة - غارداية - من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين-فرع الجزائر-كان عضوا في لجنة تسييرشؤون المسجد(1) سنة1943 فكلّفته هذه الأخيرة بالتعليم باقتراح من الشيخ فيلالي مقابل راتب شهري، فضلا عن أعماله التطوّعية هذا، فيما كان خاله إسماعيل بن زيان بوحميدة يدرّس في الكتّاب المجاور حيث أنه كان -رحمه الله- قد كلف بتعليم الفتية والفتيات اللغة العربية بعد ان وزّعهم أفواجا حسب السّن في فترات معيّنة.

1)-انظر الملحق ستجد وثيقة من أرشيف مسجد خالد بن الوليد

-ترسيمه مدرّسا فإماما في مسجد خالد بن الوليد سنة1946:

بعد أن أصبح الشيخ محمّد الأخضرفيلالي على قناعة بأنّ محمّد بن عمر جدير بأداء مهمّة مدرّس وإمام في مسجد خالد بن الوليد بصفة دائمة اقترحه على اللجنة ذات الصلة،فلم ترهذه الأخيرة مانعا من تبنّي ذلك الإقتراح بارتياح.

وكان لشيخه ما أراد بعد أن وافق فرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الكائن مقرّه آنذاك في العاصمة الجزائرفسلّمت له شهادة ترسّمه كإمام ومدرّس في المسجد المذكوروذلك سنة 1946حيث كان في أعلاها اسم وعنوان الجمعية باللغتين العربيّة والفرنسيّة، لكنّ هذه الشهادة- للأسف- ضاعت في ثنايا كتب المرحوم.

وفي سيّاق الحديث عن مهمّته في التّدريس لابدّ من الإشارة إلى أنّه -رحمه الله- قد طوّر أسلوب التّدريس ونوّع المواد الدّراسية فكان الطلبة البالغون يتلقّون دروسا متنوّعة في اللّغة العربية وقواعدها فضلا عن التاريخ الإسلامي والوطني والقومي والجذير بالذكر أنّ تعليم موادااللغة العربية والتاريخ كان يتمّ والأبواب مغلقة في أوقات يختارها الإمام مع الأخذ بعين الإعتبارالحيطة والحذرتحت رقابة أشخاص يقومون بالمداومة واذكر منهم الحاج محمّد بن مسعود رزقي حيث أنّه كان متّفقا مع الإمام في كيفية إخطاره في حال ما إذا علم بقدوم الترجمان أومن هوعلى شاكلته ليغيّرالموضوع إلى التعليم القرآني وذلك بسبب الحظر المفروض على اللغة العربية وهذا بموجب مرسوم"شطون". الصادرفي8 مارس 1938.

علاوة على ذلك أنّه كان يغرس في طلاّبه الروح الوطنيّة وخصّص فترات للتّرفيه والأناشيد الوطنيّة والإسلاميّة والنّشاط الكشفي بمساعدة السيّد عبد العزيز محمد ومن أسلوبه المنافسة بينهم على تقديم خطب في المناسبات بعد أن درّبهم على خطب نموذجية في المسجد بحضورالملإ من أجل تمكينهم من الفصاحة والشّجاعة الأدبيّة -صرّح بهذا كلّ من طلبته وهم: أولاد عبد الله زيّان بن الحرمة والأستاذ بوعبدلي محمد بن

الطيّب الشّـــاعرالملهم والســـيّد زيّاني علي بن محمّد -أطـال الله في أعمارهم- والأســـتاذعليّ بوفاتح وزرباني عمران رحمهما الله وإحدى الطالبات وهي الحاجّة فاطمة زرباني بنت العلمي.

كما ستتعرّف عليه في ما يلي. و أمّا مهمّته كإمام خطيب مفوّه،فهذا ما جعله يتحوّل إلى رمزلتحدّي الإدارة الإستعمارية علنا من على المنبربحكم تشبّعه بالروح الوطنية المكتسبة من نضاله في الحركة الوطنية وأمّا كونه مصلحا بارعا فهذا ما لايختلف عليه إثنان وذلك بحكم تأثّره برجال الإصلاح من أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس ومحمّد عبده وجمال الدين الأفغاني...إلخ فضلا عن ثقافته العربيّة الإسلامية الرصينة ذات التوجّه القومي والوطني التحرّري ،ما جعل الناس يتـأثّرون به لا لشجاعته وكفاءته فحسب بل لدماثة خلقه وورعه وعفّته و شجاعته التي اعتبرها معارضوه فيما بعد تهورّا ومغامرة، وإخلاصه في العمل الدؤوب والتفاني فيه والمواظبة عليه وتجشّم المشاق كإشرافه على تشييد ميضاء مسجد خالدبن الوليد ومتابعته الاشغال عن كثب كماسيأتي ذكره في الشأن.

-قوائم أسماء بعض من درسوا على يده من الذكور:

لا تفوتني هذه الفرصــة لذكر أسـماء بعض الطّلبة الذين درسـوا على يد الإمام محمّد بن عمر، على اختلاف أعمارهم ومســـتوياتهم ومشـــاربهم بناء على تصريحاتهم أواستنادا إلى تصريحات زملائهم من أترابهم الذين لا يزالون على قيد الحياة إلى كتابة هذه المذ كّرة وهم:

العدد	الاسم واللقب	الوظيفة	الملاحظات
01	أحمد تويريك	إمام	مفتي وإمام-مسجد بدر غارداية
02	عيسى بوخاري	إمام -متوفى-	أستاذ سابق
03	معمرحاج قويدر	إمام- متوفى-	مسجد علي بن أبي طالب (الحاج مسعود) -تمّ تصحيح الإسم-

04	بوعبدلي محمّد بن الطيّب	أستاذ	مدير مدرسة-أديب-واعظ بالمسجد العتيق بني مرزوق
05	محمود ثليجي	مفتّش لغة عربيّة	مفتّش في التّعليم الإبتدائي(دعمّه الإمام محمّد بن عمر في اللغة العربيّة
06	بوجمعة زرباني بن بوبكر	أستاذ-متوفى-	أستاذ وواعظ- مسجد خالد بن الوليد
07	محمود بوعامر	أستاذ	أستاذ وواعظ مسجد مرماد وحمزة
08	محمّد أولاد عبدالله	أستاذ	أحد المتعلّقين بمحمّد بن عمر
09	علي بوفاتح	أستاذ-متوفى-	ناشط في المجال الثقافي
10	اسماحي مولاي	أستاذ-متوفى-	واعظ في مسجد خالد بن الوليد
11	محمّد عمران	أستاذ-متوفى-	مدير مدرسة- ناشط في المجال الثقافي
12	أحمد بن ابريك	أستاذ-متوفى-	مدير مدرسة -ناشط في المجال الثقافي
13	علي مشري	مفتّش	مفتّش في اللغة الفرنسية
14	شحمة مسعود	شهيد	أحبّ الطلبة إلى محمّد بن عمر
15	حويشيتي محمّد	ممرّض شهيد	احد طلبته رحمه الله
16	سعيد أولاد علي	موظّف سابق	مسؤول سابق في قسمة حزب جبهة التحرير الوطني
17	زيّان أولاد عبد الله	محاسب مالي	مناضل-سجين سابق أثناء الثّورة-
18	أحمد خليل عمارة	عامل	مناضل -سجين أثناء الثّورة-

19	محمّد عميربن عمر	عامل	أحد الطلبة الأوفياء
20	عميرعبدالقادر الوزان	تاجر	أحد الطلبة الأوفياء لأستاذه
21	عمير إسماعيل	مدير مؤسسة تربوية متقاعد	أحد الطلبة الأوفياء لأستاذه
22	مسعود سلامات	تاجر-متوفّى-	أحد الطلبة الأوفياء لأستاذه
23	محمّد بوخاري	تاجر	أحد الطلبة الأوفياء لأستاذه
24	بوخاري الطاهر	عامل	أحد محبّيه
25	ددوش ميهوب	عامل	أحد محبّيه
26	ددوش علال	عامل	أحد محبّيه
27	زحي معمر	عامل	احد محبيه
28	حاج قويدر مسعود	عامل	احد محبيه
29	زرباني عبد القادر بن احمد	عامل	أحد طلبته ومحبيه
30	عمران زرباني	متوفى	مناضل وسجين اثناء الثورة
31	عمراني عيسى بن علي	متوفى	مناضل أثناء الثورة
32	النايلي عمر	متقاعد في م.المجاهدين	طالب ومساعد في التدريس للإمام
33	بوحميدة عبد المجيد	متوفّي	طالب مساعد للإمام
34	ماكني سليمان	حرفي	من محبّيه وشاكريه

تعليم البنات

-شهادة إحدى طالبات محمّد بن عمر

وكان للفتيات في ذلك العصرحظّ من التعلّم كما للفتية ولم يبق منهنّ سوى اثنتين على قيد الحياة تتذكّران تلك الفترة التي قضيتاها في مدرسة محمد بن عمر على الرغم من تقدّمهما في العمر.ألاوهما الحاجّة منصـــورة بنت يوســـف بوحميدة والحاجّة زرباني فاطمة[1] بنت العلمي و قد أدلت هذه الأخيرة بشهادتها الشفوية المسجلة صوتيا :أنّها كانت من بين الفتيات اللاّتي كنّ يدرسن في مدرسة محمّد بن عمروالشيخ امّيزة والشيخ إسماعيل بن زيّان تحت إشراف الشيخ فيلالي سنة1948وأنّها كانت تعرض ما حفظته من القرآن على الشيخ الحاج محمّد بن عمروأنّها تمكّنت من حفظ الربع الأخيرمن القرآن إلى سورة "ياسين " وأنّها كانت ضمن نخبة من البنات ذوات الأصوات الجهورية بعد انتقائهنّ من قبل الحاج محمّد بن عمروبرعايته لألقاء خطب ارتجالية تتناول جوانب من السيرة النبوية بعد حفظها من إنشاء الشيخ أمّيزة بوداوود وذلك في مسجد حيّ الحفرة بمناسبة المولد النبوي الشريف وبحضورجمهورغفيروأنّهنّ نلن إعجاب الجميع.

وعددهنّ سبع من بين مجموعة كبيرة من الطالبات المنخرطات في تلك المدرسة، التالية أ سماؤهنّ: الحاجّة فاطمة زرباني بنت العلمي والحاجّة منصورة بوحميدة بنت يوسف وباية بنت خمّارة وعائشة الزمالة وحرزلية بنت الزيدي وحبيبة بنت القاضي وساسية بنت معطى الله.وقد ذكرت ما لم يكن في الحسبان ألا وهو مشاركتها في رحلة إلى ضاية بن ضحوة جرت في فائدة طلبة وطالبات كلّ من الشيخ فيلالي والشيخ الحاج محمّد بن عمروالشيخ امّيزة بوداود و الشيخ إسماعيل بن زيّان فيما كان الجميع ينشدون المدائح وهم في طريقهم إلى الضاية.

و في السيّاق كانت رواية زميلتها الحاجّة منصورة[2] بنت يوسف متطابقة مع شهادتها وصرّحت بأنّها تمكّنت من حفظ القرآن إلى سورة"مريم".

---

[1])-مقابلة مع الحاجة فاطمة بنت زرباني العلمي بتاريخ 01 نوفمبر2022

[2]) -مقابلة معها بواسطة ابنها خالد

الفصل الثاني

نشاطه الثقافي في مسجد خالد بن الوليد

-من نشاطه الثقافي إشرافه على حفل تكريمي في ضاية بن ضحوة

قبل التطرّق إلى النشاطات الثقافية التي كان الإمام محمّد بن عمريقوم بها بعد ترسيمه إماما كما سيأتي،لابدّ إذاً من التنويه إلى أنّ نجمه أخذيلوح في الأفق خلال الأربعينات بعد أن وطئت قدما شيخه محمّدالأخضرفيلالي مدينة غارداية خلال سنة1941 في حين انضمّ.-رحمه الله- إلى مدرسته بحي الحفرة للتّزوّد من فيض علمه ، فما لبث أن استفاد من دروس شيخه الذي قرّبه إليه حتّى صار كظلّه فأوكله مهمّة مساعد له كما أسلفت،وأستهلّ الحديث عن أوّل نشاط قام به-رحمه الله- حيث أنّ شيخه كلّفه لأوّل مرّة بمهمّة الإشراف على تنظيم حفل تكريميّ على شرف الشيخ بيّوض إبراهيم بن عمر ورفقاه في ضاية بن ضحوةالتي تبعد عن وسط مدينة غارداية 11 كلم غربا ،وهذا بحضورأعيان المذابيح هذا،إن دلّ على شيئ إنّما يدلّ على وثوق شيخه من كفاءة تلميذه محمّد بن عمر،حيث جاء في قول الكاتب علي دبّوزما يلي:"... ومن أهمّ النّشاطات التي تصبّ في هذا الإتجاه إقامة حفل كبير بضاية بن ضحوة ،في 02 أكتوبر1944حضره الشيخ بيّوض إبراهيم بن عمروالشيخ عدّون بلحاج ورفاقهما . وبعد تناول مأدبة العشاء افتتح الحفل البهيج بآيات من القرآن الكريم قرأها الإمام الجيلالي حشّاني بتجويد سورة الفتح ثمّ تقدّم الشيخ محمّد بن عمربوحميدة بإلقاء كلمة في غاية الأهمّية والعبرة، رحّب فيها بالضيوف الكرام والمدعوين ، ثمّ أدّت فرقة الأناشيد أناشيد وطنية ،ألقى بعدها الشيخ إبراهيم بيّوض كلمة نالت إعجاب الحاضرين،شكرفيها أهل بلدة ضاية بن ضحوة على وليمتهم وحسن ضيّافتهم وكرمهم الفيّاض ثمّ اختتم الحفل بتجويد سورة "الإنسان" .[1]

---

[1]-محمد علي دبّوز:"أعلام الإصلاح في الجزائر" ج4-ط/1.دار البعث الجزائر,ص156

-من نشاطه الثقافي والفكري مناقشته مستشرقا

لم يكن الإمام محمّد بن عمر مجرّد شخصيّة دينيّة تعنى بالمسائل الدّينية، كأن يؤمّ الناس في الصّلوات الخمس وصلاة الجمعة فحسب أو يحضر بعض المناسبات العرفية كالولائم في الأفراح والوضائم في الأتراح على عادة بعض الأئمة في ذلك العهد-في منتصف القرن العشرين - بل كان رجلا متنوّرا بشتّى العلوم، والأدلّ على ذلك ما كانت تحتويه مكتبته العامرة ومطالعاته المستمرّة وتعمّقه في البحث كمن يغور في أعماق اليمّ لاقتناص الأصداف واللآلئ فكذلك بحثه عن الحقائق بلا ملل ولا كلل. فبحكم ثقافته وعلمه المشهود له به وسعة معلوماته الّتي لم يستثن منها الإنجيل الّذي جاء ذكره عندما تعرّضت لمصادر ثقافته كذلك كتاب "جيفرسون الرئيس الفيلسوف " فبهذا أصبح - رحمه الله - بإمكانه مقابلة ومناقشة كائنا من كان -ندّا للندّ - وهو واثق من نفسه، باقتدارلأنّ في وفاضه من العلم والمعرفة ما يجعله يقنع مناظره كما سبق أن حاوربعض الرهبان وعلى رأسهم الرّاهب " الأب داوود "رئيس كنيسة غارداية في غير موعد - في دردشة-وهذاعندما يصادفه في الشارع الّذي يؤدّي إلى المسجد أوعندما يزوره في مكتبه كما جاء في كتاب المجاهد أحمد مهاية(أحمد لعمى):...كان يتقن الفرنسيّة، لذا كانت له محاورات مع الآباء البيض .اهـ [1] ففي بدايةالخمسينات من القرن العشرين قبل اندلاع الثورة حلّ بمدينة غارداي مثقّف أوروبي (2)، فاتّصل هذا الأخير بالقايد العرفي المحلّي المعيّن من طرف السلطات الإدارية الفرنسية الاستعمارية ليدلّه على شخصيّة دينيّة مثقّفة تتّسم بثقافة معاصرة واسعة يمكن مناقشته باللّغة العربيّة الفصحى،وأظنّه مستشرقا،فكان إختيارالقايد على الإمام محمد

---

[1]- د. سويلم مختار بن موسى: ذكريات من النضال والمقاومة للمجاهد أحمد مهاية (أحمد لعمى)، دار صبحي، متليلي، ص 147.

[2]- في:1953/1/03م، زار بريان الدكتور شاخت وعقيلته (مذكرات الشيخ البكري/ ص492)، وهذا يؤكد انه كان موجودا في المنطقة، ومن المحتمل ان يكون هو الذي التقى به الامام محمد بن عمر وحاوره في مسائل تتعلق بالاسلام والمسيحية. والدكتور جوزيف شاخت=

بن عمر بوحميدة إمام مسجد خالد بن الوليد آنذاك.حيث قال الرّاوي السيّد بونوة محمد بن عيسى المدعو(حمّة) وهو خال الإمام محمد بن عمر: بينما كنت جالسا في مدخل دكّان أحد التّجارمن جلسائي الدائمين نتجاذب أطراف الحديث،وهذا بالقرب من مقرّالقايد الّذي كان موجودا في ساحة سوق غارداية الّذي صارفيما بعدمقرّالحزب جبهة التحريرالوطني. قال الرّاوي: جاءني (المخازني) وهو أحد حجّاب القايد وكان يرتدي بدلته الرّسمية ليخبرني أن القايد يدعوني للحضورفورا، فلمّا دخلت عليه وجدت عنده رجلا ذا بشرةأوروبيةيرتدي بدلة أنيقة.واصل الراوي قائلا:بادرني القايد بالسؤال التّالي وهويعلم حقيقة قرابتي من محمد بن عمر: مارأيك،أين يكون الإمام محمد بن عمر؟فقلت:لا يكون إلاّ في بيته أوفي مقصورة المسجد كماجرت العادة.فاستطردالقايدقائلا: اذهب إليه فأخبره بأنّ شخصا أوروبيّا يريد لقاءك. قال الراوي:ذهبت إليه مهرولا إذا هو موجود– فعلا– في مقصورة المسجد فأخبرته بذلك ،فلبّى الإمام الطّلب بدون تردّد فأردف قائلا: "خذ منّي هذه النّقود فاشتر بها قطعة جبن (كمارية) ورطلا(كوكاو) وربطة نعناع من عند سي دربال ثم اصطحب معك ذاك الرجل (الضيف) [1]ففعلت."قال الرّاوي:اصطحبت معي الضيف ثم قدّمته إلى الإمام محمد بن عمر فاستقبله بحفاوة، فبدت على قسمات وجهه ابتسامة عريضة تنمّ عن حسن الاستقبال فأجلسه على كرسيّ خشبيّ معدّ لاستقبال الضيوف وجلسا معا متقابلين وجها لوجه تتوسّطهما طاولة خشبيّة ملائمة وأمّا أنا فجلست في زاوية من المقصورة أعدّ لهما الشّاي الأخضر." واصل الرّاوي حديثه قائلا: تبادل الطّرفان عبارات التّعارف بينهما وشرعا في الحديث باللغة العربيّة الفصحى، وأمّا أنا فلم

=هو مستشرق وباحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية. متخصص في الفقه الإسلامي. له مؤلفات عدة أبرزها "بداية الفقه المحمدي" طبع في 1950م، والذي حلل فيه فقه الإمام الشافعي ورسالته الشهيرة بالإضافة إلى تحليل نشأة علم الحديث. موقع ويكيبيديا تاريخ المعاينة:2021/8/2م.

[1] رواية عن خاله بنوة محمد (حمة) بن عيسى

أكن أفهم اللغة العربية بدقّة ولكنّني كنت أفهم المعاني بالإشارات وببعض الكلمات القريبة من الدّارجة وبينما كان الحوار يدور بينهما كنت أناولهما الشّاي. استغرق الحواربينهما نيّفا وساعة، وكانت تبدو على محيّا الضّيف علامات الرّضى وفي الختام تصافح الطّرفان وتعانقا،فشكرالضّيف الإمام محمد بن عمروأثنى عليه وعلى كرم الضّيّافة معترفا له بثقافته الواسعة قائلا: لقد ناقشت بعض الشّخصيّات الدينيّة والعلميّة في بعض الجهات من الجزائر فلم يقنعوني بقدر ما أقنعتني! ثمّ اصطحبته إلى مقرّالقايد وودّعته فشكرني على مصاحبته.

- بونوّة محمد بن عيس -المدعو(حمّة).

-أعماله في النشاط الثقافي والدعوي والإصلاحي في المسجد:

لم تكن تزكيّة شيخه محمد الأخضر فيلالي اعتباطية أو محاباة له وهو ذو فراسة ،إنّما كانت شهادة لا يجرؤ كائنا من كان على أن يطعن فيها إلاّ من في قلبه مرض، ذلك بحكم حصافة رأي شيخه الأديب الأريب واستحقاق تلميذه محمّد بن عمر لها. فكان هذا الأخير جديرا بها وهذا بدون إطراء، وإشرافه على الحفل المذكورسابقا يعتبرمثالا على أهليته فلا ندّعي له الكمال ولا نزكّي على الله أحدا،فالله يزكّي من يشاء. وعليه كان لبروزالإمام محمد بن عمربوحميدة كمدرّس وداعيّةومصلح اجتماعيّ ومنّشط ثقافيّ ومناضل سيّاسيّ في الحركة الوطنيّة بعد ترسيمه إماما بمسجد خالد بن الوليد أثر بارز على مجريات الأحداث اللاّحقة في ظلّ هيمنة الوجود الاستعماري وسيّاسته المضلّلة وهذا ما أسفرت عنه الحقائق المشفّعة فيما يلي بالشّهادات الّتي أدلى بها من عاصروه أو سمعوا عنه من ثقاة عدول.

وبتنصيبه إماما في مسجد خالد بن الوليد كما جاء ذكره سلفا، سطع نجمه وتألّق اسمه فجعل من هذا المسجدمنارة،من خلالها يشعّ العلم وتتلألأ أنوارالثقافة من مشكاته فيقتبس منها كل توّاق وينهل من العلم كلّ صاد، فيما كان الجهل رابضا على كواهل المجتمع ومخيّما على عقول شريحة

كبيرة من الناس ردحا من الزمان نتيجة سـيّاسـة التّجهيل والتّدجيل الممنهجة الّتي سلّطهاالإستدمارعلى الشّعب الجزائري برمّته منذ وطئت أقدامه النّجسة صعيد الوطن الطّاهر.

لم تشهد مدينة غارداية زخما في النشاط الثقافيّ كذلك الّذي شهده عصر الإمام محمد بن عمر،اللّهم إلّا ذلك النشاط المحتشم في مؤسّسات أخرى حرّة،ليس له صدى وهوغيرمشبّع بالروح الوطنية والتّحدّي في مواجهة الإدارة الاسـتعمارية علنا ،عكس ما قام به هذا الرجل تسـفيها لأحلام الاسـتعمارومناهضـة له بدون اللّجوء إلى التّقيّة،فأخذ-رحمه الله- يولي بالغ العناية والاهتمام لفئة الشّباب بجنسيهم فتية وفتيات على غرارما قام به رجال الإصـلاح من أمثال الشـيخ عبد الحميد بن باديس ونائبه محمد البشيرالإبراهيمي والشيخ الشهيد العربي التّبسي والشّيخ الطّيّب العقبي -رحمهم الله جميعا-وإنّا لنرانا مدينيين لهم بالعرفان فنسأل الله لهم الرحمة وجنة الرضوان-آمين- .

وإليك أخي القارئ أختي القارئة الحقيقة التي أسـفرعنها في الشّـأن د/أ محمد عبدالحليم بيشـي بقولـه في مؤلّفـه:"من نشـاطات الكشّـافة المسرحيات،الأناشيد،حيث كان مسجد المذابيح يشـهد نشـاطا كبيرا من ورائـه محمد بن عمروالطّـالـب إسـمـاعيل وغيرهمـا من المؤطّرين الوطنيين أمثال: محمد جبريط وعبد العزيز محمد" [1].

-نشاطات المجموعات الصوتيّة وفرقة المسرح:

لعلّك أخي القارئ أختي القارئة أنّك ستستغرب (ي) إذا قلت لك إنّ الإمام محمد بن عمر بوحميدة - رحمه الله - إنـه كوّن مجموعـة أو مجموعـات صـوتيّة من البنين والبنات كانت تصـدح بأنغامها الشّـجيّة وأصـواتها المنسـجمة الّتي كانت تنبعث من حناجرالفتية والفتيات بقوّة حتّى بات

[1]-د/ محمّد عبد الحليم بيشي: تطوّر الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة، الجزائر، ص82.

صـــداها يضـــرب الآفاق فيدوّي آذان حاكم الملحق العســـكري المحلّي وزبانيته وبطانته العميلة فيؤرّقهم ويقضّ مضاجعهم.

- تحدّيه الحاكم العسكري وحاشيته أثناء حفل ديني في المسجد:

وإذا ما حضـــرالحاكم العســـكري وحاشـــيته والرّهبان حفلا بمناســـبة ما،خاصّـة ليلة المولد النّبوي الشّريف على سبيل المثال من تلقاء أنفسهم ومجاملة منهم،وهذا لإظهارروح التواضـع والتسـامح المبطّن حضـروه مذعنين صـــاغرين ذلك لأنّ من عادة الحاكم والتّرجمان ومرافقيهم أنّهم كانوا يحضـــرون الحفل في مؤخّرة المســـجد بعد أن هيّأ لهم المنظّمون مكانا خاصّا لجلوسهم فتوضع طاولات وكراسي خشبيّة لأنّه من المتوقّع حضـورهم كما جرت العادة وذلك في مكان ليس فيه حصـير ولا فرش ولمّا احتجّ أحد المصـــلّين على ذلك ردّ عليه الإمام قائلا: "إنّ أحذيتهم أطهر منهم ." فيغتنم الإمام محمد بن عمر فرصة تواجد هؤلاء فيفاجئهم بظهورالمجموعة الصّوتية فيأمرعناصـرهابالإنشـاد،ومن الأناشـيد الّتي كان يواجه بها الحاكم وحاشيته نشيد " شعب الجزائرمسلم " و نشيد " دمت يا بيضـاء مادام الزمان و"يا شباب أحمد لوذوا بالإله ... "والقصد من ذلك هو تحّديه لهم وكسـرحاجزالخوف الّذي كان ينتاب الناس وذلك بغرس الرّوح الوطنية والقيم الدينيّة الصّـــحيحة والإنتماء القومي في نفوس الشّـباب -علما أنّه لم تكن في ذلك العهدأجهزة صـوتية- وهذا ما جعل التّرجمان يلتفت بين الفينة والأخرى إلى الحاكم فيناجيه مبديّا امتعاضـه من تحدّي الإمام للسّلطات،ما جعل وجه الحاكم يتمعّروذلك ما كان يظهرعلى ملامح الرّهبان ومن معهم ،ولقد صـرّح الأسـتاذ محمّد بوعبدلي بن الطيّب بن علي أحد طلبة الإمام محمّد بن عمرمايلي:"لقد كلّفني أســـتاذي محمّد بن عمربإنشـــاد الكلمات التالية أثناء حفل أقيم بمناسبة المولدوقال لي " ارفع ذراعك الأيمن وحرّكه -كشعارللتحدّي - بينماكانت المجموعة الصوتية تردّد معي نفس النّغمة ونفس الحركة":

هكذا يموت الرجال ليحيا الدين والوطن والإيمـان

وهكـــذا يعـذّب الأبطال لـيرفع لــواء الإسلام

وذلك ما يفرضه الإسلام (تكرّر3مرّات بأصوات عالية)

وكان للفتيات -آنذاك-نصـيب من هذا النّشـاط ويتجلّى هذا في المناسـبات الدينيّة والعرفيّة خاصّـــة، كالأعراس وحفلات الختان... ولا تزال اثنتان منهنّ على قيد الحياة إلى سـاعة كتابة هذه السّـطوركما سـبق ذكره،وقد بلغتا من الكبرعتيّا، لكن ما فتئت ذاكرتاهما غضّـــتين تحتفظان بتلك الذكريات المجيدة.

وكم هو جميل عندماكنّا نسـمع ونحن فتية أنشـودة نسـوية ، فحواها التّغنّي بشخصيّة الإمام محمد بن عمر وذكر مآثره ومواقفه وما حدث له عندما احتجزســنة 1952م على خلفية تحدّيه للإدارة الفرنســية - كما سـيأتي - وكلّ هذا كان يجري في البيوت لاسـيما في الأعراس وكانت أهازيجهنّ مصـــاحبة للضّـــرب على الدّفوف والطّرق على القارورات الزجاجية بالملاعق المعدنية كأدوات للطّرب فتحدث رنّة كأنّها الموسيقى وقد يصـاب المرء بالذّهول والاستغراب عندما يسمع لأول مرّة عن هذا النشّاط،وكأنّهنّ يتحدّين الإدارة الفرنسية بطريقتهنّ الخاصّة.

- ولمزيـد مـن الاطّـلاع علـى دورمحمّـد بـن عمرفـي النشـاط الثقـافي والعمـل النضـالي بإمكـان السـادة القـرّاء الإسـتعانة بـالرابط التـالي عبـــر اليتيوب:"الإمـــام محمّـــد بـــن عمربوحميدة"لمشـــاهدة النـــدوة التاريخيـة التـي حضـرها بعـض طلبتـه ورفاقـه فـي النضـال بتـاريخ 26 /03 /2022حينهاأدلى كلّ بشهادته كشاهد على العصر.

-الإمام محمد بن عمر يناصر قضية فلسطين وشعبها:

وحيث أنّه لم يكن في علم جيل هذا الزّمان أنّه فضلا عن المجموعات الصّوتيّة كانت تقدّم في المسجد مسرحيات كمسرحية حول فلسطين بقلم الإمام محمد بن عمرو بمساعدة السّيّد محمد عبد العزيز في التنشيط .

حيث أنّ تلك المسرحية كان موضوعها يتمحورحول فلسطين ومعاناة شعبهاواغتصابها من طرف الصّهاينة منذ سنة1948،وكان العرض المسرحي يحاكي ما يجري من أحداث في الأرض المحتلّة وممارسات الصّهاينة العدوانية ضد شعبها.ولازلت أحتفظ بجملة ذكرت في نصّ تلك المسرحية التي عرضت في المسجد،وجدت مقطعا منها في ثنايا كتاب للوالد - رحمه الله - حيث جاء فيه مايلي بالحرف:إنّ كلّ فلس تسلّمونه ليهوديّ تكونون قد أعطيتموه رصاصة ليقتل بها إخوانكم في فلسطين.هذا إشارة لمقاطعة اليهود المحلّيين المساندين للمحتلّين،وذلك في التّجارة أينما حلّوا و ارتحلوا، هذا ما أثار حفيظة السلطات الفرنسية فضلا على التّشاط الكشفي حين كان الكشّافة يهتفون بنصرة العرب ومناهضة اليهود الغاصبين بروح التّحدّي أثناء تواجد السلطات الإدارية الممثّلة في القائد العسكري المحلّي والترجمان و حضورممثّلي الكنيسة.

والدّليل على ذلك ما جاء على لسان شاهد على العصر الأستاذ المجاهد السيّد محمد جبريط فيما يلي:" حيث أن المسجد تحوّل إلى شبه ثكنة وفوج الكشّافة إلى شبه فرقة عسكرية تصدح في الميدان بأناشيدها وهتافاتها وكأنّها في ساحة القدس الشّريف وتنادي" الله أكبروالنّصر لفلسطين "وهو ما أثار انتباه السلطة الاستعمارية ودعا نائب مسؤول الملحق العسكري السيّد: "مازرلي" إلى زيارة مباغتة من حين لآخر نجم عن ذلك اعتقال محمد عبد العزيزوطرده من غارداية،وتضييق

الخناق على النشـــاط المســـجدي وبالمقابل اتّســـعت حركة الطلبة واستمرّت خارج المسجد في المناسبات الدينية والاجتماعية" . اهـ [1] واصل المؤلّف شهادته وهوأحد الذين عايشوا الأحداث عن كثب وكان ملازما للإمام محمد بن عمرحتّى قيام الثّورة،حيث قال:"... القيام بدعايات معادية لفرنسا في أوساط الطلبة بمسجد الإمام بوحميدة محمد بن عمر وخلال الولائم والأعراس".اهـ [2]

-نشاطه الدّعوي والإصلاحي ميدانيّا:

من اهتماماته إصـلاح الشّـباب وحمايته من الآفات وذلك بغرس الوازع الدّيني والرّوح الوطنيّة في نفوسـهم إذلم يقتصـرنشـاط الإمام محمد بن عمر بوحميدة على اهتمامه بالمجال التّعليمي والنّشاط الثّقافي فحسب بل تعدّاه إلى المجال الدّعوي والإصـــلاح الاجتماعي وهذا ما شـــهد له به كثير ممّن عاصـــروه،منهم من وافاه الأجل مثل :أولاد قويدرالحاج (شـــبيب)-رحمه الله- أحد أكبرأعيان عرش المذابيح صـــاحب مصـــنع مبرّدات ومحرّكات السّيّارات والشّاحنات وهو أحد أثرياء غارداية الّذي أشاد به في مجلس ببيته الكائن بحيّ شعبة النيشان بحضورثلّة من النّاس متفاوتي الأعماروالمســـتويات فعدّد خصـــاله،منها نضـــاله في شـــتّى المجالات،أهمّها دوره الدّعوي والإصـلاح الإجتماعي فضـلا عن دوره التّربوي في مســجد خالد بن الوليد.وما فتئ محبّوه من الذين عاصــروه يدّخرن له ذكرمآثره الّتي من بينها مبادراته وجهوده الإصـــلاحية،ولقد أولى-رحمه الله- اهتماما كبيرا إلى فئة الشّـــباب الّذين كان يعتبرهم في طليعة الأمّة وهم أملها المنشـود فأخذ يسـعى في إصـلاحهم بالموعظة الحسـنة والتّقرّب منهم حتّى لا يسـقطوا في شـراك الإدارة الاسـتعمارية التّي كانت تسعى من جهتها إلى قنصهم بوسائل الإغراء الّتي أعدّتها

---

[1]- المجاهد أ/ محمّد جبريط (مصدق): على مدارج النضال والثورة، ط/1، 2015 ص52-53

2)-المجاهد محمّد أ/ جبريط: نفس المرجع السابق، ص 105

واعتمدتها وفق ما تمليه عليها سيّاستها الرّامية إلى نشرثقافة النّسيان في أوساط الشّباب ومنها أن يقرأوا بدون فهم كتحريف النّصوص التّاريخية الوطنيّة والقوميّة كاعتبارالأميرعبد القادرقائداعسكريّا منهزما أمام الجيوش الفرنسية في قصيدة كان التلاميذ يتغنّون بها في شكل أنشودة جماعية وأمّا التّعليم فكان يعتمد فيه على منهج الطّبقيّة أوالتعليم الموجّه إلى الأهالي والتّعليم الموجّه إلى الطبقة الأرستقراطية من أبناء ألأوروبيين ومن على شاكلتهم من أصول جزائرية الموالين لفرنسا ومنهم أبناء القيّاد وحاشيتهم .

وأمّا من استفاد من التعليم من أبناء العامّة فهم قلّة ممّن حالفهم الحظّ نسبيّا،وعليه،فإنّ لسيّاسة التجهيل الممنهجة انعكاسات على أخلاق الشباب وطباعهم وبالتالي صرف اهتمامهم عن عقيدتهم الصّحيحةلا سيّما منع تعلّم اللغةالأمّ،وتشجيع بائعي الرّذيلة بكلّ أنواعها كفتح الحانات والمواخيرلنشرالدعارة والتي دأب الشباب على ارتيادها وتشجيع أصحاب الطّرق الدّينيّة الّتي لا تمتّ بصلة إلى الدّين الحنيف ونشر الخرافات .

والهدف من ذلك كلّه مواجهة رجال الإصلاح الممثّلين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك ديدنه ومن بينهم الإمام محمد بن عمر بوحميدة منذ ترسيمه معلّما وإماما سنة 1946كما جاء ذكره سلفا إذ سعى –رحمه الله- حثيثا في مواجهة تلك السّيّاسة وواظب على العمل الإصلاحي لمواجهتها إلى أن اعتقل في03 فيري 1957على خلفيّة الإضراب العام الّذي أعلنته جبهة التّحرير الوطني ،وبهذا العمل يعتبرالإمام محمد بن عمر مصلحا اجتماعيا وداعيّةفضلا عن كونه مناضلا في الحركة الوطنيّة في تلك الفترة ومجاهدا أثناء الثورة.

ظلّت عنايته بالشباب-رحمه الله-شغله الشّاغل حرصا منه على حمايتهم من الآفات والوقوع في حمأة الرذيلة التي كانت تسعى إليها الإدارة الإستعمارية وذلك بتكريس سيّاستها الاستعمارية وتشجيعها بكلّ ما

سخّرت من وسائل كما هو معلوم،لكنّه-رحمه الله- كان يرى أنّ الخطاب المسجدي وحده لا يكفي لتحقيق ما يهدف إليه ما لم يكن الاتصال مباشرا بالشباب والتقرّب منهم تواضعا منه فيحثّهم على الالتزام بالأخلاق والمحافظة على القيّم الدينية والخلقية والوطنية وذلك ما يزيح الحاجز النفسي الّذي قد يكون سببا في تعطيل أداء مهمّته .أمالجانب التطبيقي في الدعوة والإصلاح الاجتماعي فكان-رحمه الله - يفتح بيته لكلّ من طرق بابه فيستقبله برحابة الصدروبدون تحفّظ ولقد خصّص لذلك غرفة لاستقبال الضيوف،من بينهم الشباب فيقريهم بما تيسّرله ممّا لذّ وطاب، فكان كريما، مضيافاعلى الرغم من حاله المتواضعة كما هوشائع عندمعاصريه الّذين شهدوا له بالمحام والمكارم والسخاء الحاتمي وفي بعض الأحيان يستقبلهم في مقصورة المسجد الّتي عادة ما يقضي فيها معظم وقته .

لعلّ هذا الدور الإيجابي قد يكون سببا في استقطاب الشّباب والكهول على السواء من أجل صدّهم عن مروّجي الرذائل والخبائث ومن بين هؤلاء اليهود الذين كانوا يبتزّون أموال الناس ببيع الخموروالتعامل بالربا الذي كان سببا في إفلاس الكثيرين ما اضطرّهم إلى التنازل عن دورهم وبساتينهم مكرهين مقابل مبالغ زهيدة ،وذلك في المزاد العلني نتيجةمضاعفة الربا أضعافا مضاعفة،ناهيك عن انتشارالدعارة المرخّصة قانوناوالعشوائية التي من انعكاساتهاالإصابة بالأمراض الجنسية المعروفة في ذلك الوقت كالزهري أوالسيلان...إلخ.

وتحضرني قصّة لهاعلاقة بالربا حيث أنّ شخصا (ش ي) - مربّي مواشي- روى لي ما يلي:"أنّ أباه بوجمعة سبق له أن اشترى مضطرّا عنزات بمال ربويّ استقرضه من يهوديّ وبعد ذلك استفتى الإمام محمد بن عمرفي الشأن فتمعّروجه الإمام ورفع يديه إلى ناصيته معبّرا عن استنكاره صارخا:"زقّوم،زُقّوم،زقّوم!" يعنيحرام ثلاثاوأردف قائلاله بأسلوب طريف: إذا كانت لديك عنزات في الإسطبل اشتريتها بمال حلال فاعزلها عن تلك التي اشريتها بالقرض الربوي لأنّه إذا سقط مطر ثمّ

انتفضت فبلّلت الأخريات تمسي كلّها حراما،وهذا حتّى لا يترك له وقتا لاستفتاء قلبه مراعاة لمستواه العقلي عملابقول الإمام علي بن أبي طلب -رضي الله عنه-:"حدّثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذّب الله ورسوله"[1] ويقول ابن مسعود :"ما أنت بمحدّث قوما حديثا لا يبلغ عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة" [2]

وإليك أخي القارئ، أختي القارئة مرويّة عن شاهد عيان، حيث قال الرّاوي بصدد تعقّب الإمام محمّد بن عمرالشباب ومحاولة إصلاحهم :

"بينما كنت مارّا بالقرب من حانة "مادلين" بوسط مدينة غارداية شاهدت الإمام محمد بن عمر وهو خارج منها فاستغربت الأمر لأول نظرة ،لكنّني أيقنت فيما بعد أنّه في مهمّة للدّعوة والإرشاد وكان يقصد أبناء المدينة كما عرف عنه فيما كان يرتدي عباءته وعمامته كالعادة .اهـ [3].

وكان –رحمه الله- يتنقّل من حيّ إلى آخر بخطى حثيثة ساعيّا في البحث عن شباب ضلّوا السّبيل كناحية "ميدني" على حافة الوادي لدعوتهم إلى الرّشد والإستقامة وترك الموبقات كتعاطي الخمور.

ولازالت تتوالى عن شهود عيان مرويّات حول مهمّة الإمام محمد بن عمر تبرزدوره في الدعوة والإصلاح الاجتماعي وهي كثيرة لا تحصى وكلّ ما ذكرته أو ما سأذكره هو ما سمعته شفاهة عن أناس ثقاة ،حيث روى لي أحد أربعة ممّن زاروا الإمام محمد بن عمر في بيته بغرض دعوته لحضورحفل زفاف رفيقهم وهوأحد المسرفين المنبوذين اجتماعيا حيث قال الراوي(أ. ق):كان صديقنا(م. ط) مقبلا على الزواج فذهبنا إلى الإمام محمد بن عمرمن أجل دعوته لحضورعرس صديقنا هذا والإشراف على تنظيم الحفل كما جرى به العرف ولمّا اقتربنا من بيته لم يجرؤ أيّ منّا بطرق الباب حياءً منه فأرغمنا أحدنا على ذلك لكونه أحد أبناء عشيرته فما إن سمع الطرق حتّى خرج إلينا، فاستقبلنا بوجه طلق

---

1)رواه البخاري في كتاب العلم موقوفا على علي -رضي الله عنه- انظر "الفتح":225/1
2)رواه مسلم في مقدّمة "الصحيح " موقوفا على ابن مسعود-المصدر السّابق-
)السيّد: خنّان عبدالله بن حرز الله الذي كان يعمل في الصيدلية العمومية في وسط 3المدينة

فافترّ مبتسما ،مستبشرا وهذه عادته وقال لنا :هذا يوم سعيد أن زرتموني في بيتي.

ولم نكن نحن مطمئنين لأنّنا ظننّا أنّه سيرفض طلبنا ذلك لأنّ كثيرا من الشيوخ كانوا يمتنعون عن حضور المناسبات خاصّة أزفة تاركي الصلاة او المنحرفين براءة منهم وهذه العقوبة الصّارمة كانت سارية المفعول في ذلك العهد ما جعل كثيرامن الشّباب ينأون بأنفسهم عن المسجد لكنّ الإمام محمد بن عمرلم يكن يطبّقها واعتبرهذا الإجراء سببا في إحداث قطيعة بين الدعاة والمسرفين ما يجعلهم لقمة سائغة في أفواه الإدارة الفرنسية وعملائها إن لم أقل صيدا وفيرا في أيادي الطامعين الّذين لم يألوا جهدا من أجل تحقيق أحلامهم.

استطردالرّاوي قائلا: وبعد دردشة قصيرة معه عرض عليه صاحبنا المفوّض الموضوع فأعرب عن قبوله بدون شروط مسبقة وبدون أدنى تحفّظ قائلا: سأحضرحفل الزّفاف وسنجعل منه حفلا بهيجا منقطع النظير.وفعلا حضرالإمام محمد بن عمرحفل زفاف صديقنا(م ط)وأحضرمعه المجوعة الصوتية المكوّنة من الشباب التي أطربت الحضوربأناشيد إسلامية شنّفت الآذان،لقدحدث هذا في بداية الخمسينات من القرن العشرين قبل اندلاع الثّورة ولم تكن في ذلك العصر مكبّرات الصّوت لكنّ الفضاء كان مساعدا لإحداث صدى في الآفاق نظرا لقلة السّكنات والسكّان معا ،أضف إلى ذلك سكون الليل وقبل تتويج العريس قام -رحمه الله- فألقى موعظة كان لها وقع في [1] نفوس الحاضرين الشباب خاصّة ثمّ خلا ببعضنا قائلا: غدا صباحا -إن شاء الله-لابدّ من القدوم إلى بيتي رفقة العريس بعد زيّارة أصهاره -وهي عادة تسمّى "كبّ الرأس" – ومن الغد ذهبنا إلى بيته فأدخلنا غرفة الضيّافة وقد أعدّ لنا الشّاي وبعض الإكراميات كجبنة حليب الماعزالمسمّاةمحليّا (الكمّارية) والفول السوداني .

[1])رواية عن أحد رفاق الجماعة (ق.أ)

وكان ذلك اليوم يوم جمعة وفي أثناء تناول فطور الصّباح حدّثنا حديثا شيّقا يأخذ بالألباب فما لبث أن قال لنا : اليوم الجمعة فهو عيد المسلمين أدعوكم فيه لحضورخطبتي الجمعة وصلاتها وإنّي لأعلم أنّها ستكون أوّل صلاة لكم وسأخصّص لكم مكانا في الصّفّ الأوّل وسيكون حضوركم قبل الآذان ولا تبالوا بمن ينظرون إليكم باستغراب،فتقبّلنا منه ذلك باحتشام لكنّنا حضرنا جميعا وكان لخطبة الإمام محمد بن عمرأثرعميق في نفوسنا وكأنه يستهدفنا ثمّ بقينا مواظبين على صلواتنا وبعد أيّام دعانا -رحمه الله- إلى مقصورة المسجد قائلا لنا:أعلم أنّكم بدون عمل ،خذوا منّي هذه الرسالة واذهبوابها إلى السمّار بالقرب من العاصمة وسلّموها لفلان فسيشغّلكم في معمل الآجور.

وفعلا قصدنا ذلك الشّخص فأمكننا من الحصول على عمل في معمل الآجورلكسب قوتنا وقوت عائلاتنا وهذا بفضل الله أوّلا وبفضل مسعى الإمام محمد بن عمر بوحميدة .

و في هذا السـيّاق لابدّ من سـرد قصّـة رجل كهل وهوربّ عائلة كبيرة كان يسـكن بجوارمسـجد حيّ الحفرة وكان مدمنا على تناول أمّ الخبائث فلا يدخل بيته إلاّ ثملا فدعاه الإمام محمد بن عمرلأداء الصـــلاة في المســجد لكنّ هذا الرّجل برّرامتناعه عن الصـــلاة لكونه يتعاطى النبيذ باســتمراروأنّ الطبيب قد نصـــحه بعدم التخلّي عن شـــرب الخمروإلاّ فالموت الزؤام مصـــيره وكان هذا الشـــخص قد ناهز الخمســـين من العمرأوتجاوزها بقليل،وبعدعدّة محاولات لم يجد الإمام محمد بن عمر بوحميدة -رحمه الله-بدّا سوى أن يقول لهذا الشخص:عليك أن تأتي إلى المسجدوزجاجةالخمربيدك لكن اتركها في زاوية من الميضاء فتوضّأ ثمّ قم فصـــلّ وأنت في كامل قواك العقلية ،وكأنّي به يريدأن يجري عليه قوله تعالى الآية المنســوخة: "ولا تقربواالصّــلاة وأنتم ســكارى حتّى تعلموا ما تقولون." هذا من باب التيسـير الآني أو العلاج التدريجي لعلّ الله يهديه فيكفّ عن شرب أمّ الخبائث،لاسيّما في ذلك العهد.

رافق الإمام محمد بن عمرهذا الرجل ولم يتخلّ عنه حتّى أقلع عن تلك العادة السيئة وتوفي على توبة -رحمه الله- وعند زيّارتي لأكبر أبنائه لم يتحفّظ هذا الأخيرأي لم يرمانعامن أن يترحّم على الإمام محمد بن عمر مشيدا بأعماله وجهاده دون أن ينسى ما قام به من واجب إزاء والده على أن خلّصه من أمّ الخبائث وكان سببا في هدايته وهداية كثير من الناس ممّن ضلّوا السّبيل

مع الملاحظة أنّ هذا الرجل صاريرتادالمسجد ولم يسبق له أن أتى إلى الميضاء وبيده زجاجة الخمر-طبعا- إلى أن وافاه الأجل.

وفي سيّاق الحديث عن الدعوة والإصلاح وتربيّة النشء كان الإمام محمد بن عمر-رحمه الله- يلاحظ تحرّكات الشباب ويتابعهم ويوجّههم حتّى لا تضيع جهوده هباء منثوراوتحضرني قصّة أحد الشباب الذين كانوا متيّمين به وحظوا بعنايته ورعايته -وهوأكبرأبناء هذا الأخير-منذ نعومة أظافرهم حين قال لي :كنت أنا ومجموعة من أترابي في فترة الشّباب في سهرة نلعب لعبة اللّوطووكنّا نتوارى عن الأنظارخلف قمرة المولّد الكهربائي بحيّ الباب الجديد وهذا في إحدى ليالي رمضان وقد أزف وقت صلاتي العشاء والتراويح وكان الإمام محمد بن عمر بصدد البحث عنّا فوشى بنا شخص،إذاالإمام يفاجئنا ويقول لنا:يا أبنائي أليست الصلاة أولى من اللّهو؟ ثمّ أردف قائلا: ما اسم هذه اللّعبة؟ قلنا إنها لعبة حديثة تنمّي وتنشّط الفكر،فأطرق قليلا وعقّب علينا بقوله مازحا: قوموا لأداء صلاتي العشاءوالتراويح وبعد ذلك عودوافاستأنفوالعبتكم وسأقضي معكم ساعات في السّمر وحينئذ علّموني هذه اللّعبة لعلّي أنمّي بها فكري!

لعلّك أخي القارئ أختي القارئة استنتجت من خلال هذا العرض المبسّط أنّ الإمام محمد بن عمربوحميدة كان يولي بالغ الاهتمام إلى المسرفين والمقصّرين ولم يفرّط في الشباب خاصّة أولئك الذين تلقوا دروسهم وتربيتهم عليه في المدرسة التي كانت في مسجد خالد بن الوليد بحيّ الحفرة -غارداية- وما من شأن من شؤون المجتمع سواء من الناحيّة التربويّة والأخلاقيّة الصّرفة و الدينيّة أو من الناحيّة الاجتماعية

كإصـــلاح ذات البين و فكّ النزاعات البينيّة ،بين الأفراد والأســرأو بين الجماعات المتخاصمة في عهده إلاّ كان له حضور فعلي فيها .
والهدف من ذلك هوسدّالذرائع بالنّسبة للشّاب وقطع الطريق على الإدارة الفرنســية وعملائها وتســفيه أحلام قادتها حتّى لا يتمكّنوا من إيقاع فئة الشّـباب في حبال السّـيّاسـة الفرنسـيّة الرّامية إلى تكريس مبدأ التّضـليل وإنّي لا أجد مندوحة للخوض في هذا الشـأن نظرا لكثافة نشـاط الرجل - رحمه الله- طيلة تواجده في الميدان كإمام وداعية في آن.

-من مآثره إصلاح ذات البين:

-إنّ أسلوبه الدعوي يعتمد على اتّباع فقه الأولويات

ومن يتأمّل أسـلوب الإمام محمد بن عمربوحميدة في الدعوةوالإصـلاح يجده يعمل على ضـوء فقه الأولويات دون الإخلال بما ندب إليه الشّـرع وأقرّه كلّ من الكتاب والسنة والإجماع مراعاة لمقاصد الشريعة السمحة ولا يقفوما ليس له به علم كما جاء في قوله تعالى: **"قل هذه ســبيلي أدعو إلى الله على بصــيرة أنا ومن اتّبعني و ســبحان الله وما أنا من المشركين "** الآية 108يوسف

لعلّ من أعقد مهامّ المصـلح الاجتماعي مهمّة إصـلاح ذات البين لأنّ إرضاء الناس غاية لا تدرك ولقد حثّ ديننا الحنيف على ذلك حيث جاء في قوله عزّو جلّ: **"يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله وللرّسول فاتّقوا الله وأصـلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسـوله إن كنتم مؤمنين"** الآية 01الأنفال، هذا سواء أكان على مستوى الأفراد أم الجماعات المتساكنة، فقليل من النّاس من يوفّقه الله في أداء هذه المهمّة بنجاح ،خاصّـــة في الفترة الإسـتعمارية إن لم يكن ذا فراسـة ويحظى بالثّقة والاحترام ومن الجرأة ما يجعله لا يخشـى لومة لائم ،يتحدّى بها كلّ من تسوّل له نفسـه اعتراض سبيله ومن الوقاروالعفّة ما يجعل مهمّته موفّقة فضلا عن العلم الشّـــرعي وهذه العناصـــرمجتمعة قد تؤهّله لأداء هذه المهمّة المعقّدة بالتوفيق من الله تعالى .

لذا كان الإمام محمد بن عمربوحميدة - رحمه الله- من أبرز الشخصيّات الذين سعوا في هذا المجال بكلّ اقتداروخاضوا فيه بكلّ روح المسؤولية حتّى لا يلجأ الناس إلى حلّ مشاكلهم ومنازعاتهم في المحاكم الفرنسية الإستعمارية أي التّحاكم إلى الكفّار. وممّا ساعده على أداء هذه المهمّة بنجاح في حلّ العديد من ألقضايا الشّائكة خطابه المنبري في مسجد خالد بن الوليد -غارداية- أوحينما كان يلقي دروسا وعظيّة تحثّ على التّعايش والتّآخي وعدم التّقاضي لدى الكفار وذلك في الجمعات وفي حلقات الدّروس العادية وفي المناسبات الدينيّة وفي الأعراس غير آبه بقيود الإدارة الإستعمارية والمراقبة الطارئة من قبل ترجمان قائد الملحق العسكري كما سبق لي ذكره ومن هذا المنطلق ذاع صيته فنال ثقة الناس به خاصّة بعد أن توسّموا فيه الشجاعة والإخلاص وروح التحدّي .

ومن أهمّ القضايا التي كان يعرضها على الملإ مطالبته ومناشدته الناس بمقاطعة المحاكم الفرنسية وعرض مشاكلهم وخصوماتهم على لجنة الصلح الخاصّة بالمسجد التي كان يرأسها هو نفسه .

ولقدوجد هذا الطرح تجاوبا كبيرا من غالبية الناس وكثيرة هي القضايا الشّائكة التي كانت حبيسة الأدراج في المحاكم الفرنسية كمحكمة البليدة قد حلّت في جلسة واحدة تحت إشرافه ولم تستغرق إلاّ وقتا وجيزاوهذا ما خفّف أعباء المصاريف عن الأطراف المتنازعة واستئصال السخائم والإحن والضّغائن (الأحقاد الكامنة في النّفوس).وكان-رحمه الله- يلجأ إلى حلّ بعض المنازعات وفضّ الخصومات بنفسه ولو كلّفه ذلك تجشّم وعثاء التنقّل إلى مكان الحدث على الرغم من ندرة وسائل النقل حيث لم تكن هذه الوسائل في متناول الجميع خلافا لما هو عليه الحال في زمننا الراهن ،فمن يرغب في التّنقل إلى ضاية بن ضحوة -مثلا-عليه أن يقدّم طلبا مكتوبا إلى إدارة الآباء البيض ليستأجرإحدى سيّاراتها رفقة جماعة مقابل تعبئة خزّانها بالبنزين .

وفي السيّاق عنّ لي أن أسرد قصّة رجل نشزعن أهله مدّة طويلة ولم يكن بوسع أحد ولوكان من ذ وي القربى أومن عشيرته بعد محاولات فاشلة

أن يحلّ مشكلهما ولمّا علم الإمام محمد بن عمر بذلك اضطرّ لزيّارة ذاك الرجل في ضاية بن ضحوة – على مسافة11كلم من غارداية -بدون سابق إشعارعملا بقوله تعالى: **"وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصّالحا بينهما صلحا والصّلح خير " الآية 127النّساء**

حاول الإمام إقناع الرجل بالعدول عن موقفه بعد أن أحسّ منه التشنّج في رأيه فاهتدى -رحمه الله- إلى فكرة،أن عرض عليه إجراءرقية شرعيّة، فقبل بذلك طوعا فقضى ليلة عنده فرقاه وكانت النتيجة أن هدى الله الرجل إلى رشده وعادت الميّاه إلى مجراها الطبيعي-رواية عن أحد أقاربه - (ع ل) هكذا كان دورالإمام محمد بن عمر بوحميدة ،كان له إحساس بما يعاني منه المجتمع فيسعى لحلّ مشاكله ويعالجها بما أوتي من حكمة وحصافة رأي.

وحدث في مدينة برّاقي أن تخاصم شقيقان على مبلغ معتبر من المال قد أودعه أحدهما عند الآخر وكان قد نزل عنده ضـــيفا لبضـــعة أيّام بعد عودته من فرنسـا كمغترب ولمّا طلب هذا الأخير من شـقيقه أن يسـلّمه الوديعة أنكر عليه ذلك فاشـتدّ الخصـام بينهما ما أدّى أن اسـتلّ ألمؤتمن عليه مديته وهدّد شقيقه بطعنه إ ن لم ينصـرف عنه ، فلمّا بلغ الأمر إلى محمد بن عمر ســـارع -رحمه الله- إلى عين المكان لفضّ النّزاع لكنّ الأخ المؤتمن عليه برّر احتفاظه بالوديعة على أنّ أخاه كان مقيما عنده أيّامـا طوالا وترتّبت عليـه مصـــاريف بـاهظـة،ولمّـا رأى محمـد بن عمرالرّجل مصـــرّاعلى ذلك اقترح عليه أن يحتســب الأيّام الّتي أقامها عنده أخوه بتقدير الإيواء والإطعام حسب ما هو جاربه العمل في الفنادق والمطاعم وفعلا حلّ المشـكل وأعيد جلّ المبلغ إلى صـاحبه بعد اقتطاع قدر منه ثمّ فضّ النّزاع على مضـض بفضـل تدخّله-رحمه الله- وحدث هذا خلال الأيّام الأولى من الاستقلال وهذا بحضـوري شـخصـيّا ثمّ دعا الأخ الوافد للإقامة عنده مدّة ثلاثة أيّام وثلاث ليال فأكرم وفادته ريثما تسوّى وضعيته .

هذا بعض من مهمّة الإمام محمد بن عمر بوحميدة الإصـــلاحية ونظرا لحساسية المواضيع في ما يتعلّق بإصلاح ذات البين خاصّة بين الأزواج وبين الإخوة فإنّه من الصـعوبة بمكان التطرّق إليها بالتّفصـيل،لكن مهما عظمت المشـاكل الاجتماعية فإنّه- رحمه الله- استطاع حلّها وعلى الأقلّ تذليلها للحيلولة دون وصـــولها إلى المحاكم الإســـتعمارية،هذا قبل الاستقلال كما جاء ذكره سلفا .

علما أنّه إذا كانت القضـيّة تسـتوجب النّظر فيها من الناحية الفقهيّة فإنّه يسـعى إلى إيجاد الحلّ بمقتضـى الحكم الشـرعي وفي حالما إذا أشـكل عليه الأمر فإنّه يضطرّ إلى عرضها على الشّيخ الفقيه محمد بن الصالح بوزيدي المعروف بتضـلّعه في الفقه المالكي[1]وهوالذي أشـاد به الإمام محمد بن عمر بوحميدة قائلا: "هو بحر سبرت غوره فلم أجد له قاعا "

-كيفية تعامله مع البدع المنكرة – كنموذج - :

لا أكاد أنتهي من رواية حتّى تتبادر إلى ذهني أخرى هي من أيّام الإمام محمد بن عمر في الدّعوة والإصلاح حيث أنّني أنتقل بك أخي القارئ أختي القارئة من غارداية إلى برّاقي بعد الإستقلال حيث أنّه توجّه ذات يوم من برّاقي إلى العاصمة كما جرت العادة وكانت وجهته نحو المقبرة المسمّاة "مقبرة سيّدي عبد الرّحمن وسيّدي عبدالرّحمن هذا هو الوليّ الصّالح دفين تلك المقبرة والمقصود به العالم الجليل **"عبدالرّحمن الثّعالبي"**[2] ولم يكن القصد من ذهابه إلى هذه المقبرة زيّارة اعتيادية كما هو مباح شرعا لكنّها مهمّة خاصّة ،الهدف منها إزالة بدعة منكرة ما أنزل الله بها من سلطان، إنّما هي من فعل الجهلة .حيث أنّه -رحمه الله- أخذ معه كيسا(شكارة)ودخل المقبرة بعد الظّهر وهو متيّقن من خلوّها من

---

[1]- محمّد بن الصالح بوزيد ي إمام فقيه أسبق في المسجد العتيق -حيّ بني مرزوق غارداية توفّي في 2فيفري 1973 دفين مقبرة مرماد غارداية.

[2]- المرجع :اطلبه من الفيسبوك ،مفسر وفقيه مالكي صوفي ومتكلم على طريقة أهل السنة من الأشاعرة ولد بالجزائر (786هـ - 872هـ) - (1385م – 1479م) دفين الجزائر العاصمة .

الزّوّار فوجد ضريح الوليّ الصّالح مكسوّا بقطع قماش طويلة وعريضة ما يكفي لكسوة عشرات من المحتاجين،مختلفة الألوان يغلب عليها اللّونان الأخضر والأصفر وكذلك الحال بالنّسبة للأشجار حيث كانت هي الأخرى قد لفّت جذوعها وأفنانها بنفس الألوان والأنواع من القماش الجديد فنزعها كلّها ووضعها في ذاك الكيس حتّى انتفخ ثمّ أخذ يجمع الشّموع والنّقود والحلوى الّتي كانت داخل ضريح الوليّ الصّالح ثمّ جاء بالكيس يحمله على عاتقه-ومن هنا تبدأ طرافة القصّة -!

فلمّا دخل عقر الدار بعد العودة من العاصمة سألته الوالدة -رحمها الله-: ما هذا الّذي جئت به ؟ فأطرق هنيهة ثمّ فتح الكيس وقال لها مازحاً: هذه أشياء جئت بها من مقبرة (سيدك) عبد الرّحمن فأجابته بمنطق واعتقاد النّساء:لا يحقّ لك التّعدّي على الوليّ الصّالح ! فأجابها قائلا: ماذا سيستفيد (سيّدك) عبد الرّحمن من هذه الأشياء الّتي سوف تبلى بالتّقادم؟ ثمّ طلب منها مقصّا وأمّا أنا فطلب منّي أن أحضر له أوراقا من الكاغط ثمّ شرع في قيّاس القماش بذراعه وهو ما يكفي لخيّاطة بدلة لأمّ ووضع في كلّ قطعة منها كمّية من الشموع والنّقودوالحلوى فلفّها في الورق،وكلّف إحدى أختيّ بتوزيعها على الجيران الفقراء ثمّ قال للوالدة :أليس هذا أجدى ؟فاعترفت له بهذا الجميل! ثمّ قال لها :هل تعلمين أنّ (سيّدك)عبد الرّحمن هو أحد علماء وفقهاء الجزائر؟ هكذا دأب -رحمه الله-على التّعامل مع الانحرافات بحسب الظّروف ولم يقصّر. وعادة ما تكون هذه التّصرّفات من أفعال النّسوة اللّاتي ما فتئت تعشّش الخرافة في عقولهنّ بتشجيع من الإستعماروعملائه الّذين أرادوا أن يحرّفوا تاريخ الأمّة الجزائريّة وذلك بتشجيع البدع المنكرة التي لا تمتّ بصلة إلى ديننا الحنيف ويسجّل للأسف الشديد تقصيرالقائمين على المساجد في مواجهة تلك البدع على غرارما قام به السّلف من جمعية علماء المسلمين الجزائريين الذين حاء ذكرهم سلفا كالإمام محمد بن عمر في محاربة هذه الظاهرة المتفاقمة ونحن المسلمين نعيش في القرن الخامس عشر الهجري عصرالتنويرالفكري والعلمي والثقافي. ذكرت لك أخي القارئ، أختي القارئة هذه القصّة

الواقعية كنموذج بيّنت من خلالها اهتمام الإمام محمد بن عمربقضايا الأمّة ولم يقصّروذلك أضعف الإيمان عملا بقوله -صلى الله عليه وسلّم-:"من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده ،فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" هكذا يكون – رحمه الله- قد نزع ذلك المنكربيده وأمّا بلسانه فلطالما كان يعطي دروسا في المساجد ينهى فيها عن الشّعوذة وبالتوسّل إلى الأولياء الصّالحين لطلب الحظّ وذلك باعتبارهذا الاعتقاد من الشّرك الأكبر .

-سعيه في بناء ميضاء ودوره في إعادة بناء مسجد الحيّ:

في سنة 1944فكّرت لجنة مسجد حيّ الحفرة-خالد بن الوليد-في إعادة بناء المسجد وتوسعته وبعد مضيّ شهورمن الشروع في الأشغال كادرصيد حساب المسجد ينفد بسبب قلّة المداخيل فاقترح محمّد بن عمرعلى اللجنة وهوأحد أبرزأعضائها فكرة مفادها التوجّه نحوشمال الوطن أين يقطن و يعمل أو يتاجرالعديد من أبناء مالكبة ناحية غارداية لتحسيسهم بواجب المشاركة بتبرّعاتهم في إعادة بناء المسجد ولعلّه أخطرهم بذلك مسبقا بمراسلة أحد معارفه.ومن أجل هذا الغرض التمس من اللجنة الإذن له بالذهاب إلى الجزائرالعاصمةوضواحيها كبراقي والسمّاروبعد الموافقة من غالبية أعضاء اللجنة واعتراض البعض تمّ تعيين أمين مال المسجد عبد القادربن مرزوق زرباني مرافقا لمحمّد بن عمرقبل أن يعيّن هذا الأخير إماما بصفة رسمية سنة 1946وبعد موافقة اللجنة قرّرا التوجّه نحوالشمال ثمّ اتّخذا من برّاقي والسمّارإقامة مؤقّتة لهما حيث تتواجد عائلات من عرش المذابيح فأووهما وأكرموا وفادتهما طوال إقامتهما هنالك ،كما حلاّ ضيفين على بعض المالكية بالعاصمة فجمعا تبرّعات[1] ساهم بها أولئك المحسنون فاستؤنفت على إثرذلك الأشغال وتمّ تجديد المسجد،لكن الشغل الشاغل لدى محمّد بن عمرلم

[1]- ستجد في الملحق كشوف المحاسبة المالية للجنة مسجد حي الحفرة – من أرشيف المسجد -

يتحقّق ألا وهوبناء ميضاء تكون بمثابةحمّام،ذلك لأنّ له نظرةاستشرافية يهدف إليها كما سيأتي .

-الشروع في بناء الميضاء:

وما إن عيّن محمّد بن عمرإماما بصفة رسمية حتّى بادر-رحمه الله- إلى العمل في الدعوة والإصلاح التربوى والإجتماعي والعناية بالشباب الفتية والفتيات فضلا عن غرس الروح الوطنية فيهم على غرارما تقوم به مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان يرى-رحمه الله - أنّ الّدعوة والإصلاح التربوي والاجتماعي يقتضيان تسخير وسائل ولوازم هي من الضّرورات بمكان لأنّها تهيّئ السبيل للوصول إلى الغاية المرجوّة ولاتتوقّف مهمّة الدّاعية والمصلح الاجتماعي على الدّروس والمواعظ وإلقاء خطب من على المنبرفحسب بقدرما يجب توفيرالوسائل الضرورية في المسجد .

وتعتبر الميضاء من أهمّ المرافق الضّرورية التي يجب على العاملين فيه توفير الماء فيها وهذا ما جعل لجنة المسجد أمام عقبة كأداء بسبب قلّة الموارد المالية بعد الإنتهاء من أشغال توسعة المسجدواكتفت بترميم المغسلة القديمة خلافا لما كان يرى الإمام من وجهة نظره كمصلح ومجدّد أنّ المسجد الذي لا يتوفّرعلى الماء للوضوء ومغاسل للاغتسال تتّسع لعدد معتبرمن النأس لاسيّما في فصل الشّتاء الذي سيشهد عزوف روّاده عنه وقد يجد كثير من الشباب ذريعة لترك الصلاة أوالتهاون عليها خاصّة في العهد الاستعماري حين كان الاستعماريسعى إلى صدّ الشباب عن المساجد ومن يشرف عليها من الدعاة المناوئين له من أمثال الإمام محمد بن عمر بوحميدة وهذا بعد أن هيّئ لهم المحتلّ كلّ أسباب الضلالة من المعاصي التي جعل لها بؤرا كالمواخير والحانات في وسط المدينة ،يقصدها القاصي والداني كالذّباب والحشرات التي تقع على القمامات وبالتّالي تنقل الأدواء والأوبئة إلى الأصحّاء و يغدو استشراء الفساد في المدينة أمرا ممكنالامحالةوهكذاتذهب مساعي وجهود المصلح الاجتماعي أدراج الريّاح .

ودرءا لما قد يكون سببا في عزوف الشّباب عن المسجد فكّر الإمام محمد بن عمرمليّا في استحداث بيت للوضوء يكون بمثابة حمّام تكون فيه مغاسل للاغتسال والاستحمام عند الضرورة شتاءً عندما يشتدّ القرّوتوفير الماء الباردعندما يشتدّ الحرّصيفا.

ولعلمك أخي القارئ أختي القارئة أنّ مسجد خالد بن الوليد في حيّ الحفرة كان مزارا لشخصيّات من أئمّة وعلماء من جمعية العلماء المسلمين وأئمة مقرّبين من الإمام محمد بن عمربوحميدة،فضلاعن رجال السيّاسة أثناء الحركة الوطنيّة الذين كانوا يفدون إليه من كلّ حدب وصوب بحكم النّشاط الذي كان يتمّ في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين على يده وبمساعدة السيّد عبد العزيزمحمد وهذا يستلزم تغييربيت الوضوءالعتيق وما تبعه الذي قد ينفّر من يلجه خاصّة بعد توسعة المسجد .

والحال هذه اقترح الإمام محمد بن عمرعلى لجنة المسجد إعادة بناء بيت الوضوء فلقي هذا الاقتراح قبولا حسنا من غالبية أعضاء اللجنة من الإصلاحيين،والذين اعترضواعلى المشروع من المحافظين كانوا يرون أنّ المشروع قد يكلّف صندوق مال المسجد مصاريف باهظة لاسيّما بعد نفاد الرصيد المالي بعد الإنتهاء من البناء وبالتالي ستترتّب على ذلك ديون قد تثقل كاهل ا للجنة وفضّلوا بقاء بيت الوضوء القديم على حاله ريثما تتوفّرالأموال وهكذا فإنّ المشروع محكوم عليه بالفشل حسب زعمهم وذلك لتبريراعتراضهم وهذا ما يحدث غالبا في المؤسّسات ذات الطابع الديني أو الاجتماعي أوأيّة مؤسّسة ،هذا إن دلّ على شيئ إنّما يدلّ على أنّ الإختلاف في الرأي أمرطبيعيّ بين الناس كماقال الإمام الشافعي -رحمه الله-:"رأيّ صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطإ يحتمل الصواب" .

لكنّ الإمام أصرّ على بناء الميضاء وكلّه ثقة في النّفس، متوكّلا على الله بعد أن نال ثقة جلّ أعضاء لجنة المسجد وذلك بالسماح له بالشروع في العمل وهو يعلم أنّ هذه المهمّة ستكلّفه متاعب جمّة لاسيّما في وقت كانت البطالة منتشرة في معظم النّاس وأنّ القليلين منهم ،هم من يملكون ما

يسدّ حاجاتهم الضرورية وذلك ما يجعل من الصعوبة بمكان القيّام بحملة جمع المال وعلى الإمام إذاً أن يرفع من مستوى التّحدّي ما دام هوصاحب الفكرة وعليه وجوب مرافقة المشروع حتّى إتمامه .

شرع -رحمه الله- في بناء بيت الوضوء بعد أن جمع قدرا يسيرا من المال من ذوي البرّوالإحسان والمحسنات المتعاطفات معه .

لكنّ المشروع عرف بعدئذ بعض التعطّل إلاّ أنّ الأمل لا يزال يحدوالإمام محمد بن عمرومن معه لمواصلة البناء على الرغم من شحّ الموارد فاستؤنف بناء الميضاء بعد أن دعي المحسنون للتبرّع من جديد وفي هذه المرّة ناشد -رحمه الله- بعض الميسورين من الرجال والنساء للمساهمة الفعلية من أجل إتمام المشروع ولقد راهن-رحمه الله-على مشاركة النسوة وهو يعلم أنّ المرأة تملك مدّخرات من الحليّ ومن النقود التي تحصّلت عليها بفضل ما تدرّه عليها صناعة الزرابي التي تصنعها أناملها وكانت آنذاك بضاعة رائجة نظراً للتوافد المكثّف للسيّاح الفرنسيين في الغالب.

لقد تجاوب المحسنون والمحسنات بكلّ عزم وإرادة مع طلب الإمام محمد بن عمر فأغدقوا على صندوق مال لجنة المسجدالكثير من الهبات بعد أن وعد فئة النساء خاصّة بجعل هذه الميضاء حمّاماً للاستحمام بمواصفات الحمّامات التقليدية فيما كان الحمّام حكرا على الرجال في حين لم تكن -آنذاك- في البيوت مغاسل ولا حنفيات ولا مجاري للصّرف الصّحي وكان الشّخص إذا أراد أن يغتسل ،فيغتسل في غرفة النوم التي لا تتّسع لأكثرمن شخصين معتمدا على إناء(قصعة معدنية) وإبريق،هكذا كان حال أهل ذلك الزمان فرأوا في مشروع بناء الميضاء حلاّ لمعضلتهم وعليهم أن يساهموا فيه بقوّة ولوعلى حساب تخلّيهم عن بعض الكماليات وإن كانت متواضعة قيّاسا بكمالياتنا.

وقد خصّص -رحمه الله- يوم الخميس من كلّ أسبوع يوما للتطوّع يشارك فيه البنّاؤون ومساعدوهم وأصحاب الحميرلنقل الرمل (الحصباء) والردم والحجارة - رواية عن المرحوم يعقوب محمد بن اسديرة وكان-

رحمه الله- يكلّف الوالدة ومجموعة من النسوةلإعداد طعام الغداء للعمّال، ولابدّ من ذكر موقف رجل من المحسنين وهوالمرحوم عميرأحمد ألمدعو (قطّون) الجزّار-سابقا- في سوق الخضر الذي كان يساهم بكمّية معتبرة من اللحم المعروض للبيع.

-مراسلته أحد المجنّدين بالفيتنام، في الشأن :

أخي القارئ أختي القارئة قديصـــيبك ذهول واســـتغراب حينما تقرأهذا العنوان وكـأنّ الإمـام محمـد بن عمر يريـد أن يشـــارك الجميع في هذاالمشـروع الخيري ولا يسـتثني أحدا مهما تباعدت المسـافات وتناءى الشخص عن أهله وقومه وخلاّنه .

ها هي ذي رواية عن السـيّد المرحوم أولاد سـعيد عبد القادر بن سـعد الذي سـيأتي ذكره في معرض الحديث عن تعذيب الإمام المجاهد محمد بن عمر حينما كان يلاقي أصـــنافا من العذاب في الملحق العســـكري بغارداية ،وهو أحد المجنّدين قسـريّا أو اضـطراريّا في حرب الفيتنام، حيث قال لي بعظمة لســـانه: "بينما كنت في الثكنة في منطقة هافاي (حسب نطقه) في الفيتنام تلقّيت رسالة من سي محمد بن عمر، فحواها بعد السـلام: أرجوك يا عبدالقادرنحن بصـدد إنجاز مشـروع بناء بيت الوضـوء إلى جانب المسجد أن تسـاهم فيه بما تستطيع ولا تنس والديك إنّهما في حاجة ماسّـة إلى مسـاعدتك .قال الراوي: لم أتريّث، فأسـرعت إلى إرسـال ثلاث عشـرة ألف فرنك إلى الإمام محمد بن عمر مسـاهمة منّي في المشـروع ونفس القيمة إلى والديّ وكان مبلغ سـتّ وعشـرين ألف فرنك مبلغا ذا قيمة معتبرة.

وهذه المســـاهمة كانت حافزا للإمام من أجل إتمام بناء الميضـــاء التي صـارت فيما بعد حمّاما يحتوي على بضـع غرف للاستحمام .وأمّا الماء فكان يســخّن في مرجل (مرجن) كبيروذلك باســتعمال خشــب النخيل كوقود للنارفي حين كان البخاريغشـــى الميضـــاء ما يجعل المســـتحمّ يشـــعربأنّه فعلا في حمّام على شـــاكلة حمّامات المدن، وقد خصّـــص -رحمه الله- يوم الخميس من كلّ أسبوع فترات للنّساء كما وعدهنّ وكان

يشـرف على حراسـة الزقاق المؤدّي إلى الميضـاء أثناء تواجد النّسـاء للحيلولة دون مروربعض المتطفّلين البالغين ،فبمجرّد وجوده في مدخل الزقاق عن مسـافة بضـعة أمتارفإنّ هؤلاء لا يجرؤون على المرورمن ذلك المكان نظرا لما يحظى به الإمام من التجلّة والوقار.

هكذا تمكّن الإمام محمد بن عمر ولجنة المسجد من إنجاز ذلك المشروع بفضـل الله تعالى أوّلا وبمسـاندة المحسـنين والمحسـنات الذين لم يبخلوا بعطاءاتهم ومنذ ئذ أصبح المسجد يعرف إقبالا منقطع النظير خاصّة من طرف اليافعين.

وبهذ تكون فكرة الإمام محمد بن عمر بوحميدة قد تجسّد ت ميدانيّا بإذن الله وبتوفيقه تعالى وعليه يمكن وصـفه بأنّه رجل" الوحدة والإصـلاح والنضال والتحدّي".

الفصل الثالث

-الغاية من تنصيرالجزائريين وموقف محمد بن عمرمنه

لم تكن محاولة التنصـيربدعة ابتدعتها الإدارة الفرنسـيّة في نواحي الجنوب الجزائري وبعض الجهات من الوطن بل جاءت نتيجة فلسـفة سيّاستها الاستعمارية الصليبية الممنهجة بالتوازي مع الخطط العسكريّة الاستيطانية قبل وبعد احتلالها أرض الجزائرالعصيّة على المحتلّين من قبل ومن بعد أبدا ،وإحدى غاياتها مسخ عقيدة الشعب الجزائري المسلم ومن أجل تحقيق هذا الغرض جنّدت الطواقم البشرية المؤهّلة وسخّرت كلّ إمكاناتها الضـروريّة الماديّة منها والبيداغوجية من أجل إنجاح الحملات التنصـيريّة وفي هذا الصـدد لعبت شـخصـيّات معتبرة دورا فاعلا وفعّالا أحيانا في وضع استراتيجية محكمة لبلوغ أهداف سيّاستها المتوخّاة وأهمّها إملاء أفكارها على السّاسـة العسكريين والسّيّاسـيين بالتنسـيق معهم ، وكان أبرزهم" الكاردنال لافيجري" الذي فاه بكلمته الشهيرة: "إنّ عهد الهلال في الجزائر قد ولّى،وقبروأنّ عهد الصّليب

قد بدأ وأنّه سيستمرّ إلى الأبد وأنّ علينا أن نجعل أرض الجزائر مهد الدولة المسيحيّة مضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها من الإنجيل"[1]

أوليس هذا التصريح استفزازا من لدن أكبرالأساقفة الذين لم يخفوا نيّتهم في الغرض من احتلال الجزائر؟أوليس هذا الكلام تحديّا سافرا لمشاعر المسلمين لاالجزائريين فحسب بل لكلّ من في قلبه مثقال ذّرّة من الإيمان؟ -بلى- .

أوليس من حقّ العلماء والأئمّة الرّبّانيين الجزائريين و منهم الإمام محمد بن عمر بوحميدة أن يتعاملوا مع هذه الظاهرة و يواجهوها،كلّ من موقعه للتّصدّي لكلّ من تسوّل له نفسه المساس بعقيدة الامّة ومحاولة إغراء أبناء المسلمين بالوسائل المادية والحيوية مستغلاّ حالهم المزرية التي كانت نتيجة التجويع والحرمان على الرغم من غنى أراضيهم الشّاسعة الخصبة وثروات وطنهم ظاهرة وباطنة ؟-بلى-".فمن إنجازات الكاردينال لافيجري تنفيذ الخطط الساعية إلى توسيع هالة هلال المسيحيّة منها إنشاء أسقفية الجزائر في 8 آوت 1838برئاسة "أنطوان ديبش" ثمّ "الكاردينال لا فيجري"سنة 1869الذي أنشأ جمعية الآباء البيض ومركزها الحرّاش بهدف تنصير الجزائر وإفريقيا"([2]).

لم يسلم الجنوب الجزائري من هذه الظاهرة، ولم تكن غاردايه استثناء بل استهدفت هذه المحاولة الأسرالفقيرة في جهات عدّة من القطر الجزائري منها على سبيل المثال لاالحصرمدينة المنيعة وبعض الجهات من بلاد القبائل ومنطقة شلف التي كان يطلق عليها اسم" الأصنام".

---

[1]- كتاب التاريخ الثالثة متوسّط البرنامج القديم

2)-أحمد الخطيب /جمعيّة العلماء المسلمين :أثرها الإصلاحي في الجزائر

لقد أصـــرّ"الكاردينال شـــارل لافيجري"على أن يجعل من الجزائربلدا مسيحيّا مستغلاّ تلك الأوضـاع، التي جاء ذكرها وتسليم أراضـيها إلى الوافدين من أصـقاع أوروبا على اختلاف أجناسـهم فاسـتغلّوا خيراتها الظاهرة والباطنة خاصّة منطقة متيجة والهضاب العليا وفيما بعد نواحي الجنوب المترامية الأطراف التي كانت تشـــي بالثروات الإســـتراتيجية كالبترول والغاز والثروات المعدنيّة الثمينة والذهب والألماس والنّحاس والزّنك. . .إلخ

حيث قام هذا القسّ المهندس لحملات التنصـــير بجولات عبر الوطن "الصـــليب في يمينه والخبزفي شـــماله وهويبشّـــربالمســـيحيّة،فجمع حوالي1500 يتيم وربّاهم في ظلّ الكنيســـة وقد كتب الى الحكومة الفرنســـيّة يقول لها : إنّ إدخال الأهالي في الديّانة المســـيحيّة واجب مقّدس، ينبغي أن نرقيّ هذا الشـــعب ...وأوّل واجب علينا معهم هو الحيلولة بينهم وبين القرآن،ينبغي لنا على الأقلّ أن نهتمّ بالصّبيان فندّخر في عقولهم تعاليم جديدة ألا وهي تعاليم الإنجيل" ([1]).

-الغاية تبرّر الوسيلة:

لم تكن مخطّطات شارل لا فيجري مجرّد كلام بل هي توصيّات جدّيّة يجب تطبيقها في أرض الواقع بحذافيرها وذلك بإعداد مؤطّرين مؤهّلين من الجنسين النساء والرّجال وتخصيص مراكزتكون بمثابة مؤسّسات تربويّة وأخرى استشـفائية وبعضـها للتكوين المهني،أضـف إلى ذلك النشـــاطات الثقافية والكشـــفية وتقديم خدمات في إطارالعمل الإنســـاني كالتكفّل باليتامى وأسرهم المعوزّة وتموينهم وإيوائهم ذلك بالإستفادة من مساكن وبعض وسائل الإغراء ومنح أرباب الأسر الفقيرة فرصا للشّغل.

وأضـــرب لك مثلا أخي القارئ، أختي القارئة: أنّه كان للرّاهبات مركز بحيّ الحفرة -غاردايـة- بجوارحيّ بـاب الرّاعي،يحدّه من الجهـة الخلفيـة مجرى الوادي ولا يفصـله عن مسـجد خالد بن الوليد إلاّعشـرات الأمتار

[1])- أحمد الخطيب /جمعيّة العلماء المسلمين :أثرها الإصلاحي في الجزائر

وكان لهذا المركزعيّادة للعلاج المجّاني وفحص النســاء الحوامل وكانت لما تسمّى الأخوات البيض مهمّة الإشراف على توليد النّساء ومتابعتهنّ في البيوت ورعـاية المواليد والعنـاية بهم وذلك بفحصـــهم وتطعيمهم وإطعامهم كما كانت توجد في هذا المركزحضـانة للبنين والبنات اليتامى وأبنـاء الأســرالمتعـدّدة الأفراد وليس بـالضـــرورة أن يكون هؤلاء المحتضـــنون من أبنـاء غـارداية ولأبنـاء وبنـات الحيّ وإن كـانوا هم المســـتهدفين بالدّرجة الأولى،لكن الملاحظ أنّ عدد جنس الإناث يفوق عدد الذكور كثيرا حيث أنّ الناس في ذلك العهد يفضّـــلون إيداع بناتهم في ذلك المركز خشـــية العاروبحكم الفاقة وعدم القدرة على التّكفّل بهنّ والظاهر أنّ هذا العمل إنســـانيّ بحت تحثّ عليه كلّ الشـــرائع بدون استثناء لكن ظاهره إنسانيّ وباطنه "الغاية تبرّر الوسيلة" .

علاوة على ذلك كانت في المركز ورشـات لتعليم نسـج الزرابي للفتيات القصـــد منهـا ذووجهين،مـادّي تعود مـداخيلهـا بـالنفع على المركز وتبشـيري (تضـليلي) والدّليل على ذلك أنّه لم تتخرّج منه ممرّضـــة أو مولّدة واحدة ولو كـانت متنصّـــرة حتّى تبقى هذه المهمّة حكرا على الأخوات البيض !

ولابدّ،إذاً من إماطة اللّثام عن وجوه أصحاب هذه المبادرات للكشف عن النيّة من هذه الخدمات كمثال جرى به العمل في هذا المركز المذكور وغيره من المراكزعبرالوطن حيث، حدّثني عمّ والدتي إسماعيل بن الحاج محمد بن عبّاس بوحميدة وهو من مواليد-خلال1890- بغارداية كاشفا لنا النيّة الخبيثة التي كان يضمرها المتستّرون بعباءة الإنسانيّة وكان هذا الأخيرأحد العاملين عندالأباء البيض،حيث قال لي بعظمة لسانه ما يلي:

كان الوليّ إذا أراد أن يدخل ابنته في هذا المركز- على سبيل المثال- لا يجد عائقا بل يرحّب به بأريحية لكسب ثقته وعندما تبلغ ابنته سنّ الزواج ويعتزم إخراجها من أجل تزويجها -وكان الزواج في ذلك العهد يتمّ مبكّرا حسب ما يمليه العرف وأدنى العمر بين 14/13سنة -فإنّه ليس من السهولة بمكان أن يتسلّم الوليّ ابنته فلذة كبده إلاّ بعد استجداء مديرة

المركز بإلحاح واسفاف منه و تزلّف ، بشرط والشرط تعجيزيّ ،هوأن تخيّرالبنت بين أن تبقى تحت رعاية مربّيتها أبدًا برعاية المركزوفي هذه الحال تغدو نصرانيّة لا مسلمة وفي حال ما إذا اختارت أن تذهب مع وليّها فلها ذلك،لكن ليس من السهولة بمكان إنجازهذا الإختياركما قد يتصوّر !

حيث أنّه يتمّ هذا الاختياربإقامة حفل بساحة المركزالمذكورآنفا ويحضرالحفل جمهورمن سكّان الحيّ وما جاوره من الأحياء نساء ورجال حتّى الأطفال،فتوضع البنت في وسط السّاحة بينما الجمهور متحلّق حولها فيحاول وليّها استمالتها إليه بعبارات تنمّ عن عاطفة أبويّة جيّاشة وعبرات تذرفها عيناه لأنّه في موقف جدّ صعب ومصيرالبنت مرهون في دقائق الحسم بين عقيدتين،فيما تناشد المربيّة النصرانيّة البنت بلطف واصفة لها بالمنّ كلّ ما لقيته منها من رعاية لا تضاهيها عاطفة والدتها منذ نعومة أظافرها،فإ ن جنحت البنت تلقاء وليّها تعالت زغردات النسوة تعبيراعن فرحتهنّ وتشفّيّا في العاملات بالمركز،والجنوح إلى المربّية نادر،لا يكاد يحدث. وعليه وعلى ضوء هذه التصرّفات لقد سعى العاملون والعاملات في هذا المركزوغيره من المراكز المنتشرة عبر الوطن على توفير الوسائل المغرية المسخّرة لإنجاح تلك المهمّة الّتي من أجلها أقيمت تلك المؤسّسة وغيرها بالتعاون مع الإدارة المركزيّة بالفاتيكان تحت الرعاية السامية "للحبرالأعظم" الذي يغدق من جهته عليها أموالا معتبرة دعما لها وذلك بوحي من بنات فكر القسّ الأكبر"شارل لافيجري" ومن شاكله الذي كان يرى أنّ الغاية تبرّرالوسيلة ! لقد لعب المركزالمشار إليه دورا حسّاسا في محاولة تنصيرأبناء المسلمين خلال عشرات السّنين بعد تعاقب أجيال عليه لكنّ محاولاته تلك باءت بالفشل ولم تؤت أكلها إلاّ في حالات نادرة كما أشرت مقارنة بالمجهودات المبذولة والأموال التي رصدت من أجل تحقيق تلك الأهداف والأغراض المتوخاة.

ومن وسائل الإغراء التي وفّرتها وسخّرتها إدارة الأباء البيض لأرباب الأسرهي تلك التي ليست في متناول جلّ النّاس كالحصول على منزل فسعى هؤلاء من يطلق عليهم (المبشّرين)إلى تشييد منازل بمحاداة المركزالمذكوروكذلك في ناحية باب اجديد بجوارمدرسة كنيسة الآباء البيض ولاتزال هذه الدورشاهدة على ما أقول،التي منحوها إلى المؤلّفة قلوبهم أوالذين كانوا يرون فيهم تعلّقا شديدا بهم ويشاركونهم في مناسباتهم الدّينية مستغلّين جهلهم ومن هؤلاء المغرّر بهم من غيّر اسمه واحتفظ بالإسم العائلي كي لا يخسر الطّرفين ومن بين الامتيازات التي يمكن الحصول عليها الموادّ الغذائيّة النّادرة كالحليب والسميد والسكر والدّقيق (الفرينة) والشكولاطة أضف إلى ذلك الألبسة .

وأذكرأنّنا عندما كنّا صغارا كنّا نسارع إلى حيث توجد الكنيسة ليلة عيد الميلاد عندما نسمع دقّات ناقوسها تدوّي فضاء المدينة طمعا في الحصول على قطعة الشكولاطة في شكل صليب ومن يظفربقطعة منها فهو محظوظ ولهذا كنّا نسعى حثيثا للحصول عليها في تلك السانحة غير مبالين بتأثير الصليب في عقيدتنا ومن خلال القصّة التّالية ستتبيّن لك رغبة تنصّر شخص طمعا في الحصول على مآرب مغرية هي من وعود المشرفين والمشرفات على تلك المراكز لكن هناك مفاجأة لم تكن في الحسبان في ما يلي !

-رئيس كنيسة الأباء البيض يكتم إسلامه:

وفي السّيّاق،حتّى لا تفوتني هذه الفرصة أذكر ما رواه لي نفس الرّاوي قبل وفاته سنة 1978وكان يعمل طبّاخا عندالآباء البيض قال بالنّصّ: "كان لي مساعد اسمه العيد طلب منّي ذات يوم أن أتوسّط له عند الأب جيرا" Guéra "وهو رئيس الرّهبان بكنيسة غارداية بغرض التنصّرعلى يده ،فحاولت إقناعه بالعدول عن ذلك والتّمسّك بدينه لكنّ الرّجل أصرّعلى ذلك رغبة في الحصول على امتيازات أكبر، أهمّها الحصول على منزل نظير تخلّيه عن دينه، وهولا يدري أنّي أخفي سرّا لا يعلمه أحد و هو أنّ الأب "جيرا"(Guéra) مسلم بدون أدنى ريب

لكنّه يكتم إســـلامه وكان لا يســـمح بدخول غرفته لغيري وكان الرّجل أبيض ناصعا وخدّاه تسطع منهما حمرة كحمرةالتّفّاحة، فما كان عليّ إلاّ أن ألبّي طلبه بعد إلحاحه عليّ،فدخلت على الأب "جيرا" (Guéra) فأخبرته بما أرادالعيد وحينئذ اصـــفرّوجهه وتغيّرت ملامحه فطلب منّي أن أحضـره له حالا، فقال له الأب "جيرا " (Guéra) :" فيم ترغب يا العيد ؟فردّ عليه :أريد منك أن تدخلني ألدين المســـيحي "فلم يلبث الأب جيرا أن أسدى إلينا نحن الاثنين نصيحة قائلا لنا :اسمعا منّي هذا الكلام : لادين بعد دين محمد-صـلّى الله عليه وسـلّم- وأردف قائلا لنا : تمسّكا بدينكما الإسلام وأطيعا والديكما ".

واصـــل الرّاوي حديثه قائلا: وكان الأب "جيرا" (Guéra)-رحمه الله- من عادته أن يوزّع كلّ يوم أربعاء التّمر والنّقود على فقراء المســـلمين في ســاحة ســوق غارداية فلمّا مرض وأحسّ بقرب أجله كتب وصـيّته مفادها: أن يدفن في حديقة مركز الأخوات البيض بين نخلتين، حتّى لا يدفن في مقبرة النّصـارى وأوصـى بجعل منتوج النخلتين صـدقة جارية للفقراء.حدث هذا فيما أظنّ في منتصـف الثلاثينات من القرن العشـرين أي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية .

توفّي- رحمه الله- ودفن في حديقة مركز الأخوات البيض بحيّ الحفرة تنفيذا لوصيّــته، لكنّه تحاشى ذكر مقبرة النّصارى في بنود تلك الوصيّة تقيّة، و للأسف تمّ نقض الوصيّة من قبل الآباء البيض وبعد زمن طويل نقل رفاته إلى مقبرة النّصـارى الكائنة حاليّا بحيّ ثنيّة المخزن في وسط مدينة غارداية .

-انتشار مراكز الآباء البيض في بعض الجهات:

سبق لي أن قلت :لم تكن مدينة غارداية استثناء في تواجد الآباء البيض ومراكزهم حيث لعبوا دورا حسّاسا وخطرا ،وأذكر على سبيل المثال لا الحصـر مدينة المنيعة التي شـهدت تكثيفا لتواجد هؤلاء الذين كان يطلق عليهم اسـم لامع يغري السّـامعين ألاوهو"المبشّـرون" وكما يقال :"من يسمع يخل". وأريد أن أصـرّح هنا بما شـهدته بنفسـي أو شـاهدته عيانا :

حيث أنّي كنت من بين طلبة مركزالتّكوين المهني التّابع للآباء البيض وذلك سنة 1963-انظرالملحق تجد صورة لي مع زميلين في مدينة المنيعة- الموجود حاليّا بها فرع الميكانيكا العامّة ومسؤولاه آنذاك كلّ من الأب لوكلار(Leclaire)ونائبه الأب (جيدي Guidé).
المشرفين على هذا المركزلم يألوا جهدا في ومن الإنصاف أقرّأنّ توفير كلّ ما يلزم من إطعام وإيواء وتقديم منحة أسبوعية قدرها ألف فرنك شهريّا وكانت ذات قيمة تسدّ حاجة الطّالب،أضف إلى ذلك امتيازات أخرى كدخول السّينما مجّانا مرّة في الأسبوع علاوة على ممارسة الرّياضة تحت إشرّاف مدرّب اسمه (ELI)من أصل إفريقي وكان الأب (Leclaire) يقدّم لنا دروسا في الأخلاق بالعربيّة الفصحى وكان يمتازبخطّ عربيّ جميل.
لكن مع ذلك كلّه" يوجد السّم في الدّسم "،وفيما أذكرأنّي تسلّلت ذات يوم إلى القسم فيما كنّا نتأهّب للدخول حيث نتلقّى فيه دروسا في الأخلاق وكتبت على السّبّورة عبارة "لا إله إلاّ الله والله أكبر" وعندما دخلنا نحن الطلبة القسم لاحت تلك العبارة إلى نظرمعلّمنا فأثارت حفيظته وأخذ ينظر إلى الطلبة شزرا لكنّه ركّزنظره نحوي فأحسست بالمضايقة ثمّ سأل الجميع عن من كتب العبارة ،فاعترفت له بذلك،فأشارإليّ بالخروج ناهرا إيّاي بعد أن طلب منّي محوها فورا ثمّ أصدرقرارا بحرماني من دخول قاعة السينما التّابعة للمركزومن تسلّم المنحة لمدّة شهر وعدم المشاركة في فريق كرة القدم وما زاده تغيّظا هو عندما اقتنيت الرّبع الأخيرمن المصحف الشّريف من مكتبة السيّد قرباتي محمّد -رحمه الله- وكنت أراجعه مساء كلّ يوم بينما كان بعض زملائي يحظون بالمودّة من طرف المشرفين على المركز من النصارى لأنّهم كانوا يتعاطون معهم المشروبات الكحولية ويسهرون معهم في سماع الموسيقى الأوروبيّة والأغاني الفرنسية ويسهرون معهم اللّيالي على أنغام الموسيقى الصاخبة ويتمّ ذلك تحت الأنوار الحمراء في منزل المحاسب المالي "فليب قيدي (Philipe Guidé)-الموجود في الصورة المذكورة

سلفا وهو يجثو على ركبته- وأخو نائب رئيس المركزو كما كان لأولئك الآباء البيض دورفي محاولة تنصـــيرالأهالي في مدينة المنيعة لكنّهم فشلوا فشلا ذريعا بحكم أنّ أهل المنيعة متمسّكون بعقيدتهم الإسلامية وبمذهبهم المالكي ،لكن ما تجدرالإشـــارة إليه أنّ حيّ بلبشـــير(Seint josefسابقا) كان يمثّل وصمة مشينة للمنيعة لا لأهلها -معاذ الله- وذلك لوجود عدد كبير من المتنصّـــرين ويبدوأنّهم من الأعراب وهذا ما كان يظهرعليهم من خلال لباسهم الّذي كان عبارة عن أسمال وكانت لهجتهم دارجة وحالهم في العموم مزرية.

وأمّا بيوتهم فكانت كلّها طينيّة ومراكبهم كانت الحمير، تســـاعدهم على نقل الماء من بعيد وشـــاهدت بعض النّســـوة يحملن الصـــليب معلّقا على رقابهنّ ، وكانت بجوار بيوتهم كنيســـة يذهبون إليها يوم الأحد ليصـــلّوا فيها فإذا دقّ النّاقوس تراهم يســـارعون إليها،وبالقرب من الكنيســـة كان يوجد تمثال للأب " شـــارل دي فوكو" CharlesDe Foucauld"[1] ّالذي اغتاله الطّوارق الأبطال بعد أن علموا أنّه كان ضـــابطا في الجيش الفرنسي قدم من المغرب من أجل رسالة (التّبشير) وهذاحسب الرّوايات الشّـــعبيّـة المتداولـة بين النّـاس -والله أعلم- وأذكركـذلـك أنّـه كـانـت بجوارحيّهم ثكنةعسكريّة للّفيف الأجنبي الفرنسـي هي عبارة عن غرف كبيرة من المعدن تبدو مجوّفة وربّما كانوا موجودين بجوارهم بغرض حمايتهم ولهم في ذلك مآرب أخرى .علما أنّهم كانوا ينتظرون الرحيل إلى ما وراء البحر،إلى غير رجعة.

أخذ الآباء البيض في الـــتّوسّع نحو الجنوب الأ قصى في منطقة الهقّار وكـانـت لهم تنقّلات على صـــهوات الحميروالجمـال ترافقهم الأخوات البيض بلباســهنّ البنفســجي والصــليب يتدلّى على صــدورهنّ ،وكانوا يقدّمون خدمات معتبرة كالعلاج والإطعام حتّى حفرآبارالماء الشّـــروب ومع ذلك لم يفلحوا في تنصيرأهل تلك المنطقة على شدّة عوزهم وما قيل

---

[1]-الأب شارل دو فوكو Charles De fou cauld ولد في 15 / 1855/09 اغتيل في 1916/12/01 من طرف الطوارق، تعتبره الكنيسة الكاثولكية شهيدا

عن الجنوب يقال عن الشّـــمال كبلاد القبائل الّتي تمكّن فيها هؤلاء من تحقيق بعض أهدافهم لكن بأقلّ ما كانوا يطمحون إليه ونتائج ذلك بادية للعيان وما يقال عن التّنصيرفي تلك المنطقة في السنوات القليلة الماضية إن هو إلاّ من باب التّهويل والدّعاية للمسـيحيّة بغرض دمج الشـباب القبائلي اليائس، حيث أنّ انتشـارالعديد من الزّوايا في المدن والقرى والأرياف وأعالي الجبال حال دون انتشارالمسيحية بقوّة مهما روّجوا لها بقصد ضرب معنويات المسلمين.والدّليل على ذلك أنّك قد تجد الرّجل أو الشّابّ لا يؤدّي الواجبات الدينيّة لكنّك تجد فيه بذورامن الإسلام الموروث أبا عن جدّ.وتبقى رسـالة الدّعوة الإسـلامية على عاتق الدّعاة إلى الله بالتّقرّب من هؤلاء وإسداء النّصيحة إليهم لا أن يهجروهم فيجعلوا منهم صيدا سهلا لدعاة النّصرانية.قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لمعاذ بن جبل :"لأن يهد ي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النّعم "لا سيّما ونحن في زمن تداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها اعتمادا على مواقع شبكة التّواصل الاجتماعي والقنوات التّليفزيونية وعبر الأثير والمجلاّت الثّقافية مستهدفين الشّباب اليائس ،من الجنسين حتّى الطّفولة البريئة بعرض الرّسوم الكارتونيّة والأفلام المدبلجة من خلال الشاشات الموجّهة للأطفال وهكذا تبقى دائما "الغاية تبرّر الوسيلة" .

-تعامل الإمام محمد بن عمر مع ظاهرة محاولة التنصير:

لم تكن رسالة محمد بن عمربوحميدة -رحمه الله- محصورة بين جدران المسجد بل تعدّته إلى ما وراء ذلك وهو ما جاء ذكره في ما تعلّق بالعناية بالمسرفين ومعالجة كلّ ظاهرة اجتماعية كإصلاح ذات البين وفكّ النّزاع بين زوجين أو جارين وقد وفّقه الله تعالى في حلّ كثير من المعضـلات المعقّدة ،والنّهي عن البدع المنكرة كزيّارة الأضـرحة والتماس الحظّ من الأولياء الصّـالحين والتّوسّـل إليهم باعتقاد اتّقاء الشّـرورودرء المكاره وجلب المنافع وذلك بتعليق التّمائم وكلّ ذلك من البدع المنكرة بل هي من الشّرك الأكبر، فكيف يغضّ الطّرف عن قضيّة عقدية مصيريّة هي من

الأهمّية بمكان بل هي أولى بالاهتمام وهي ظاهرة محاولة تنصـــير أبناء المسلمين وبناتهم في عقر ديّارهم؟

تلك المحاولة التي كانت تســتهدف فلذات أكباد المســلمين الغضّــة في ظروف قاسية كما سبق ذكره وذلك باستغلال عواطف الآباء والأمّهات المغفّلين الذين وضعوا كلّ ثقتهم في الأخوات البيض اللّاتي كنّ يتظاهرن باللّباقة وحسن المعاملة مع الأبناء ما يجعلهم يتعلّقون بهنّ أكثر من تعلّقهم بآبائهم وأمّهاتهم وأذكر أنّي لاحظت وأنا في ســنّ العاشــرة -على الأقلّ- على وجوه بعض النســوة ممّن كنّ في مركزالأخوات البيض وشــماً للصــليب على مســتوى الخدّ أوالذقن أوالجبهة ترســيخا للإنتماء إلى النّصــرانية مع اســتحالة محو أثره على مدى الحياة فيطلقون عليهنّ اسم "المطورنات" ويعتبرونهنّ غريبات وهذا ما يجعل الناس والأهل والعشــيرة خاصّــة ينفرون من هذه المرأة أوتلك،هذا على الرّغم من اهتدائها للإسلام بفضل مساعي الإمام محمد بن عمربوحميدة.

لكن،كيف كان- رحمه الله -يتعامل مع هذه الظاهرة ؟ ولقد علمت أخي القارئ أختي القارئة من خلال ما سبق ذكره أنّ الإمام محمد بن عمر كان يواجه الإدارة الاســتعمارية الفرنســيّة من على المنبرعندما يتعلّق الأمر بالمعارضــة السّيّاسيّة ولا يخشــى لومة لائم ، لكنّ الأمر يختلف تماما مع إدارة الكنيســة وملحقاتها وهيئتها فإنه كان يتحاشــى الخوض في الحديث عن محاولة التّنصير التي لم تعد خفيّة عن النّاس ولا يستنكرها علنا حتّى لا يحدث صراع طائفي بين الكنيسة والمسجد أوبالأحرى بين ديّانتين ما يفضي إلى إعطاء الفرصة لتدخّل الإدارة الإستعمارية للانقضاض عليه ،كون هذه القضيّة حسّاسة للغاية عكس ممانعته التعامل مع اليهود بدون تحفّظ علنا الذين كانوا يســعون في جمع التّبرّعات دعما للصــهاينة في فلسطين عبر وسطاء يهودكانوا يجوبون مناطق تواجد الجالية اليهودية عبر الوطن كبوسعادة وتلمسان والجلفةوغارداية...إلخ.

-أسلوبه في التّعامل مع محاولة التنصير كنموذج:

وأمّا أسلوبه في التّعامل مع محاولة التّنصيرفي مركزالأخوات البيض فكانت تتمّ كما يلي بحنكته- رحمه الله- حيث أنّه كان يبعث بعض الّنسوة إلى مركزالأخوات البيض الكائن في حيّ الحفرة مغتنما فرصة يوم الزيّارة (الأحد) أو في مناسبات أيّام أعياد النّصارى فيزوّدهنّ ببعض الأغراض التي هي من حاجات البنات كالحلويات والأمشاط لمشط شعورهنّ وزيت الشّعروالعطر والحنّاء حتّى غبرة القمل .

وكان-رحمه الله-يبيّن للمكلّفات بهذه المهمّة كيفية ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوسهنّ،كأن يختلين بهنّ في زاوية من حديقة المركزفيتفيّأن ظلال أشجار الصّنوبرالحلبي الوارفة بعيدا عن أنظار الأخوات البيض وأثناء عملية مشط الشّعور،كانت المرأة المكلّفة بالمهمّة تردّد عبارات ذات دلالات إسلامية كـــ لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله بصيغة ونغمة محبّبة فتناجيها إذا اقتضى الأمر فتعرّف البنت بانتمائها القومي وألدّيني وكذلك تعطّرها بالعطر وتضمّخ يديها بالحنّاء، هذا رواية عن إحدى من كنّ محتضنات وهي المسمّاة (أمّ الخير).

وكان من بين النزلاء من الذكوروهم قلّة مسعود الإسكافي الذي زوّجه بهذه الأخيرة محمد بن عمرعلى كتاب الله وسنّة رسوله - صلّى الله عليه وسلّم - بعد أن أعتقهما من نظام المركز.

وكان-رحمه الله- يحثّ أقاربهنّ بضرورة لعب نفس الدّور في مناسبات أعياد المسلمين كعشيّة ليلة المولد وعاشوراء والعيدين وذلك اتّقاء وقوع بناتهم في خدعة العاملات في ذاك المركز.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الإمام محمد بن عمرقد بعث إلى أمّ الخير وهي بكر أيّام كانت نزيلة في مركز الأخوات البيض كتيّب "دليل الحجّ" وعلى واجهته صورة الكعبة المشرّفة ليشوّقها إلى الدّين الإسلامي ونبذ الصّليب،ومنذ حوالي خمس عشرة سنة خلت كنت قد تسلّمت هذا الكتيب نفسه من السيّد عمراني عيسى بن علي بن سي عيسى كان قد تسلّمه هو الآخر من شخص كان يعمل مساعد إسكافيّ عند زوج أم الخير فاحتفظ به مدّة زمنيّة

طويلة لكنّه أبى إلاّ أن يعيده كأمانة إلى أصحابها وهم ورثة الإمام محمد بن عمرفتسلّمته منه باعتباري أكبر أبنائه .
ولابدّ من ذكرموقف أم الخير-رحمها الله - حين زارها الأب داوود في بيتها زيّارة مجاملة فخرجت إليه مستترة بباب البيت،فلمّا بادرها بالتحيّة قائلا لها :"صباح الخير يا ابنتي"ردّت عليه بجرأة المرأةالمسلمة العفيفة قائلة :"لست ابنتك،فأنا مسلمة وأنت كافر" وأمّا بالنسبة لمن سبق لهم أن ترعرعوا في أحضان الكنيسةوقدبلغوا سنّ الرّشدأوأدركتهم سنّ الكهولة أو الشيّخوخة فإنّه -رحمه الله- كان يتعهّدهم بالزيّارات والتكرّم عليهم بالتمرالمجني من نخيل غابة العرش التي كانت موجودة في ضاية بن ضحوة أوالمدّخر في "حجرة التمور" التي كانت تابعة لمسجد خالد بن الوليد ومن بين تلك التمور المدّخرة في تلك الحجرة أنصبة من الزكاة وكذلك ما هو منتوج نخلتين كانتا إلى جوار المسجد .
وكان-رحمه الله- يتقرّب من هؤلاء المتنصّرين المساكين (المطورنين)أو المشكوك في تنصّرهم أو المؤلّفة قلوبهم إلى التنصّر بسبب عوزهم ويقدّم لهم كمّيات من تلك التمورلتقيم أودهم من الجوع وتحويل وجهتهم شطرالمسجد بدل الكنيسة على غرارما كان يفعله الأباء البيض الذين كان لهم بستان النّخيل بجوار مدرستهم بحيّ باب اجديد بغرض كسب ودّهم .
علاوة على ذلك أنّه كان - رحمه الله- يقوم بتذكيرهم بعقيدة أسلافهم الإسلامية لأنّه كان يخشى عليهم أن يموتوا كفّارا،ومن مات منهم على دين النّصرانية كان يدفن في إحدى مقابرالمسلمين في حيّزخاصّ بمن كان يطلق عليهم "المطورنين" حيث كان ذاك الحيّزمحاطا بسور يفصل قبورهم عن قبورالمسلمين ولم يبق لهذا الحيّزأثربعدأن سويّ بالأرض بعدالإستقلال.
وآخرمحاولة فاشلة قام بها -رحمه الله- مع شخص طاعن في السّنّ كان متنصّرا ألا وهو (س ل) الّذي جاء ذكره في مظاهرة 1952وكان لهذا الأخير موقف مشرّف فيها.وفي سنة 1963زارمحمّد بن عمر

غارداية في أوّل وآخرزيارة له بعد الإســـتقلال في خريف1963 قادما من مدينـة برّاقي -انظرالصـــورة في الملحق- وفي تلك الأثناء علم أنّ (س ل) لايزال على دين النّصـــرانيّة فقرّرأن يزوره في بيته قصـــد اســـتتابته بحضـــورابن أخيه (أ. ق)وهو في جلســـة معه في فناء البيت ،حاول إقناعه على اعتناق الإســـلام دين آبائه وأجداده لكنّه أبى إلاّ أن يبقى ويموت على دين النّصـــرانيّة، وبعد عدّة محـاولات همّ الإمـام بالخروج فدعاه (س ل) لتناول الشّـــاي معه فرفض وقال له:" لقد فرّق بيني وبينك دين محمد-صـلّى الله عليه وسـلم-" وكانت خاتمة الرجل أن مات على دين النّصـــرانيّة وقد بلغ من السّـــنّ عتيّا، علما أنّ هذا الأخير كان معلمّا له في اللّغة الفرنســيّة وتجدرالإشـــارة إلى أنّ أبناءه وأحفاده، ليس منهم من اعتنق النّصـــرانيّة، فمنهم من عرفته توفّي وقد تجاوز الثمانين وكان قد أدّى فريضة الحجّ وكثيرا ما كان يشيد بأعمال ومواقف الإمام محمد بن عمرالإصـــلاحية والجهادية والمبادرات ذات المنفعة العامّة.

كـانت هذه آخرمحـاولـة في تعـامل الإمـام محمـد بن عمربوحميـدة مع ظاهرة من تعرّضوا لمحاولة التّنصير، لكنّ هذا الأخير خيّب أمله.

لعلّك أخي القارئ،أختي القارئة تســتشــفّ (ي) من خلال مطالعتك هذا الفصـل: أنّ الإمام محمد بن عمر بوحميدة قد ناضـل نضـالا مستميتا في المجـالات الاجتمـاعيـة والإصـــلاحيّـةوالـدّعويـة والتّربويـة والثقـافيّـة والمبادرات النفعيّة مالم يكن في الحســـبان ومالم يتطرّق إليه بعض من ذكروه في سيّاق مرحلة تاريخيّة وهم يجهلون عنه الكثير .

وفي المحورين التاليين ستتعرّف(ي) على المزيد من نضاله السّيّاسي أثناء الحركة الوطنيّة وأثناء النضال الثوري في مواجهة الإستعمار الفرنسي إلى غاية الإستقلال.

وأمّا ما جاء ذكره في ما يخصّ الحديث عن محاولات التّنصـــير وما قامت به المراكزالمذكورة آنفا إنّما جاء في ســـيّاق ذكر مرحلة تاريخيّة في ظلّ الوجودالإســـتعماري وأنّ ســـيّاســـة الإســـتعماركانت تهدف إلى

محاولة تنصير الجزائريين بالتعاون مع الكنيسة وهذا ما يبرّره تصريح "شارل لافيجري" كما سبق لي ذكره سلفا.
ولم يكن ما قلته في هذا الصدد تهجّما على الدين المسيحي مع أنّي أثمّن الأعمال الخيرية التي بذلتها تلك المراكز من باب الإنصاف لولا وجودها في الفترة الإستعماريّة وانكشاف نيّتها المبيّتة وهي من وحي أفكار الكاردينال لافيجري كما علمت. ولابدّ من التنويه إلى أنّ الإمام محمد بن عمر كان شخصيّة محترمة لدى الأباء والأخوات البيض وكان يعاملهم بالمثل أي بالإحسان إليهم مراعاة للظروف وعلى رأسهم الأب داوود والأب شيران صاحب الأصابع المبتورة والأخت ماري للمان والأم تريز باعتباره رجل دين ولا يتعارض هذا التعامل مع ديننا السّمح.
إذ قال تعالى: **"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدّين ولم يخرجوكم من ديّاركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم،إنّ الله يحبّ المقسطين..."** الممتحنة08
هذا من جهة، وأمّا أنا صاحب هذه المذكّرة فسأذكرلك علاقتي بهؤلاء الرّهبان الذين كثيراما جمعتني بهم مناسبات في إطارالاحترام المتبادل وأسجّل إشادتي بما قام به بعضهم من عمل إنسانيّ، على سبيل المثال لا الحصر أنّ الأب شيران ذا الأصابع المبتورة جاء ذات يوم من أيّام 1957إلى منزلنا في حيّ الحفرة حين كان والدي في السّجن ،جاءنا على متن 2cv فسلّمني صفيحة زيت ذات سعة حوالي 2ل ولم يكن بوسع ربّ الأسرة اقتناء أكثر من كوب من الزيت سعته حوالي 15سل في حين كانت مادّة الدّسم هي الشّحم -في الغالب -وأضاف إليّ كيسا من الدّقيق (فرينة)وزنه حوالي5 كغ، لعلّ هذا من الأعمال الإنسانية التي لا يجوز إنكارها، كما قد زارني هذا الأخيربمنزل والدي حينما كنت مقيما في البليدة في شهرماي سنة 1968وكانت برفقته ثلاث أخوات بيض قدموا جميعا من غارداية ليلا فتناولوا معي طعام العشاء ثمّ توجّهوا إلى الأبيارأين تقع إدارتهم بالعاصمّة.
وفي يوم 11 فيفري سنة 1975 قدم هذا الراهب إلى سكناي في حيّ

عين لوبو ليقدّم لي تعازيه بمناسبة وفاة أخي الأكبر عبد الحميد الذي وافته المنيّة في حادث مرور في 10فيفري1975،وفي اول جوان سنة 1989 لبّى هذا الأخير دعوة وجّهتها له لحضورحفل ثقافي أقيم في نادي"جمعية الوحدة الثقافية "باعتباري رئيسها المؤسّس كما لبّى الأستاذ الرّاهب دي يو Duanالدعوة التي وجّهتها له سنة 1992 لحضور حفل ثقافي وكان مع رفيق له –والفيديو موجود- وبهذا أبرهن على أنّي لا أحمل الكراهية على النّصارى لا من قبل ولا من بعد .

الفصل الرابع

دوره النضالي في الحركة الوطنية

أخي القارئ أختي القارئة لعلّكما استفدتما ممّا سبق ذكره في المحورالأوّل عن دور الإمام محمد بن عمر بوحميدة في الإصلاح الاجتماعي والتربوي وفي مواجهة ظاهرة محاولة التنصيروكيفية التعامل معها وإحباطها وأنّ اهتمامه كان منصبّا على تربيّة النشء وزرع الروح الوطنيّة في نفوس الشباب من خلال تنظيمهم في مجموعات صوتيّة ومسرحية وأنّه كان للفتيات حظّ من هذا النّشاط وأنّ مسجد خالد بن الوليد بحيّ الحفرة كان منارة علميّة ومركزا ثقافيّا تحديّا للإدارة الفرنسيّة المحلّية وعملائهاالمأجورين والأدلّ على ذلكما ما جاء على لسان الأستاذالمجاهدمحمد جبريط [1]:"القيّام بدعايات معادية لفرنسا في أوساط الشّباب بمسجد الإمام بوحميدة محمد وخلال الولائم والأعراس".كما تعرّف كلّ منكما على مصادرثقافته وشيوخه ناهيكما عن إخلاصه وتفانيه في العمل المسجدي ممّا مهّد لمرحلة مواجهة الإستعمار سيّاسيّا فكان عليه وعلى رفاقه في النّضال السّيّاسي أن يؤطّرواأنفسهم في تنظيم سيّاسيّ وطنيّ لمواجهة السياسة الاستعمارية و كان الخيّارعلى حركة انتصارالحريات والديمقراطية MTLDالمنبثقة عن حزب الشعب الجزائري. علما أنّه -رحمه الله- كان من قبل ناشطا في

[1])-على مدارج النضال والثورة ص 105المجاهد أ/ محمد جبربط

حـزب الشـعب الجزائـري ppaبرفقـة كـلّ مـن أحمـد تيتـي ويوسـف بوحميـدة وإبـراهيم رمضـان ومحمّـد جبـريط واحميـدة جبـريط وإبـراهيم بـن عرفـة بـن مـدني ومـرابط بـوحفص (بحّوص)والعيـد بـن عمرشـقيق الإمـام وأولاد سـعيد أحمـد بـن نعمـان وعبـد الهـادي الطيّـب (عبـادة) ولعمـى الشـيخ (سـفانجي) وعبدالعزيزمحمّـد "الأغـواطي" المسـاعد الأسـبق للإمـام فـي النشـاط الكشـفي والثقـافي فـي المسـجد والطيّـب بوحميـدة بـن زيّـان خـال الإمـام ،صـاحب مخبـزة وكانـت هـذه المخبـزة مقـرّا تعقـد فيـه اجتماعـات المناضـلين ،حيـث كـان يطلـق عليـه ّاسـم"النادي"وكانت المخبـزة تقـع فـي نهايـة ممـرّ"دوّاق إبـراهيم" المتفـرّع عـن شـارع الشـيهد عيسـى عميرفـي وسـط مدينـة غارايـة. ولابـدّ مـن الإشـارة إلـى اتّصـال ثلاثـة مـن مناضـلي الحـزب بـالزعيم مصـالي الحـاج (الصـورة أعـلاه) وهـم :محمّـد جبـريط واحميـدة جبـريط والعيـد بـن عمـر بوحميـدة شـقيق الإمام،حيـث اجتمـع هـؤلاء بـالزعيم فـي مقـرّ إقامتـه بحـيّ بوزريعـة بالعاصـمة فـأكرم وفـادتهم وأعـدّ لهـم الشـاي علـى عـادة أهـل الجنـوب فـي حـين داربينـهم حوارمسـتفيض كعـرض حـال كـان فحـواه نشـاط الحـزب فـي الناحيـة ومـدى مضـايقات الإدارة الفرنسـية المسـلّطة علـى المناضـلين.هذا روايـةعن الإسـتاذ المجاهـد محمّـد جبـريط - رحمه الله.- نفس المرجع السابق ص- 109- .

-تجنيد الشّباب لكتابة شعارات مطالبة بالحريّة:

إنّ انتمـاءالإمـام محمّـد بن عمرإلى حزب الشـعـب الجزائري في طورشـبابه أكسـبه ثقافة سـيّاسـيّة هيّأته لقيّادة نخبة من شـباب الحزب انطلاقا من مسـجد خالد بن الوليد حين سـخّر-رحمه الله- أولئك الفتية للنضـال الفعلي كما سـيأتي بمسـاعدة رفاقه من أمثال الأسـتاذ المجاهد محمد جبريط والمناضـل لعمى الشّـيخ(سـفانجي) والعيد بوحميدة شـقيق الإمام وعبد الهادي الطيّب (عبادة)ومحمّدعبد العزيز"الأغواطي "وكلهم من رموزالنّضـال في الحركة الوطنية في ناحية غارداية،فأطّروا شـباب حركةMTLD فيما بعد لمواجهة ورفض سـيّاسـةفرنسـا الإندماجية التي

تجاهلت شخصية الشّعب الجزائري وتاريخه التليد وانتسابه القومي ومقوّماته الأساسية كاللغة والتّاريخ والوطن.

– حملة اعتقالات شباب الحركة الوطنية MTLD :

وسيطلعنا على حقيقة هذا النشاط في الفقرة التالية أحد العناصرالفاعلة من شباب الحركة الوطنية تحت إشراف الإمام محمّدبن عمرألاوهو المجاهد عمران زرباني بن بوبكرإذ صرّح في مذكّرته الشخصية ما يلي :" كان النشاط في ذلك المسجد مسجد حيّ الحفرة -خالد بن الوليد-مكثّفا وكان يمثّل بحقّ تحدّيّا للسلطات الإستعمارية ذلك ما أثارحفيظة حاكم المنطقة فقامت فلوله بالاعتقالات التي كانت تستهدف نشطاء الحركة الذين كانوا-آنذاك- يكتبون شعارات مناوئة للإستعمارعلى الجدران، داعية إلى التحرّرمنه ومن بين هؤلاء الذين ألقي عليهم القبض بوحميدة مسعود بن عمر الشقيق الأصغرللإمام(الصورة) وحدث ذلك ليلة زفافه وعبد الهادي الطيّب المدعو"عبادة" وقلّيل عبد الرحمن(خمّارة)،وأولاد إبراهيم أحمد (إبراهيم ذيبة)، كلّ هؤلاء سيقوا إلى السجن بتهمة التحريض وكان هذا عام 1952ومن هؤلاء الشّباب,مسعود شّحمة (شهيد),وزرباني عمران. ولا بدّ من ذكرعناصر المجموعة المنضوية تحت حركة انتصار الحرّيات والدّيمقراطيّة وهم : بن ولهة مسعود وعمر النايلي والشهيد عميرعيسى وقباني محمّد (الطالب حمّودي) وشرماط محمّد واكريم وثليجي محمود وبوفاتح علي وأولاد قويدر الطّيّب بن عبد القادر وغيرهم .اهـ[1]

وفيما أذكر أنّي كنت أذهب إلى عمّي مسعود رفقة عمّتي(أخته)عائشة -رحمها الله- في منتصف النّهار،نحمل إليه الغداء إلى سجن الملحق العسكري وذلك قبل نقله إلى سجن المراهقين بالبليدة أين تمّت محاكمته

1)-ذكريات من إيّام الثورة المجاهد زرباني عمران

ولا أعلم كم حكم عليه ولا متى أفرج عنه،هكذا كان نضـال الشّـباب في بداية الخمسـينات من القرن العشـرين بقيّادة"حركة انتصـارالحرّيات والديمقراطية"MTLD تمهيداللكفاح الثّوري،فأعقب حملة الزّجّ بالشّباب في السّـجون اعتقال أحد رموزالنّضـال وقيّادته ألا وهو الإمام محمد بن عمر بوحميدة سـنة 1952،حصـل هذا بعد يوم من تلك الحملة التي طالت صفوف الشباب . فقامت من أجل إطلاق سراحه مظاهرة عارمة سيأتي ذكر تفاصيلها فيما يلي.

القيّام بمظاهرة لفكّ حجز الإمام محمّد بن عمر

-مظاهرة1952 ثمرة نضال وتحدّ:

لا بدّ للنّضال الوطني المستميت من أهداف وغاية تتبلورعلى إثرها فكرة مناهضة الإستعماروتسفيه أحلامه الهادفة إلى محوآثارشخصية الأمّة ذات القيم الدّينية والوطنية والحضارية كما بيّنته في الفصل الأوّل إذ سعى في فرض سيّاسة الأمرالواقع حيث تمثّل ذلك في تطبيق سيّاسة الإندماج الممنهجة ومنها محاولة تنصيرشريحة كبيرة من المجتمع الجزائري بالتّعاون مع الكنيسة ومن منطلق توصيّات الكاردنال شارل لافيجري.

فكان ردّ فعل رجال السّـيّاسـة بقيّادة الحركة الوطنية وأعضـاء جمعية العلماء المسـلمين الجزائريين حاسـما،ورافضـا لتلك المحاولات الدّنيئة فكانت الكلمة المنبرية والشـعارات ذات المدلول الوطني السـلاح القويّ للردّعلى مزاعم ساسة فرنسا الاستعمارية ومنها ردّ الشّيخ عبدالحميد بن باديس -رحمه الله-قطب الأئمة،رئيس جمعيةالعلماءالمسلمين الجزائريين حين قال:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حادعن أصله أوقال ما ت فقد كذب
أو رام إدماجا لـــه رام المحال من الطلب

ومن العلماءالجزائريين المناهضـــين للإســـتعماروالمتصـــدّين له ولحلفائه الإمام محمد بن عمر بوحميدة وكيف لا يكون موقفه كذلك وهو باديسيّ بامتياز؟

لعلّ من نافلة القول التّحدّث عن مواقف هذا الرّجل الوطني الذي أراد البعض التّغاضي عن أعماله الأدبية والإصلاحية منها، والتّربويّة ونضاله الوطني في الحركة الوطنية بقيّادة "حركة انتصار الحريّات والدّيمقراطية " وإلى جانبه رفاقه المناضلون الأوفياء الذين تعرّضت لذكر بعضهم سلفا ناهيك عن نضاله الثوري ، لكن للأسف الشديد فإنّك أخي القارئ أختي القارئة لا تجد (ي) من يذكر شخصية محمد بن عمر بوحميدة في مؤلّفه إلاّ قلّة وقد يكون هذا الموقف حسدا من نفسه حتّى لا تطّلع عليها الأجيال المتعاقبة ولم يسع في استكشاف شخصيته من باب الفضول حتّى، وبالتّالي تغدو شخصيّته نسيّا منسيّا أوبدافع عصبيّ مقيت لاحتكارالتراث والتاريخ وذلك بنيّة إلغاء المناضلين الشرفاء على المستوى المحلّي ونسبة كلّ تلك الأعمال النّضالية لشخص أوأشخاص وهميين لم تسجل لهم بصمة تاريخيّا و بالتّالي يتنكّر هذا المؤلّف أو ذاك لمن يتعايش ويتقاسم معهم الهواء والماء وضياء الشّمس وتبادل المنافع كالبيع والشراء إلاّ ما ذكر إرضاءً لفئته تلك أو لقومه وهذا ما يلاحظ على الصّعيد المحلّي من خلال مطالعتك الكتب التّاريخية والدّليل على ذلك عدم التّطرّق إلى مظاهرة 1952لفكّ حجزالمناضل محمد بن عمر بوحميدة باستثناء المؤلّفين القديرين الأستاذ المجاهد محمّد جبريط ود.أ محمّد عبد الحليم بيشي وما جاء في مذكّرة المجاهد زرباني عمران .

لقد عرف التاريخ الوطني أحداثا دامية نتيجة ثورات مسلّحة غير متكافئة مع قوّى العدوّ المتمثّلة في جيوشـــه الجرّارة وعتاده المتطوّر وســـلاحه الفتّاك وترســـانته من العملاء كما عرف انتفاضـــات عديدة كان آخرها- قبـــل الإعـــلان عن الـــثورة-علـــى المســـتوى الـــوطنـــي مظـــاهرة 8ماي1945وبمناســـبة انتصـــارالحلفاء في الحرب العالمية الثانية على النـازيين وحلفائهم والتي من ضـــحـاياها العديد من الجزائريين الذين

وعدتهم فرنســـابالإســـتقلال لكنها نكثت عهدها مقابل التخلّي عن مستعمرتها الجزائروخلّفت تلك الإنتفاضة الشعبية عشرات الآلاف من القتلى والجرحى الجزائريين المطالبين بالحرّية الذين اســـتجابوا لنداء الحركة الوطنيّة فكانت هذه الإنتفاضـــة ثمرة نضـــال رجالها المنضـــوين تحت قيّادتها .

أخي القارئ، أختي القارئة عرفت ممّا سبق أنّ الإمام محمد بن عمر بوحميدة قد هيّئ شبابا بالتّعاون مع إخوانه في النّضال وقد ذكرت لك بعضهم ،فهيّأهم للعمل النّضالي في كتابة الشعارات المطالبة بالحرّية انطلاقا من مسجد خالد بن الوليد بحيّ الحفرة-غارداية- وأنّ بعض هؤلاء الشّباب اعتقلوا ومنهم شقيقه الأصغر مسعود الّذي اعتقل ليلة زفافه ولمّا يلج مخدع عروسه .

وكما سبق لي ذكره أن قلت: إنّ الإمام محمد بن عمرلم يكن يخفي موقفه المعادي للمحتلّ وأنّه كان يطالب المواطنين بعدم التعامل مع الإدارة الفرنسية ومنها ،عدم التّحاكم إلى القضاء الفرنسي فيما يتعلّق بالنّزاعات البينية وكذلك مقاطعة اليهود فى المعاملات التّجارية التي كانت تسخّرعائداتها لمحاربة الثّوّارالفلسطينيين وكان يقوم بجمعها جباة يهود فيبعثون بها لدعم الصّـــهائنة عبر وســـطاء من بني جنســـهم وحيث أنّ هؤلاء كانوا يطوفون عدّة مناطق تتواجد فيها الجاليات اليهودية كغارداية وبوســـعادة وتلمســـان وغيرها وكلّ ذلك أفضـــى إلى تربّص الإدارة الفرنســـية به والممثّلة في الملحق العســـكري وذلك بجعل حدّ لنشاطه المعادي لها وتحدّيه السافر لقادتها.

-مجريات حدوث مظاهرة 1952:

ففي خلال خريف 1952 وفي إحدى الجمعات بينما تأهّب الإمام محمد بن عمر لإلقاء خطبة الجمعة حضرضابطان عسكريّان-تجهل رتبتاهما- بعثهما قائد الملحق العسكري لمدينة غارداية ليصطحباه معهما وكانا واقفين عند مدخل المسجد، فلما رآهما الإمام وهو على المنبر سألهما باللغة الفرنسية عمّا يريدان (؟) فأخبراه أنّهما مأموران لاقتياده إلى قائدهما لأنّه يريده .فكان جواب الإمام أنّه سيحضر بنفسه بعدما ينتهي من خطبة الجمعة ،فطلب منه أحدهما أن يعطيه كلمة شرف،فأكّد له الإمام ذلك ووعده بالحضورحالماينتهي من صلاة الجمعة.

لمّا أفاض النّاس من صلاة الجمعة توجّه الإمام إلى الملحق العسكري الّذي كان موجودا قبالة ملعب "الأخوّة" في وسط المدينة والذي حوّل بعد الإستقلال إلى فندق .لكنّ الإمام لم يعدوطال انتظاره ما جعل المصلّين يتضجّرون فقرّروا أن يتوجّهوا إلى عين المكان وربّما كان هذا بأمرمن قيّادة"حركة انتصارالحريّات والديمقراطية"التي ينتمي إليها الإمام.

وحينئذ احتشد الجمهورالغفيرحتّى اكتظّ بهم الملعب وكان بعضهم يحمل رايات خضراء يتقدّمون المتظاهرين وهي تلك الّتي عادة ما كان يرافق بها الحجّاج عند توديعهم في موسم الحجّ. ثمّ أخذوا يتسلّقون سفح الرّبوة الّتي على قمّتها "البرج"أوالملحق العسكري بقضّهم وقضيدهم ثمّ تجمّعوا أمام الباب الرئيس منادين بإطلاق سراح الإمام فوراوكانت أصواتهم تضرب عنان السماء فأخذوا يتدافعون بقوّة التّيّارالبشري حتّى كاد باب الثّكنة يقلع وكان من بين المتظاهرين (س ل) الذي سبق ذكره وكان على دين النّصارى ومات عليه حيث كان لهذا الرّجل موقف مشرّف عند محاولة اقتحام الثكنةوهويطالب بأعلى صوته مناديّا بإطلاق سراح محمد بن عمر وقيل إنّه همّ بضرب أحد ضبّاط الملحق العسكري ،ربما كان هذا الموقف بدافع عصبيّ ليس غير.

-إنّ في الإتّحاد قوّة :

ولمّا حمي وطيس المظاهرة لم يلبث قائد الملحق العسكري أن خرج إلى الجمهوربصحبة التّرجمان محاولاإقناع الجماهيربالهدوء ثمّ وعدهم بإخراج الإمام فورانتهاء الحديث معه،لكنّ الجماهيرأصرّت على إخراج الإمام بلا قيد ولا شرط ،فالتفت التّرجمان ذات اليمين وذات الشّمال فقال للقائد : "ليس في الجماهيرالمذابيح فقط حتّى الشّعانبة معه"،فاشتطّ المتظاهرون غضبا فلم يبرح أحدهم الميدان فيماهمّ بعضهم من صناديد المذابيح والشّعانبة والمرازيق وغيرهم من أحفاد الفاتحين أبنأء الإسلام و العروبة الأمجاد بمحاولة ضرب القائد العسكري،منهم ظاهربكّوش وشقيقه الشّهيد ظاهرأحمد ورزقي محمد بن مسعود الساعد الأيمن لمحمد بن عمروأولاد عبد الله أحمد (زيبوش) وعميرقويدروأخوه الحاج سليمان وبعض من عائلة شحمة،وأذكرمن بين هؤلاء الشّهيد الصّديق الوفيّ للإمام،جيلالي حوتية،والشّهيد مسعود شحمة الطالب الوفيّ لمعلّمه الإمام محمد بن عمروأخاه شحمة دربالي وهذا الأخيرلايزال على قيد الحياة، يروي قصّة اقتحام الملحق العسكري .

ولمّا حان وقت صلاة العصر نادى بعضهم:" أن أطلقوا الإمام ليصلّي بنا صلاة العصر"-وقيل صلاة المغرب - فردّ عليهم التّرجمان"فليصلّ بكم الإمام الطّيّب بن علي بوعبدلي إمام المسجد العتيق لبني مرزوق " فكان ردّ سي الطيّب بن علي - رحمه الله-: "أنا لا أصلّي بهم ،فأفرجوا عن الإمام محمد بن عمر ليصلّي بهم ". - أعظم بهم من رجال، إنّ في الإتّحاد قوّة - !!فلم يلبث المناصرون للإمام أن اشتبكوا مع عناصرمن جنود الملحق العسكري وبعض"الحركة "الّذين كانوا يحاولون عبثا ردع الجماهيرالمتدافعةوالتّصدّي لهم من أجل منعهم من اقتحام باحة الملحق، حيث توجد مكاتب الإدارة والزّنزانات وأصرّواعلى أن لاّ يبرحوا الميدان حتّى يلبّى طلبهم فورا،رواية

عن المرحوم أولاد سليمان عبد القادر بن أحمد (كداري)-رحمه الله- وظاهربوحجّة بن بوبكر- بارك الله في عمره-.

ونجم عن ذلك إصابة بعض المهاجمين الّذين كانوا في طليعة الجماهير فما كان على قائد الملحق العسكري إلاّ أن انصاع صاغرالطلب الجماهير الغاضبة رغم أنفه لاحتواء سخطهم وتفاديّا لما قد ينجم عنه من مخاطروخشية أن يبلغ صدى تلك المظاهرة إلى وسائل الإعلام ربّما من خلال السّيّاح الّذين كانوا يتوافدون على غاردايةمن شتّى جهات أوروبا لاسيما فرنسا فتتناقلها وكالات الأنباء .

وماهي إلّا لحظات حتّى أفرج عن الإمام فهلّل الجميع وكبّروا ثمّ حملوه على الأكتاف ونزلوا به وهم يهتفون هتافات ضربت عنان السماء "الجزائرحرّة،تحيا العروبة،يحيا الإسلام". وبعضهم من لايزالون على قيد الحياة يؤكّدون حدوث تلك المظاهرة ويصفون مجرياتها باعتزازو نشوة النّصروالإعجاب!-يمكنك مشاهدة الندوة التاريخية حول نضال محمد بن عمر،اطلبها في اليوتوب عبرالرابط"الامام محمدبن عمربوحميدة"- ومنهم يعقوب بلال بن سديرة ساكن ضاية بن ضحوة وأولاد عبد الله محمّد بن مبارك ساكن حيّ شعبة النّيشان وأولادعبد الله زيّان بن الحرمة ساكن حيّ العين وشحمة دربالي ساكن حيّ مرماد وتحدّث عنها الشّيخ الإمام بلعورعيسى -رحمه الله -في إحدى خطبه في مسجد السّيّد حمزة بحيّ العين في معرض الحديث عن ضرورة الإتّحاد " في الإتّحاد قوّة" كنموذج، تأسّيّا بذلك الجيل صانع الأحداث بقيّادته الرشيدة !

توجّه المتظاهرون نحو مسجد حيّ الحفرة مرورا بوسط المدينة وعبر شارع الشهيد عميرعيسى،فساحة السوق، فسوق الخضر، فباب الجديد،فباب الحدّادوأخيرا حيّ الحفرة وفي تلك الأثناء

اختلطت أصوات الجماهير بزغردات النّسوة حتّى هتافات الأطفال وأذكرأنّني كنت من بينهم.
وبهذا الصدد تجدرالإشارة إلى أنّ إذاعة "صوت العرب "من القاهرة قدأذاعت خبر قيّام تلك المظاهرة بناء على ما صرّح به الأستاذ شرماط أحمد بن محمد-أطال الله في عمره- المديرالأسبق لمدرسة محمد البشيرالإبراهيمي بسيدي عباز-غارداية-وهورجل ثقة حين قال لي:سمعت خبرقيّام تلك المظاهرة من خلال إذاعة "صوت العرب من القاهرة ".وقد يكون الخبرقد بلغ الإذاعة متأخّرا لأ سباب تتعلّق بانعدام وسائل الإتصال أولكونها تقليدية علما أنّ "إذاعة صوت العرب " كان أوّل بثّها سنة 1953.

- الإمام محمد بن عمر رمز الوحدة والنّضال والتّحدي فعلا:

والحصيلة،أنّ هذه المظاهرة كانت ثمرة نضال حيث أنّها وحّدت أعراش المالكية وكسرت جدارالخوف وما كان حضورالضابطين أثناء خطبة الجمعة إلاّ اختبارا لجسّ نبض الجماهيرإن كانوا فعلا مع الإمام أملا،وهذا ما جعل المخابرات الفرنسية تضع الإمام محمد بن عمربوحميدة نصب عينيهاوتراقب تحرّكاته واتصالاته باعتباره "رمزالوحدة والنضال والّتحدّي فعلا" وتحيك له المكائد ولوبعد حين لضرب جماعة المالكيةلأنّه كان عرّابا لهم تسبّب في وحدتهم تحت سقف مسجد واحد ذلك لكونه محورالرّحى بالنّسبة لرفاقه المناضلين في"حركة انتصار الحريات والدّيمقراطيّة "لمواجهة الإدارة الإستعمارية والتصدّي لسيّاستها الهادفة إلى إذلال الشعب والنيل من كرامته وعزّته.

-رواية شاهدعيّان حول مجريات تلك المظاهرة:

حيث جاء في قول الأستاذ المجاهد محمد جبريط -بارك الله في عمره - أحد مناضلي الحركة الوطنية ما يلي:"...ومن المسجد العتيق إلى المسجد المالكي الآخربحيّ المذابيح،والذي صنّفته الإدارة الإستعمارية قاعدة الوطنيين ومنبرا للبادسيين ومعهدا لتربيّة وتعليم أبناء الوطنيين،وقد شكّل منذ دخول الشيخ الفيلالي إلى محرابه خطرا على الإستعمار، فحاربت

الإدارة الفرنسية المشرفين عليه بالسجن وإبعاد الشيخ الفيلالي وأغلقت المدرسة مؤقّتا ،وفجّرت الإدارة جماعة المسجد فتحالف بعض الأعيان ضدّ الإمام بوحميدة محمد بن عمرخليفة الفيلالي عند رفضه السّير في فلكهم وكانت تلك هي القنبلة التي زرعها الإستعمار وأدّى انفجارها إلى اعتقال الإمام فهبّ المواطنون والمناضلون لنجدته في مظاهرة حاشدة تأييدا له والمطالبة بإطلاق سراحه فكان للشّعب ما أراد. وقد أصيب عدد منهم بأضرار، ومن بينهم العمّ عبد الرحمن جبريط ذلك الإنشقاق الذي وقع في المسجد كان تأثيره خطيرا على عمّاره وعلى المالكية بغارداية عموما [1]

ولا بدّ من تسجيل إشادة محمد جبريط برفاقه في الحركة الوطنيّة حيث قال: "وأخيرا أسجّل إشادتي بتضحيّات الإمام محمد بن عمر بوحميدة وإبراهيم بن العيد الحاج عمر، في خدمة الوطن عموما وقسمة غارداية ذات الخصوصيات المعقّدة"اهـ [2]. ومن أجل تشديدالرّقابة عليه اعتمدت على مخبرين من المصلّين الملازمين للمسجدفيتعقّبون تحرّكاته عن كثب فتصل الأخبارإلى أسيادهم طازجة ومنهم شخص هوألصق ما يكون بالإمام في كلّ صلاة وكان قيّما على المسجد ويلقّب(الخاوي) وقد نفّذ فيه الحكم بالإعدام فيما بعدإبّان الثورة في باب الحدّاد في1960/09/16 وكانت مهنته خيّاطا في نفس الحيّ،علما أنّ هذا الأخيرلا يمتّ بصلة قرابة ولا عرش من أعراش المنطقة .

والحصيلة أنّ القائد العسكري المحلّي طلب على إثر تلك المظاهرة -من الغد- من قائد النّاحية العسكرية بالأغواط إرسال العديد من العساكر تحسّبا لكلّ طارئ، فلبّى هذا الأخير طلبه بإرسال أرتال من مركبات الجنود، أرسل بعضهم إلى ضاية بن ضحوة فتمّ اعتقال حوالي 60 شخصا -رواية -عن السيّد ظاهربوحجّة.

---

[1]- المجاهد أ/ محمد جبريط : مرجع سابق، ص 128

[2]-المجاهد أ/ محمد جبريط : نفس المرجع السابق، ص103

الفصل الخامس

انتماء محمّد بن عمر إلى الثورة

-سيرالأحداث قبل1 نوفمبر1954:

أخي القارئ أختي القارئة ، للخوض في هذا الموضـــوع لابدّ من الإعتماد على مصـــادر موثوقة من لدن رجال ثقاة إمّا أنّهم عايشـــوا الأحداث من أمثال الأســتاذ المجاهد محمد جبريط والمجاهد مهاية أحمد أومن ذوي أقلام سيّالة نقّبوا في صفحات التّاريخ وكان لهم إلمام بتاريخ الثّورة وليعذرني إخواني على شحّ المعلومات لديّ في هذا الصّدد.

لم تكن الأموروالاضحة عندما أعلن عن قيّام الثّورة كما جاءعلى لسان المجاهد أحمد مهاية قوله: "وعلى الرّغم من أنّ الأمورلم تكن واضحة بخصوص الفئة التي تتبنّى هذا الجهاد المبارك خاصّة أنّنا لا نملك أيّ اتصال بمفجّري الثّورة إلاّ أنّنا بقينا على العهد من أجل هذه الأرض وهذا الوطن..."[1].

-كيف كان سير الأحداث قبل فاتح نوفمبر بالمنطقة ؟:

جاء في كتاب الأستاذ محمّد عبد الحليم بيشي ما يلي :

-سـبتمبر 1954وصـول الانشـقاقات إلـى قسـمة غارايـة وانقسـام المناضـلين إلـى أغلبيـة مؤيّـدة للعمـل العسـكري وأقلّيـة مسـاندة للـزعيم مصـالي الحـاج وعلـى رأسـها بـن ولهـة مسـعود الـذي شـارك فـي مؤتمرهورنـو ببلجيكـا وبحّـوص بـن المـرابط، وكـذا السّياسـيّون القدامى.

-آوت 1954 الزيّارة الأولى لمسؤول المنطقة الخاصّة عرابي الحاج المعروف بمختارl'adjoudane الى متليلي والمنيعة وغارداية لتهيئة الشّباب للسّفرإلى المشرق للانضمام إلى الكلّيات العسكرية المصرية خاصّة وعندعودته إلى الأغواط رافقه ممثّل المصاليين مسعود بن ولهة محذرّا مناضلي الأغواط منه بحجّة أنّه يدعو إلى نظام مخالف لنظام

[1]-.المجاهد أحمد مهاية ص 112 -113 نكريات من النّضال والمقاومة-

الزّعيم ممّا جعله يثبّط المناضلين عن الإلتحاق بالثّورة في بدايتها في الأغواط وغارداية.

-أكتوبر1954: الزّيارة الثّانية لعرابي الحاج موفدا من قيّادة الأوراس لضبط الأمورنهائيا لتفجيرالعمل المسلّح، وقد التقى بالمناضلين المؤيّدين للعمل العسكري وتقرّر في هذه القرارات تقسيم المسؤوليات كما يأتي:

المنطقة	القيّادة	أعضاء الفوج
متليلي	بشير كديد	بن ولهة عبد الله-دهّان محمد بن سعيد
المنيعة	لبز عبد القادر	بوعمامة بوخشبة- يحي الزّهّار
غارداية	محمد جبريط	عبد الهادي الطّيّب(عبادة)-**بوحميدة محمد**

كما تقرّر في هاته اللّقاءات ضبط الجانب المادّي المتمثّل في كمّيات السّلاح المتوفّرة في المنطقة والّتي كانت كثيرة بحكم التّهريب المستمرلها من ليبيا (وهي من مخلّفات حرب السّنوسي والحرب العالمية الثّانية) [1]

أخي القارئ أختي القارئة لعلّ كلاّ منكما استنتج من خلال هذه الفقرة أنّ الإمام محمد بن عمر بوحميدة هوأحد الّذين استجابوا لنداء الثّورة بدون تحفّظ. وهذا ما يدحض افتراءات من يشكّك في انتمائه إلى التّنظيم الثّوري (ج ت و) ومن هؤلاء مع الأسف الشّديد - المجاهد القيّادي جغابة محمد الذي سأعقب عليه تفنيدا لادّعائه الباطل بالأدلّة القطعيّة التي لا مجال فيها للشّكّ، وما يؤكّد سبقه في النّضال الثّوري -رحمه الله- ما جاء على لسان رفيق الجهاد المجاهد الأستاذ الفاضل محمد جبريط أنقله لك حرفيّا فيمايلي:

---

[1])- د. الأستاذ محمّد عبد الحليم بيشي تطوّر الثّورة الجزائرية ص99ص.100

- سي المختاريعودإلى غارداية شهرأكتوبر1954:

"جرت العادة أن نلتقي بالإمام بوحميدة في أغلب الأيّام وفي إحداها دخل علينا المناضل الطّيّب عبد الهادي أحد رفاق المناضلين الكبيرين أحمد بن بلّة وعلي محساس في سجن البليدة ، وقال لي: سي المختار موجود في غارداية ويطلب اللّقاء بك في الحمّام الصّغير،وللعلم فالإمام والطيّب كانا على علم بمهمّتي ومهمّة المراقب أيضا لذا فقد أعربا عن استعدادهما للعمل معا وطلبا منّي إبلاغه ذلك،وللإشارة فإنّ أغلب تلك اللّقاءات كانت تتمّ في الحمّامات، تم لقاء قصيروفيه قدّمت له مهمّتي بغارداية وتكويني لخليّة بها. . ." اهـ[1]

انخراط محمد بن عمر في الثّورة كقيّادي

-لكلّ مقدّمة نتائجها:

لقد سبق لي أن قلت:إنّ مظاهرة 1952كانت ثمرة نضال كلّ من الإمام محمد بن عمر بوحميدة ورفاقه في إطارالحركة الوطنية المطالبة بالحرّية كمطلب شعبيّ وطنيّ تبلورت على إثرها فكرة رفض الاستعمارمهما كانت المساومات ومهما كانت التّضحيات الجسام، ما هيّيء الشّعب لتنفيذ قرارات وخطط الحركة الوطنية والإستعداد ليوم النّفيرالّذي بدأت إرهاصاته تلوح في الأفق.

وفيما أذكرأنّ السيّد أولاد سليمان عبدالقادر(كداري)-رحمه الله- قال لي مايلي:كنت واقفا إلى جانب ضابطين من الملحق العسكري بغارداية يوم أطلق الرّصاص إعلاناعن قيّام الثّورة-في أوّل نوفبر1954-وكانا يتحدّثان عن الحدث فقال أحدهما للآخر: لقد سال الدّم فما على فرنسا إلاّ أن تجمع أمتعتها.

فكانت مراحل النّضال مقدّمة لقيّام الثّورة المسلّحة التي احتضنها الشّعب على مختلف فئاته عملا بما جاء على لسان الشهيد العربي بن مهيدي – رحمه الله-:"ألقوا بالثّورة في الشّـــارع يحتضـــنها الشّـــعب"فكانت تلك

[1])- على مدارج النضال و الثورة . الأستاذ المجاهد محمد جبريط ص 133/132

المراحل إيذانا لقيّام الثّورة كحلقة من حلقات الثّورات المسـلّحة التي خاضها السّلف على مدى نيّف وقرن من الزمان.
كان الإمام محمد بن عمربوحميدة أحد الّذين كانت تراودهم فكرة الجهاد في سـبيل الله،وكيف لا تكون له المبادرة وهو أحد الذين كان لهم السّـبق في معاداة الإستعمارأثناء الحركةالوطنية فيما كانت الكلمةالسّلاح الوحيد في مواجهته وما جاء ذكره في شـأن دوره في تنظيم "حركة انتصـار الحرّيات والديمقراطيّة "وغرس الرّوح الوطنية في الشّـباب خاصّـة وما تلا ذلك من مواقف كتحدّي الجماهيرللإدارة الإسـتعمارية في المظاهرة الحاشـدة لفكّ حجزالإمام محمدبن عمرسـنة1952لدليل على مقدّمة موفّقة،لكن للأسف الشديد أنّه لايوجد أثرلهذاالحدث في المراجع المحلّية عدا كتاب الأستاذ المجاهد محمّد جبريط "على مدارج النّضـال والثورة" كشاهد عيان.
وفي سيّاق الحديث عن مؤشّرات الثّورة قال الأستاذ مصطفى رمضان متحدّثا عن والده المجاهد إبراهيم رمضان -رحمهما الله - صديق الإمام محمد بن عمرورفيقه في النّضـال أثناء الحركة الوطنية وفي أثناء الثوّرة بعد أن التقى إبراهيم رمضان بالمناضل عبّان رمضان -رحمهما الله - ، قال الكاتب ما يلي نقلا عن أبيه :" عندما وصل إلى غرداية بدأ فكره في جمعية الإصـلاح يخطّط للعمل الثّوري مع زملائه، علي النّاصـري ومحمد بن عمربوحميدة المدعو(المذبوحي) وكانوا يلتقون في الكثيرمن الآراء الإصـلاحية المتعلّقة بأسـاليب ممارسـة الثورة، اتّفقوا على قضيّة تحرير البلاد من الإسـتعمار،اتّفقوا على الأهداف والغايات وملخّصـها الوحدة بين المزابيين والعرب لتحقيق مشـاركة الأمّة الجزائرية في تقريرمصيرها"اهـ [1].
أعتقد غير جازم، من خلال قراءتي هذه الفقرة أنّ أوّل لقاء تمّ في شـأن التفكير في إعـداد خطّـة لانطلاق الثّورة في هـذه النّـاحيـة كـان بين

[1]– أ/ مصطفى رمضان: إبراهيم رمضان رجل العلم والنّضال ص173

المناضلين الإمام محمد بن عمر بوحميدة وإبراهيم رمضان كاستعداد أوّلي ريثما يتمّ تنظيم الخلايا ويصدرالأمرمن القيّادة الثّورية يكون هذا جوابا لمحمد عيسى النوري صاحب كتاب "نبذة من حياة الميزابيين الدينيّة والسيّاسيّة من سنة 1505إلى 1962م والذي سيأتي التعقيب عليه بعد طعنه في شخص الإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمر بوحميدة.

لكنّي ما أجزم به أنّ هذا الأخيركان من الأوائل الذين لبّوا نداء الثّورة والإنخراط فيها بدون تردّد وهذا ما يشهد له به من كانوا معه خلال الثورة من أمثال الشيخ اميزة بوداوود ومحمد جبريط والحاج سلامة سلامة وإبراهيم رمضان وسليمان غزال وأحمد مهاية (أحمد لعمى)...وغيرهم كثير. وما سيأتي ذكره في الشّأن أكبربالبراهين والأدلّة القطعية الّتي جاء ذكرها في مؤلّفات لا يطعن في أصحابها من أمثال: المجاهد محمد جبريط والمجاهد أحمد مهاية (أحمد لعمى) والأستاذ محمد عبد الحليم بيشي وعبد الحميد مسعود بن ولهة والأستاذ مصطفى رمضان ومذكّرة زرباني عمران . [1].

-انطلاق العمل المسلّح في منطقة الجنوب الأوسط

بعض مظاهر الثورة في شوارع غارداية:-

أخي القارئ،أختي القارئة قد يتبادرإلى ذهنك أنّي سأحدّثك عن مجريات أحداث انطلاق الثورة في ناحية الجنوب بتفاصيلها وحيثيّاتها،خاصّة في غارداية وما حولها بناء على العنوان،كشاهد عيان وهذا ما لا يمكن أن يكون إلاّ من حيث ما تحتفظ به ذاكرتي وبقي صورة ذهنيّة عالقة بها إلى هذه السّاعة، حين كنت في بداية العقد الثاني من العمر، لكنّي كنت أدرك الحقائق عندمشاهدتي حدث ماوأمّا في ما يتعلّق بالتّفاصيل وحيثياتها هذا ما سأتركه إلى من عايشوا الأحداث وكانوا مهيكلين في التّنظيم الثّوري أو

---

[1]-صدرت المذكرة في كتاب بعنوان: ذكريات من ايام الثورة 1957-1962، للمجاهد زرباني عمران بن بوبكر، اعداد وتقديم:د/ محمد مصطفى زرباني، فواصل للنشر والاعلام، مطبعة صواطي، غرداية، الجزائر.

من نقّبوا على الحقائق من الكتّاب المعاصـــرين وأجروا مقابلات مع المجاهدين وسـجّلوا الأحداث من لدن المناضـلين بأقلامهم ولو لم يعاصـروا الثّورة فجعلوا من مؤلّفاتهم مصـــادريعتمد عليها كمراجع موثوقة. وبهذا أتحرّى الصّـــدق ولا أقول إلاّ ما شـاهدته عيناي أو سـمعته أذناي،كما سـيأتي ذكره في ما يلي .وإليك بعض مؤشّراتانط لاق الثورة في غارداية حسب ماعايشته شخصيّا على الرّغم من حداثة سنّي كما سبق لي ذكره.

أوّل مظهـر: حيـث أنّـي بينمـا كنـت أتجـوّل بـين حـيّ الخرّاجـة فـي الشّـــارع المـؤدّي إلـى سـاحة السّـوق شـاهدتّ بـأمّ عينـي ملصـقات عليهـا صـــوركاريكاتورية تمثّـــل أشخاصـــاً ملثّمـين يتحلّقـون حـول مائدة،ويمسـكون بنـادق ويتقاسـمون فيمـا بيـنهم أوراقـا نقديـة وفـي أســفل الصـــورةعبارة: "هؤلاءمتمرّدون،أوخـــارجون عـــن القـــانون، حـــذار مـــنهم!" بالفرنســـية -طبعـــا-وهـــذا خـــلال1956 /1957 وينـدرج هـذا فـي إطارالدّعايـة المضـادّة، والمغرضـة التـي اعتمـدتها المخـابرات الفرنسـية الإسـتعمارية مـن أجـل إفشـال الثّـورة ووأدهـا فـي بـدايتها قبـل أن يسـتفحل خطرهـا علـيهم. وفـي ذلـك الوقـت كانـت الـــدّوريات العســـكرية مكثّفـــة وسّـــياراتهم مـــن نـــوع "jeep" و"4×4Dodge"تجـوب الشّـوارع بصـفة غيراعتياديـة ليـل نهـار، حتـىّ الطّـائرات الحربيـة كانـت تحلّـق فـي سـماء منطقـة بـوهراوة ومحيطهـا لـيلا، كنّـا نشـاهدها مـن علـى الأسـطح وهـذا مـا كـان يـوحي إلـيّ شخصـيّا أنّ هنـاك أزمـة. وظلّـت الحركـة روتينيّـة إلـى غايـة بدايـة شـهرأكتوبر1958حـين التحقـت أسـرتنا بوالـدنا فـي منفـاه- برّاقي- في ضواحي العاصمة كما سيأتي ذكره .

-وفي مظهرآخر: ففي إحدى الأيّام كان يتواجد في غرفة الضيّافة أو في ما يسمّى عندنا بـــــــــ(لعلي) يوجد هذا فوق المنزل في الطابق الأوّل بحيّ الحفرة، له مدخلان أحدهما من جهة الشّارع وآخرمن داخل البيت، كان يتواجد فيه ضيوف بحضوروالدي ولم أكن أعلم من هم ولا صفتهم. وحينذاك قالت لي الوالدة-رحمها الله-:"خذ يا ابني جمال السّنيّة واصـعد

بها إلى غرفة الضـيّافة(لعلي) لتسلّمها لأبيك -وكان على السّنيّة كؤوس وإبريق الشّـــاي، فلمّا دخلت الغرفة وجد ت حوالي 6 أو7 من الرّجال متلفّعين بالشّـــيشـــان وملثّمين بها،يمســـكون بنادق ويلبســـون جلاّبيات مخطّطة وأحذيتهم من صـــنع محليّ وهي تلك التي عادة ما يلبســـها الأعراب وكانوا يجثون على هيئة كأنّهم على أهبة الإســـتعداد بينما كان والدي-رحمه الله- قائما على قدم وســـاق أمّا هم فكانوا متحلّقين حول قصـــعة يتناولون منها غداءهم ، فانزعجوا مني لأوّل نظرة حينما دخلت عليهم على حين غرّة،وبعد أن سلّمت السّنيّة لوالدي سارعت إلى والدتي لأخبرها بما رأيت قائلا: أمّاه أمّاه ! يوجد في لعلي (فلاّقة)، ولم تكن كلمة "مجاهدين" متداولة بين النّاس -آنذاك- فزجرتني بقوّة وقالت لي محذّرة إيّاي:" إيـاّك أن تخبرأحدا من أصـــدقائك أوأيّا كان لأنّ ذلك سيعرّض أباك لدخول السّجن وسيأتينا الدّرك، فأقسمت لها بأ ن لاّ أبوح بالسّرّ.

حدث هذا قبل اعتقال ولدي -رحمه الله –وفي مشـــهد آخر: بينما كنت عائدا من الملحق العســـكري أين كان والدي معتقلا وكنت قد حملت إليه كالعادة قفّة فيها حاوية طعام الغداء والخبز والتّمروهذاعادة ما يكون في كلّ منتصـف نهارالأيّام الّتي قضـاها في الزنزانة الموحشـة التي كان قد ناداني ذات يوم من خلال كوّتها على تخوّف من الحرّاس بصـــوت خافت، مبحوح ولا أتذكّر ما قال لي إلاّ كلمة واحدة "هل يوجد عسكريّ أو" حركي" بالقرب منك ؟

وعند الرجوع وجدتّ المدينة خالية من المارّة بسبب إطلاق الرّصـاص فانتابني خوف شـديد لخلوّ شـوارعها وأزقّتها من كلّ متحرّك إلاّ القطط بعدماكان الشّـارع الرّئيس يعجّ بالنّاس وببعض السّـيّاراتوكانت الدّكاكين مفتوحة، وفجأة وجدتّ جثّة الخائن الذي يلقّب (كعفاص) ملقاة في زقاق (لمدانية) أوبن كوّارعندالطبيب (مارتان Martin) وكانت الجثّة ملقاة إلى جانب قمامة فضلات الخضروالفواكه فألقيت عليها نظرة خاطفة إذا عينا القتيل مفتوحتان،جاحظتان إحداهماعوراءوالذّباب يقع على فمه وحينذاك هرعت إلى الدّارمسـرعا وأنفاسـي كادت تتقطّع من أثرالجري

فأخبرت الوالدة بذلك فهمّت فورا إلى الباب،فغلّقته بدعامات خشـــبيّة وأحكمت غلقه بقضـــيب فلاذي (ركّال)مثبّت في الجدارخلف الباب وأمّا أنا فأسرعت إلى السّطح للتّأكّد من غلق باب غرفة الضّيوف المؤدّي إلى الشّـــارع،إن هي إلاّســـاعة حتّى انتشـــرت فرق الجيش في الأحياء والشّـــوارع والأزقّة وفي وســـط المدينة بحثا عن الفاعلين لكن بدون جدوى.

-المشهد الأخير: وفي صيف 1957- ليلا- كانت الحرارة شديدة بينما كنّا نائمين في السّطح الأعلى سمعنا إطلاق رصاص كثيف في جهة المستشفى العتيق بحيّ الخرّاجة فنزلنا مسرعين، مذعورين إلى ردهة البيت - فيما كان الوالد مسجونا في سجن البليدة - وبعد حوالي نصف ساعة هاجم العساكرحيّ الحفرة كالكلاب المسعورة، وشرعوا في إطلاق الرّصاص الكثيف صوب جدران البيوت لترهيب السّكّان، لكن الرّصاص لم يؤثّرفيها لكونها من الحجارة وكانوا يصرخون ويسلّطون الإضواء الكاشفة على البيوت وسيّاراتهم تتنقّل بين أحياء باب اجديد وباب الحدّاد وجهة مركز الأخوات البيض طوال اللّيل وفي الصّباح بلغنا خبر"بأنّ المجاهدين قدأوقعوارتلاعسكريّا في كمين بناحية "الخرّاجة"في وسط المدينة-أين توجدلوح ة رخامية مثبّتة في سورالمقبرة تخليدا لتاريخ وقوع الكمين -.

وهكذا خلت أحياء كلّ من باب أجديد، باب الحدّاد،الحفرة من النّاس لأنّ كلاّ لزم بيته وكلّ أبواب الدّورصارت موصدةوقدخيّم الذّعرعلى سكّانها وكأنّ الأشـباح حلّت محلّهم وهكذا قضـوا سـاعات طوالا داخل بيوتهم اتّقاء شرّ أولئك الكلاب الضّالة .

وأنوّه إلى أنّ الإدارةالإستعمارية الفرنسية الممثّلة في الملحق العسكري قد صـنّفت حيّ الحفرة منطقة متمرّدة منذ مظاهرة 1952م التي قام بها المالكية عموما ممثّلين في الأعراش جميعا لفكّ حجز إمامهم كما ســبق ذكره آنفا. ولهذا كانت تداهمه وتزرع الرّعب في ســاكنيه كلّما بلغتهم أخبارعن تسلّل الثّوارإلى المدينة أوقدوم مناضلين من خارجها أو وقعت

فيها عملية فدائية ظنّا منهم أنّ حيّ الحفرة ملاذ للغرباء فأهله تعتبرهم الإدارة الفرنسية محلّ شبهة أي متعاطفين مع الثّورة كما عرف به حيّ القصبة بالعاصمةولعلّي بهذا أكون قد ساهمت مساهمة متواضعة بإعطاء لمحة عن بعض مظاهروأحداث الثورة في بدايتها وهي من يومياتي كطفل واع،متأثّربنضال والده ومتشبّع بعقيدته الجهادية. إن هذا إلاّ غيض من فيض وما سيأتي ذكره في الشّأن سيكون حول يومياتي في أيّام الثّورة وأنا متواجد رفقة والدي في منفاه مدينة برّاقي وتلك أيّام حافلة بالأحداث.

-انخراطه في تنظيم الشّيخ زيّان عاشور

- تعيينه مسؤول خليّة سرّية :

إنّ خلاصة ما جاء ذكره فيما سبق: أنّ الإمام الحاج محمد بن عمر بوحميدة وبعض رفاقه في النّضال قد رحّبوا بما جاء به سي المختارموفدا من قيّادة الأوراس إلى غارداية في أكتوبر1954 قبل اندلاع الثّورة وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّه-رحمه الله- لم يتردّد في المشاركة في الثّورة وهذا ما جاء على لسان رفيقه في الجهاد الأستاذ المجاهد محمد جبريط -رحمه الله- لكن، ما تجدرالإشارة إليه هوأنّ التنّظيم الثّوري عرف انقساما لا من حيث المبدأ لكن من حيث التّشكيل وبحكم الطابع السّرّي للتنظيم فإنّ المواقع تتغيّر وكلمة السّر كذلك ومن الرّجال من تتغيرمواقفهم،وهكذا دواليك.

فأوّل تنظيم مسلّح ظهرفي المنطقة هوتنظيم الشّهيدالشّيخ زيّان عاشور [1] (الصورة أعلاه) تحت قيّادة جبهة التّحريرالوطني،فانخرط الإمام الحاج محمد بن عمر بوحميدة في هذا التّنظيم الجبهوي الجهادي ورفاق معه كثروهم من كانوا في الحركة الوطنية،كالسادة ابن خليفة الحاج عمر(بلعجال)والحاج سلامة سلامة وجماعة القرارة.

---

[1]- قائد جيش التّحرير الوطني في ناحية لعمور بدأ عمله الثوري في أكتوبر 1955أستشهد يوم 8 /11/ 1958 تطوّر الثورة الجزائريّة عبد الحليم بيشي ص146

وقد تمّ حينئذ تشـــكيل خلايا ســـرّية في نواحي الجنوب الجزائري من غارداية إلى عين صـــالح للانطلاق في جمع المال والسّـــلاح والذّخيرة وتجنيدالرّجال،وكان الاتصـــال يتمّ بواســـطة ســـي ســـليمان غزال [1]عبرالوسيط أميزة بوداود [2]، فالإمام الحاج محمّد بن عمر إمام مسجد حيّ الحفرة منسّق الإمام سي سليمان غزال في الناحية.
وبهذا الصّدد أجتزئ لك أخي القارئ، أختي القارئة بعض ما جاء في مذكّرة الشّيخ سليمان غزال منسّق قائد الجيش الشهيد الشّيخ عاشور زيّان بناحية "جبال لعمور" وذلك حرفيّا وبدون تصرّف -توجد نسخة من المذكّرة الأصلية في الملحق- حيث قال الشيخ سليمان غزال -رحمه الله- ما يلي:
".... وفي15 سبتمبر بعث إليّ رسالة لنأتي له فذهبت إليه فوجدّته بقطاع دار الشّيخ المختار فعيّنت رسميّا بدفاتر مطبوعين بخاتم جيش التّحرير الوطني، وبرقم 58 ينوب باسمي فأتيت وشرعت في ا لعمل لتنظيم المكلّفين بالعمل فكان النّظام كما يلي بتاريخ فاتح أكتوبر 1955.

المنيعة	الحاج بشير مع 11عضو
عين صالح	محمد بوراس مع11عضو
متليلي	الحاج إبراهيم بوشمّة 11عضو
غرداية شعانبة	الحاج عمر بن لعجال 11عضو
غرداية المذابيح	**الحاج محمد إمام المسجد 11 عضو**

واصل الشّيخ سليمان غزال حديثه حول التّنظيم الجديد قائلا:
"وكلّ لجنة خدمت وأدّت واجبها فجمعت من المال والسّلاح ما وجب عليها وكان عملهم بجدّ واجتهادوكلّ لجنة مكتوب عليهم بقدر استطاعتهم .

[1]- سليمان غزال بن بلحوت ولد -خلال 1911 من عرش الحرازية بحاسي الدلاعة ولاية الأغواط إمام أ سبق (منكّرة سليمان غزال)-حياته وآثاره ص 50 ,51 ,52 ط 1 / 99 19 إعداد وتقديم بوداود بومدين وكعبوش بن حرز الله
[2]- اميزة بوداوود أستاذ سابق منسّق سليمان غزال في ناحية غارداية رفيق الإمام محمّدبن عمر بوحميدة

إنّني أذكرالجمع ما اتّصل بيدي من عين صالح،غرداية،المنيعة، متليلي القرى السّبع:

-السّلاح 800 بندقيّة(السّداسي)من نوع الطّاليان،25 بندقيّة خُماسي.

- 20ناظور(مري)من النّوع الرّفيع(منظار).

- 600جلاّبية(قشّابية)صوف بلون بنّي (أشعل).

أمّا من جهة الذخيرة واللّباس، فكانت أكثروأكبرشيءيرض (يرضى)به القادة وجيش التّحرير،وكلّ هذا الشّيء المذكوررفعته بيدي إلى الشّيخ زيّان وسي الحوّا س بتاريخ10سبتمبر1956بحضورأكثرمن 100جندي يرأسهم مراقب الجيش المبعوث من سي زيّان ليجمع هذه الذّخيرة وهو سي الصّولي جيلالي وعبد الرّحمن بن الهادي[1].."اهـ

من خلال تصريح الشّيخ سيلمان غزال يتبيّن لنا جليّا أنّ القائدين سي زيّان عاشوروسي الحوّاس كانا يعملان جنباإلى جنب باعتبارهما قائدين في جيش التّحريروجبهة التحريرالوطني وأنّ محمد بن عمرعضو فعّال في التّنظيم لكن للأسف الشديدفإنّ بعض المجاهدين يأتون ببعض المغالطات مفادها أنّه كان يوجد شرخ بين تنظيم الحوّاس وتنظيم زيّان فيما القيّادة واحدة والعدوّ واحد .

وتجدرالملاحظة إلى أنّ اتّصال محمّد بن عمر -رحمه الله - بعين صالح كان يتمّ بواسطة شقيقه عيسى الذي كان مقيما بها منذ1951 و كان صاحب مخبزة هنالك وامتدّ هذا الإتّصال ليبلغ تمنراست بواسطة بوحميدة عبد المجيد -تاريخ ميلاده خلال1927بغارداية -بن خاله الطالب إسماعيل بن زيّان حيث أنّ عبد المجيد(الصورة) - رحمه الله- كان عضوا في قسمة جبهة التحرير الوطني رقمها 62 و رقم مجلسها1163[2]تحت إشراف رئيسها السابق قبل اعتقاله السيّد أخا

[1])- مذكرة / ا لشيخ المجاهد سليمان غزال- حياته وآثاره-ص 51و ص65 إعداد وتقيم بوداود بومدين وكعبوش بن حرز الله.

[2])– تطور الثورة الجزائرية في ناحية غارداية ص-205-د/محمد عبد الحليم بيشي

موخ الحاج موسى-رحمه الله- وستجد إثبات عضويةالأستاذ بوحميدة عبدالمجيد ضمن قائمة أسماء مناضلي الخلية الثورية -المرجع السابق- إلاّ أنّه قد ورد خطأ في الإسم "عبدالحميد" ولابدّ من الإشارة إلى أنّه قد قرّرت السلطات الإستعمارية العسكرية لناحية ورقلة منعه من دخول مدينة تمنراست وكان من بين عشرة من رفاقه حسب وثيقة مؤشّرة في بلدية متليلي06/21 /1958-توجد نسخة منها في الملحق- ولم تذكرأسباب ذلك في حيثيات القرار.

وللعلم أنّه كان-رحمه الله- مقيما في تمنراست منذ 1955ولمّا اعتقل تمّ تحويله إلى سجن الحرّاش (أربعة هكتارات) ولاأدري متى تمّ ذلك ثمّ اطلق سراحه مباشرة بعد الإعلان عن الإستقلال وكنت شخصيّا بصحبة والدي ـرحمه الله -لحظة الإفراج عنه ثمّ توجّهنا وإيّاه إلى برّاقي ليلتحق بعدئذ بوالد ه الحاج إسماعيل بن زيّان(الطالب إسماعيل)في غارداية.

ولعلمك أيضاً أنّ الأستاذ عبد المجيد كان مديرمدرسة إبتدائية ومسؤولا منشّطا ثقافيّا للمركزالثقافي بتمنراست بعد الإستقلال وأنّه تتلمذعلى أبيه إسماعيل والإمام محمّد بن عمربن عمّته والشيخ فيلالي ثمّ واصل دراسته في مدرسة الحياة بالقرارة وكانت وفاته في1993/04/12.

-التأطير العسكري وبعث العمل الفدائي في النّاحية:

-دور محمّد بن عمر بوحميدة في هذا التأطير:

بعد تسليط الضّوء واللّمحات الوجيزة على الجوّالمعتّم والسّائد على مدينة غارداية من خلال ملاحظتي حيث كان يشي بوجود أزمة فيما كانت المخابرات تبثّ دعاياتها من خلال وسائل إعلام العدوّكالجرائد والإذاعة والأشرطة السينمائية والملصقات واصفة المجاهدين على أنّهم قطّاع طرق ما جعل الأهالي ينقسمون على أنفسهم بين مؤيّد ورافض ومتحفّظ وناء بنفسه فأخذ بعضهم يموج في بعض،وفيما الدّعاية الاستعمارية المنسوجة بأيادي المخابرات الفرنسية آخذة في التّغلغل في نفوس

الأهالي سعيا في ضرب الثّورة في بدايتها، فإنّني أنتقل بك أخي القارئ أختي القارئة إلى مرحلة الجدّ ألاوهي مرحلة التأطيروالتّسليح العسكري في النّاحية ودورمحمد بن عمر بوحميدة في هذا التّأطيرباعتباره رئيس الخليّة المركزية لتنظيم الشّيخ زيّان عاشورومساعده الشّهيد جيلالي حوتية وهذا من خلال ما أجتزؤه لك في الشّأن حرفيّا من كتاب الباحث السيّد عبد الحميد مسعود بن ولهة.

نوفمبر1956: دخل النّاحية محمد بن يوسف قحوال مع مجموعة عسكرية من الأغواط للتّأطيرالعسكري وبعث العمل الفدائي بالنّاحية مبعوثا من قيّادة الشّيخ زيّان.

ديسمبر1956: كلّفت قيّادة الشّيخ زيّان كلاّ من المدعو "الضّيف"وعمرزهواني،عبد القادرشرع ومنوّرقويدري وآخرين بربط الإتّصال ونقل المؤونة من ناحية غارداية إلى بوكحيل حيث قاموا فوروصولهم إلى النّاحية بتنصيب لجنة نظامية "لجنة عرش"في مدينة العطف المركز الرّئيسي"لتنظيم سي زيّان بالنّاحية وفق مقرّرات القيّادة حيث تسهر تلك اللّجنة على جمع التّبرّعات والسّلاح والذّخيرة وتطبيق الشّريعة الإسلامية في حلّ الخصومات بين أبناء الشّعب بدلا من اللّجوء إلى المستعمر،كان ذلك الاجتماع بمنزل عمرشرع وبحضوركلّ من النّايلي"القائد العسكري"عبد القادر شرع ،محمّد بن يوسف ،قحّول محمود بن سيدي عيسى، شتّوح عبد الحفيظ وكانت هذه اللّجنة المكوّنة "أي لجنة عرش" برئاسة لخضررزّاق وعضوية كلّ من" الشّيخ شرع - لخضررزّاق وعضوية كلّ من:الشّيخ شرع عبد القادر بن جلّول بارود- بوهالي بن حمّادي -أحمد زهواني-لخضر

شـــرع -ســـالم بـــارود-محمـــد كزيـــز-أحمـــد بوخطّـــة -محمـــد بوخطّـــة -بلخيـــربن زعطـــوط -محمـــد دشّـــاش-ساســـي بـــن أوذينة-عبد القادر شنيني -أحمد رزّاق وآخرين .

بينمـا قـام القائـد "الضّـيف" بـالعودة برفقـة مرافقيـه إلـى بوكحيـل محمّـلا بالـذخيرة والمؤونـة التـي تـمّ جمعهـامن الخليّـة المركزيّـة تحـت رئاسـة محمّـد بـن عمربوحميـدة وجيلالـي حوتيـة مـن غارايـة وكذا خلايا متليلي والمنيعة.[1]) اهـ

وفي دراسـة تاريخية اكاديمية قام بها الدكتور دهمة بكار،اكّد فيها وجود النشـــاط الثوري في وقت مبكّربالناحية ودورالامام محمد بن عمر بوحميدة كمسـئول سـياسـي عن خلية ثورية سـرية مرتبطةرأسـابنظام الثورة، جاء فيه ان:" لادجودان العرابي حل بالناحية بصـفة مبعوث من طرف القائد التاريخي مصـطفى بن بولعيد،اين اشـرف على تنصـيب وتنظيم الخلايا الثورية السرية، فقام بتنصيب المناضل محمد بن سعيد دهان والمناضل بشير كديد على خلية متليلي، كما قام بتنصيب المناضل ابراهيم الحاج عمررفقة كل من المناضل محمد جبريط والمناضل محمد بن عمر بوحميدة على خلية غرداية" [2].

وأكّد ايضا: "كانت شبكة خلايا المناضلين المنبثة في كامل مدن الناحية تعمل في انتظام في مجال جمع الاشـــتراكات والتبرّعات المالية وجمع السـلاح والذخيرة، ومنها: خلية ثنية المخزن التي كان يقودها مناضـل يدعى"بوعلام اولاد الهدار"،والتي كانت بدورهامرتبطة بعلاقة متينة بخلية وسط بلدة غرداية التي كان يرأسها المناضل " محمد بن عمر

---

[1])- النّصّ لصاحبه ع.الحميد مسعود بن ولهة ص180صً181ج/أول من كتاب الحركة الوطنيّة والثّورة التّحريرية بناحية غارداية إداريّا وتنظيميّا

2)- دهمة بكار: النشاط الثوري في ناحية غرداية في مواجهة الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1956- 1962، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، 2019-2020م، ص68.

بوحميدة". [1] كما تضـــمّنت خلية بلدة ضـــاية بن ضـــحوة،مجموعة من المناضلين،نذكرمنهم على سبيل المثال لا الحصر: كل من المناضل الامام محمد بوحميدة بن عمر، والسـيد احمد اولاد سـعيد ومسـعود بوحميدة بن عمروميلود متـاس ومحمد لشـــهب بن مختـار وعمران زربـاني واحمد اولاد عبد الله بن بوحفص وكانت الخلية تحت اشـراف المناضـل الامام محمد بوحميدة بن عمر الذي كانت له علاقة قوية مع المسـئول العام عن حزب الشـعب على مسـتوى دائرة غرداية المناضل محمد عبد العزيز الاغواطي [2]

الإضراب العام واعتقال محمد بن عمر بوحميدة

- الهدف من قيّام الإضراب:

بعـــد مضـــيّ ســـنتين مـــن انطـــلاق الثّورة،عمـــد قادتهـــا السّياســـيّون،المدنيّون والعســـكريّون علـــى تســـخيركلّ الطّاقـــات والوسـائل المتاحة،ووضـع الخطـط مـن أجـل إنجـاح العمـل الثّـوري قصـــد تلقـــين قـــادة الإستعماردروســـا وحملهـــم علـــى الإســـتجابة للمطالـب الشّـرعية الّتـي مـن أجلهـا قامـت الثّـورة الشّـعبيّة المباركـة تحـت قيّـادة جبهـة الـتّحريرالوطني الممثّـل الشّـرعي الوحيـد للشّـعب الجزائـــري.ومن أجـــل تحقيـــق الأهـــداف السّياســـية وتعزيزالعمـــل العسـكري لابـدّ مـن إعطـاء زخـم كبيرواسـع النّطـاق ليبلـغ صـيتها أقصـى جهـة مـن العـالم وليبلـغ صـوتها آذان الشّـعوب ويطـرق بـاب مقـــرّ الأمـــم المتّحـــدة.فكان إضـــراب 28جـــانفي1957وســـيلة إسـتراتيجية معتمـدة لتحقيـق تلـك الأهـداف فعـمّ ربـوع الـوطن شـرقا وغربا،جنوبا وشمالا امتثالا لأمر قيادة جبهة التّحرير الوطني.

-وصف قيام الإضراب في مدينة غارداية:

أمّا الإضراب في مدينة غارداية وما حولها فقد استجاب التّجّار لنداء جبهة التّحرير الوطني طوعا أو كرها،فكان له تأثيرســـلبيّ كبيرعلى معنويات الإدارةالفرنســـية المحلّية والشـــعوربالإحباط،فأصـــيب قادتها

---

[1]- دهمة بكار: نفس المرجع السابق، ص 63.

[2]- دهمة بكار: نفس المرجع السابق، ص 75.

بهستيريا غيرمسبوقة ما جعل هذه الأخيرة تواجه الحدث بأساليب القمع والعنف والتّرهيب،ولم تكتف بذلك بل عمدت إلى الإعتقالات التي طالت جلّ المناضلين والقيّاديين السّيّاسيين في كلّ من حاسي الدلاّعة بولاية الأغواط ،والقرارة وبرّيّان وغارداية الذين لطالماأقضّوا مضاجع ساسة فرنسا وقادتها العسكريين الذين عاثوا في الأرض فسادا ومن بين هؤلاء المعتقلين الإمام محمد بن عمر بوحميدة.

وبهذا الصّدد أودّ أن أسلّط الضّوء على مجريات أحداث الإضراب كشاهد عيان على الرّغم من حداثة سنّي،وكلّي ثقة في النّفس أنّ ما أقوله هوالحقيقة بعينها واصفا لك المشهد كماوقع: بينما كنت أتجوّل في ساحة السّوق ضحى بدافع الفضول كانت أبواب المتاجرموصدة،وفجأة انتشرت قوّة كبيرة من المظلّيين والمجنّدين السّنيغاليين فأخذوا يقلّعون أبواب المحلاّت التّجارية بقضبان فولاذيّة فيما معظم السّكّان قد لزموا بيوتهم وبعضهم مكثوا إلى جانب دكاكينهم وهي نصف مفتوحة خشية تكسيرها، فصبّ العساكر جامّ غضبهم عليها وأخذوا يقرضون الأقفال بالمقارض ثمّ اقتحمواالدّكاكين،فبعثروا ما فيها من بضائع واستولوا على الأشياء الثمينة ومن بين تلك المتاجرأذكرحانوت الشّهيد جيلالي حوتية الذي لطالما كنت أزوره برفقة والدي -رحمه الله- فصارت مدينة غارداية -آنذاك- خالية على عروشها.وفي أثناء مداهمة البيوت والقيّام بحملة اعشوائية للزجّ بالمواطنين المساندين للثورة في المعتقل،لم يجد المرحوم جيلالي حوتية مناصا سوى اللجوء إلى الجبل.

وفي هذا الموضوع،صرّحت إحدى قريباته وهي السيّدة الحاجّة ميلودة بوعبدلي بنت الشيخ بن حمّادي قالت:"إنّ الشهيد حوتية جيلالي قد لاذ بالفرارمتنكّرا في لحاف امرأة مصحوبا بالمجاهد مهاية أحمد المدعو(لعمى)الذي انتحل صفة كونه زوجها تمويها إذ ،تسلّلا لواذا بين أزقّة حيّ الحفرة في اتّجاه الوادي ،في حين كانا قد دخلا الحيّ خلسة

متواريين عن الأنظار ثمّ توجّها نحوبلدية سبسب بدائرة متليلي ومنذئذ لم يعثرله على أثرولا يعلم له خبر"اهـ.

- نجاح إضراب1957:

" ابتدأ الإضراب الذي دعت إليه الجبهة بالمنطقة وقد استوت ثوريّا بلجانها الموجودة والتي قامت بتعبئة الشّعب لاحتضان الإضراب،وقد عمّ كلّ مدن المنطقة ونجح نجاحا كاملافي متليلي القرارةوغرداية وتعثّر في بعض القرى الميزابية كما أنه تعثّر في مدينة المنيعة بتوجيه من قيادة زيّان عاشور بسبب وجود فرقة عسكريّة متوّجهة إلى القرارة في هاته الفترة، حتىّ لا يكشف أمرها من قبل الإستعمار.

والشّاهد أنّ الإستعمار تأكّد من وجود تنظيم ثوريّ محكم استطاع إنجاح الإضراب ،لهذا قام بردّ فعل سريع تمثّل في سجن المناضلين واستنطاق الكثيرين، كما أنّه قام بكسر الدّكاكين ومصادرة السّلع والمقتنيات.

والحصيلة أنّ هاته الحملة الشّرسة التي قادها الاستعماربسبب ذهوله من نجاح الإضـــراب في هاته المنطقة الصّـــحراوية قد قادت إلى اكتشـــاف الكثير من اللّجان والخلايا وخاصّـــة ما تعلّق بتنظيم زيّان عاشـــور، فقد اعتقل منسّـقه السّـيّاسـيّ الحاج سـليمان غزال وكانت لديه أسـرارالتّنظيم من الأغواط حتّى تمنراســـت،وعلى إثرذلك تمّت اعتقالات واســـعة لسيّاسيّ التّنظيم أمثال الإمام بوحميدة محمّد بن عمر" اهـ [1]

-ظروف اعتقال محمّد بن عمر حسب شهادة نجله المؤلّف:

شـنّت القوّات الإسـتعمارية حملة اعتقالات في صـفوف المناضـلين المنضـوين تحت قيّادة جبهة التحرير الوطني كماسـبق ذكره وأبرزهم الإمام المجاهد محمّد بن عمر بوحميدة على خلفية الإضـراب العام الذي أعلن لمدّة 8أيّام من28جانفي إلى4 فيفري سنة1957،ففي يوم3 فيفري طوّق المظلّيون منزل الإمام وما حوله بما في ذلك مسـجد حيّ الحفرة

---

[1] -تطوّراالثّورة الجزائريّة في ناحية غرداية د.الأستاذ محمّد عبد الحليم بيشي ص 155-ص156

في حين حضـــر الدركيون على متن ســـيّارة رباعية الدفع من نوع "4×4prérie"زرقاء اللّون تابعة للملحق تتوسّـــط مدرّعتين من طراز "Tank"،اقتحم المنزل عناصــرالدّرك بينما كان والدي -رحمه الله- في غرفة النوم المقابلة للمدخل الرئيس للمنزل وهو جالس على كرســـيّ خشـبيّ كأنّي به على موعد معهم وكان على كتفيه برنســه الأبيض وهو يمسك بمصحف يتلو القرآن -طبعة ردوسي- ،وحينذاك لم يحرّك ساكنا ولم يكترث بهم،فلمّا اقتحموا البيت عنوة قال له أحدهم :

"السيّد بوحميدة أنت في حالة اعتقال" وعندئذ ترك المصحف ونظّارته على الكرسيّ،فوضعواغلّين في معصميه في حين هممت أنا بالدخول لكن ،أحد الدركيين دفعني بمسورة رشّاشه على مستوى خرصي الايمن وأخرجوا الوالد –رحمه الله- فدفعوه دفعا قويّا في الجهة الخلفية من السيّارة في حين اقتحم المظلّيون منزلنا فقلبوا كلّ شيء رأسا على عقب فبعثروا مكتبته في الشارع .جرى هذا كلّه على مرأى منّي ومن الّذين كانوا يراقبون الوضع من الزّقاق، من بينهم جدّي عمرفي حين صدمت والدتي الحامل بأخي سليمان في شهرها الخامس ثمّ اقتادوه إلى الملحق العسكري حيث سيق إلى السّجن.

حدث هذا ضحى يوم الأحد 03 فيفري1957-وأستدرك ما قاله لي أحد أفراد أسـرة "فرج الله" حين التقيته في سـوق الخضـرمنذ ما يربو على خمس عشرة سنة خلت،وذلك بينما كنت أتبضّع وبالضّبط في باب الجديد بعد أن علم أنّي ابن محمد بن عمرفقال لي مـايلي-:"في صـــباح يوم الإضراب سنة1957كنت على موعدمع سي محمد بن عمر للذّهاب إلى بريّان على متن شـاحنتي من نوع هوتشـكيس "Hautchkis" لتفادي الصّدمة الأولى تحسّبا لمداهمة البيوت واعتقال الإمام وبعد ساعات عدنا إلى غارداية بعدأن هدأت الأوضاع،لكنّه لم يعتقل في ذلك اليوم .

-تعذيبه وتحدّيه لجلّاديه حسب شهود عيان :

بعد اعتقاله -رحمه الله- في 03فيفري1957على خلفية الإضراب العام سيق إلى الملحق العسكري أين توجد زنزانات وغرف التعذيب ونظرا لاعتباره رئيس خليّة مركزية ثورية كان يخفي أسرار التنظيم، تعرّض -رحمه الله- لأشدّ العذاب تحت إشراف ضبّاط جلاّدين من المخابرات شداد،غلاظ لا يرحمون كما جاءعلى لسان المجاهد احمد مهاية المدعو(أحمد لعمى) قائلا:"...وصلتني بعد ذلك أخبارزادت من تعاستي وضاعفت آلامي ،لقد تمكّن المحتلّ من إلقاء القبض على الطّالب محمد بوحميدة فعذّبه عذابا شديداوتعرّض لتنكيل شديد وقد توصّل العدوّ بعد ذلك إلى حقائق كثيرة منها قوائم المشتركين وأعضاء اللّجان [1] "اهـ

-المشهد الأول والشاهد الأول :

روى لي المرحوم السّيّد أولاد سعيد عبدالقاد ر [2]بن سعد وكان هذا الأخير مجنّدا في الهند الصّينيّة (الفيتنام) وقد جيئ به من هنالك في إطار تبادل الأسرى بعد انهزام فرنسا في معركة ديان بيان فو Dien bien phu التي دامت من 13مارس 1954 إلى07 ماي1954 بقيّادة الجنيرال الفيتنامي جياپGiap وكان -رحمه اللهمريضا فوظّف كعامل أي عون في الأشغال اليوميّة، وقد جاء ذكره في معرض الحديث عن المساعدة الّتي طلبها منه الإمام في ما يتعلّق بمشروع بناءميضاء المسجد - ارجع إلى ص رقم- 58- علما أنّ هذا الأخير من محبّي الإمام محمد- بن عمروالمتعاطفين معه قال لي-رحمه الله-: "عندما جيء بالإمام محمد بن عمر إلى الملحق العسكري أدخل مباشرة إلى إحدى غرف التّعذيب أين لاقى أشدّ العذاب والتنكيل به ثمّ أدخل في غرفة الإنتظار أين يقع مكتب ضابط المباحث وكان مسوقا من طرف دركيّ (جندارم) قويّ البنية،وهومكبّل بغلّين وآثار الضّرب بادية على

---

[1])-المجاهد أحمد مهاية المدعو (أحمد لعمى)تأليف -أ /د مختارسويلم ص181

[2])-أحد محبي محمد بن عمر ومساعديه في النضال

وجهـه وقـد أنهكـه العـذاب الـذي مـورس عليـه فأجلسـه الـدّركيّ علـى كرسيّ ريثما يدخله إلى مكتب ضابط المباحث.
و بينما أنا منهمك في مسح زجاج النّوافذ وفي عملية التّنظيف، خطربال الإمام أن يقول كلمة يتحدّى بها ذاك الدّركيّ، فبادره بالقول: "اسمع منيّ أيّها الدّركي إنّ الكرسـيّ الذّي تجلس عليه الآن سـيأتي يوم يجلس عليه دركيّ وطنيّ جزائريّ ." اعتبرالدّركيّ ذلك الكلام اسـتفزازا وتحدّيّا من الإمام ، فردّ عليه بلكمة قويّة وكان له في أصـــبعه الأوســـط خاتم من معدن فشــجّ حاجبه الأيســروعلى إثر ذلك نزف منه دم قاتم وأخذ الإمام يمسـح الدّم بكلتا يديه ثمّ أدخل إلى مكتب ضـابط المخابرات ولم ينبزهذا الضّابط ببنت شفة مندّدا بالضّربة! "
أردف الرّاوي قائلا:"وأمّا أنا فكنت أتألّم في قرارة نفسي لكن، لا حول ولا قوّة لي.وبعدما أخرج من مكتب الضّابط أعيد إلى الزّنزانة، مرّوقت بعد ذلك فناداني الإمام من كوّة الزنزانة بصوت خافت ":"يا قادة ،يا قادة ،تعال "فالتفت ذات اليمين وذات الشّمال للتّأكّد من خلوّالمكان فاقتربت من الكوّة ،فأخذ-رحمه الله-يناجيني قائلا:"هل عندك ورقة وسيّالة "؟فأجبته -"لا- قل ما تريد"،فأردف قائلا :"اذهب فورا إلى كلّ من طاهرموسى بن عيسى ولالة زوجة امحمّد الشبيب وابراهيم رمضان وعمر بلعجال فأخبرهم بأنّي ذكرت أسماءهم تحت طائلة العذاب الشّديد فأفشيت السّرّبالنّسبة للمبالغ المالية(الإشتراكات) مدّعيّا أنّها مساعدات منحت لي في صالح المسجد ليس إلاّوهكذا ليكون الكلام متطابقا وذلك باعتباري إماما به". قال الراوي :
" فاسـتأذنت المسـؤول للـذّهاب إلـى المنـزل متـذرّعا بشـراء بعـض اللّـوازم الضّـرورية للعائلـة فقبـل، فهرعـت إلـى أولئـك الأشـخاص فأخبرتهم بما أوصاني به الإمام".اهـ
-ملاحظة لا بدّ منها: إنّ نظام جبهة التّحريرالوطني يوصي بعدم إفشاء الأسرارعند الإعتقال إلاّ في حالة تعرّض السّجين للتّعذيب الشّديد وذلك بعد مرور24ساعة من اعتقاله وكذلك حصل للإمام-رحمه الله- .

وفعلا،جيئ بالإمام محمد بن عمرغداة إليوم التالي إلى حيّ باب الحدّاد صباحا قبالة محلّ "بو لقصاع " بالقرب من المخبزة وكان على متن مركبة " jéep" وهو مكبّل وكان معه أربعة جنود مظلّيين من أصحاب القبّعات الحمراء وهم أشرس الخلق، وفي تلك الأثناء كنت أنا ابنه جمال الدّين من بين الأطفال وبعض البالغين من سكّان الحيّ الذين جاؤوا لمشاهدة إمامهم وهوعلى تلك المركبة وكنّاعلى مسافة قريبة منها فلاحظني والدي-رحمه الله- فقال لأحدالجنودمشيراإليّ: ذاك ولدي أريدالتّحدّث معه. فأشارإليّ الجنديّ بالاقتراب،فاقتربت من والدي وأخذ يحدّثني باللّهجة المحلّيّة فقال له أحدهم : حدّثه بالفرنسية. فشرع يسألني عن أحوال والدتي التي كانت حاملا وكان يخشى عليها الإصابة بمكروه نتيجة الصّدمةالتي أصابتهاأثناءالاعتقال كما سألني عن إخوتي وأخواتي فطمأنته بأنّهم كلّهم بخيرثمّ حثّني على الذّهاب إلى المدرسة ،علما أنّني لاحظت على حاجبه الأيسر ندبة(علامة) ضرب.

ثمّ أخذ على مرأى من النّاس إلى بيت كلّ من السّيدة لالة زوجة امحمّد اشبيب والسيّد إبراهيم رمضان والسّيّد موسى بن عيسى الذين ذكرهم في ما يخصّ جمع الأموال التي تسلّمها منهم على أنّها تبرّعات تخصّ المسجد ليس إلاّ. وهكذا استطاع ان يجنّب هؤلاء التّعذيب لكن سلّطت عليهم غرامات مالية بدعوى جمع المال بدون ترخيص،أمّا السّيد بلعجال فلا أعلم عنه شيئا إلاّ أنّ هذا الأخيرمع الأسف الشّديد لم يلتمس للإمام محمد بن عمرعذرا،هذا عندما لقيته في فندقه. والسّؤال المطروح على هذا الأخير: ماذا عساك أن تفعل لو كنت في مكانه؟.

-المشهد الثّاني من العذاب و الشاهد الثّاني :

حدّثني السّيّد رزقي بوحفص بن مسعود[1] -رحمه الله- وهو قيّم أسبق في المسجد العتيق المالكي بحيّ بني مرزوق -غارداية-وهذا في نهاية الستينات من القرن العشرين كشاهد عيان حينما نزل عليّ ضيفا في البليدة

[1]- العضد الأيمن للإمام محمد بن عمر

وكان برفقة ابنه السّاسي من أجل مساعدته لإدخاله مستشفى فراتنزفانون للأمراض العقلية أين كنت أعمل .
وبينما كنت وإيّاه في دردشة أخذ يحدّثني عن تعذيب والدي-رحمه الله- من طرف المظلّيين أثناء وجوده فيالمعتقل كشاهد عيان،قال لي بعظمة لسانه:" بينما كنت أعمل بستانيّا في جنان البايلك وهو ملك تابع للملحق العسكري خلف مدرسة بن باديس، حين كنت أحشّ الأعشاب الضّارّة بالمنجل وأعتني بالبستان وما فيه من نخيل وأشجارإذا مركبة من نوع" جيبjéep" دخلت البستان بسرعة وعلى متنها أربعة من المظلّيين يتوسّط إثنين منهم أبوك فتلتها أخرى وعلى متنها جنود وفي وسطهم شخص آخرأظنّه الطالب (الشيخ)امّيزة .
أمّا الإمام فقد طرحوه أرضا وأخذوا يركلونه ويرفسونه بأرجلهم رفسا وكانوا يلبسون أحذية غليظة من نوع "رنجاس" فلم يسلم من جسمه
عضو إلاّ ضربوه بقوّة ثمّ أخذوا يوجّهون له لكمات متتالية على الوجه تارة وعلى البطن تارة أخرى وعلى ظهره كذلك بلا رحمة ثمّ رموا به في حوض السّباحة فيغطسونه المرّة تلوالمرّة حتّى كاد يلفظ أنفاسه الأخيرة -والفصل شتاء - ثمّ يخرجونه من الحوض فيجلدونه بسيّاط مفتولة من أسلاك الهاتف فينهالون عليه ضربا بلا شفقةولارحمة فتسمع له آهات تفطّرالقلوب والأكباد وكم كنت أتألّم وأنا أرى الإمام يعاني أشدّ العذاب وكذلك كانوا يفعلون بذاك الرجل وفجأة دخلت مركبة ثالثة "jéep"وعلى متنها ضابط ذورتبة لا أعرف تقديرها، نزل هذا الأخير منها وتوجّه نحوالإمام فقال له: "أنت رجل دين محترم كان عليك أن تلازم مسجدك وتعلّم النّاس دينهم فلا دخل لك في السّيّاسة، فلو احترمت نفسك ما كان ليقع لك ما وقع."
فأجابه الإمام محمد بن عمربكلّ ثبات وتحدّ على الرّغم من آلامه ومعاناته لكن، بإيمان ثابت وجرأة لامثيل لها :"أنت وزبانيتك مأجورون على هذا العمل ولولا أنـا وذاك الرّجل و كثير منّـا ممّن يعذّبون في المعتقلات لكنت أنت وجنودك ترعون الخنازيرفي بلادكم فرنســا " ! فأفحمه أبوك وحينئذ أمرهم بإعادته إلى

الّزنزانة، لكنّ الإمام محمد بن عمرصــارمنهكا من قســوة العذاب الذي لا يطاق وكذلك حال ذاك الرّجل وغالب ظنّي أنّه الشّيخ امّيزة بوداود -والله أعلم "اهــ.- إنّ لله رجالا- !

وإليك أخي القارئ أختي القارئة شهادة الأستاذ المجاهد إبراهيم رمضان (الصــورة) في ما يتعلّق بتعذيب محمد بن عمربوحميدة

وفي هذا الصّدد يؤكّد الأستاذ المجاهد إبراهيم رمضــان ما لاقاه رفيقه الإمام المجاهد محمد بن عمر من العذاب والتنكيـل قـائلا: "...فتمكّن العـدوّمن التّـدخّـل واعتقـال الكثيرمن رؤســـاء الخلايـاالثوريـة في منطقـةغردايـة والقرارة فتمّ القبض في شـــهرجـانفي1957على الشـــيخ محمـد بن عمربوحميدة الذي لقي أشدّ العذاب..."اهـ[1])

وإليك ما جاء في كتاب الأســتاذ حمّاني التجاني بن المزوزي بتصــرّف :"....وفي مـدينـة غردايـة أودع الجمـاعـة في (معتقـل)داخـل المكتـب الثاني(نزل غرداية) -نزل الرسـتميين سـابقا-وحشـروا في قاعة مظلمة باردة فتلقّفتهم أيادي البطش المتعطّشة إلى التنكيل والتعذيب وما إن دقّت السّـاعة الواحدة زوالا يوم 3فيفري 1957حتّى انطلق مسلسـل التّعذيب والاسـتنطاق ....وفي سـجن غرداية التقوا بالمجاهدين المصـلحين محمد الأخضرفيلالي والسّيّد بوحميدة محمد بن عمراللذين ألقي عليهما القبض في نفس الفترة وكانا على اتّصـال وثيق بالمجاهد سلامة سلامة كما كانا من المكلّفين القيّاديين بالعمل الثّوري بغرداية في إطار لجنة غرداية .

وخلال اعتقالهم بســـجن غرداية يروي المعتقلون صـــورا مرعبة من الترويع والتعذيب، والإذلال ولكلّ معتقل حديث من المعانات ..."[2]

---

[1]- أ/ مصطفى رمضان :إبراهيم رمضان رجل العلم والنّضال ص 177

[2]- ومضات من تاريخ القرارة تأ ليف الأستاذأحمد حمّاني التّجاني بن المزوزي ط ص123/122

-المشهد الثالث والشاهد الثالث :

رحلة شاقّة وعذاب أشدّ إيلاماً

بعدأن ذاق الرّفيقان المجاهدان الإمام محمد بن عمربوحميدة والشـــيخ بوداوود امّيزة أشـدّ العذاب حسـب شـهادة المرحوم رزقي بوحفص بن مسعود من طرف زبانية الاستعماروبعد أن نكّل بهما أشدّ التنكيل قرّرت إدارة الملحق العســكري نقلهما إلى ســجن الحرّاش لينقلا فيما بعد إلى سجن البليدة وليحاكماهنالك، حيث روى لي زميلي في التّعليم في مدرسة محمد بن الصّـــالح بوزيدي بحيّ الخرّاجة في بداية الثمانينات ورفيق والدي في النّضـال أثناء الحركة الوطنيّة وفي الجهاد أثناء الثّورة الأستاذ القديرسي بوداود امّيزة قصّة مأسوية أثناء ترحيلهماإلى الشمال.

حيث قال لي مانصّـــه: " أخرجنا نحن الاثنين غداة ترحيلنا من معتقل الملحق العسـكري بغارداية مكبّلين بالأغلال حليقي الرّأسـين وفي حال يرثى لها وقد انهال علينا جنود الاســتعماربالضّــرب والرّكلات عند الخروج من الثكنـة وكنّـا برفقـة دركي (جندارم) وكـان الدّركي يحمل محفظة فيها ملفّات ،فيما كان رتل من شـــاحنات فرقة اللّفيف الأجنبي (Légion étrangére)وهم شرّ خلق الله ينتظروننا فأصعدنا الدّركيّ على شـــاحنة عســكريّة مغطّاة بالباش من نوع (GMC)فأجلســنا على أرضـــية الشّـــاحنة بين أرجل الجنود وكلانا جاثم على ركبتيه مطأطئاً رأســـه وأمّا الدّركي فجلس مع الجنود كأحد منهم، ومن هنا تبدأ قصّـــة رحلة شاقّة وعذاب أشدّ إيلاماً:

وعند الإقلاع ســـأله ضـــابط ذورتبة -أجهل قدرها- :"ماذا فعل هذان السّجينان؟فأجابه الدّركيّ"لقدسرقاالتّمرمن بساتين النّخيل بعد السّطوعليها -وهذارأفة بنا !- والحمد لله -أنّه لم يقل له الحقيقة،لوقال له إنّهما مساندان "للفلاّقة"لحلّت بنامصيبة أعظم ،فوجّه الضّابط لكلّ منّا لكمات قويّة متتالية على الوجه وقال لنا صـــارخا: أتســرقان تمرالنّاس؟!وأخذ يكرّرها عند كلّ لكمة، ما فتح الشّهيّة لجنوده لينهالوا علينا ضرباً شديداً،

بالأيادي تارة وبأعقاب البنادق تارة أخرى وفيما كانت القافلة تسـيرلم يتوقّفوا عن ضربنا وهم يردّدون عبارة " أيا سارقان" !

لم يكتفوا بذلك بل حلا لهم أن سلّطواعلينا أشدّ العذاب ألاوهوالكيّ بسجائر(الدّخان) فما من عضومن الرّأس حتّى الرّقبة وما تلاهما خاصّة الأذنين إلاّ كووه ثم أخذ أحدهم زجاجة الخمرالأحمرفوضعها في فم سي محمد بن عمرمحاولا إرغامه على تناول جرعات لكنّ محمد بن عمر- رحمه الله-كان يمجّ جرعة الخمرالّتي قد تكون تسرّبت إلى حلقه فتلطّخ برنسه الأبيض الخفيف الّذي كان يرتديه في صلوات الجمعات في مسجد خالد بن الوليد وهوإمام،مع العلم أنّ البرد كان شديداعلينالاعليهم لأنّهم كانوا يلبسون ألبسة صوفيّة أوقطنية باردسو(par-dessus) ما جعلنا لا نتمسّك التّبوّل، أضف إلى ذلك الجوع الّذي كاد يمزّق أحشاءنا.

كلّ هذا ظلّ على نفس الحال حتّى وصلنا مدينة المدية عند الغروب فأدخلونا مرآبا (Garage)في إحدى الثّكنات مهجورا، مظلما، موحشا، يغشاه نسيج العنكبوت، سقفه من معدن الزّنك ،شديدالبرودة ورمونا أرضاثمّ أغلقواالباب الحديدي بسلسلة وقفل وتركونا لوحدنا مع الجرذان ولم نكن نراهاولكنّنا كنّا نسمع أصواتها المقزّزة، المرعبة، وكانت تلامس في بعض الأحيان أرجلناعندمرورها بقربنا لكنّ الله حفظنا من أذاها،فباتت أسناننا تصطكّ وجسمانا يرتعشان من شدّة البرد-وماأدراك ما بردالمدية!- لاغطاء ولا فراش ولا حتىّ لباس يقينا شدّة القرّ لولا احتماؤنا بالذّكركما كنّا نفعل ونحن على متن الشّاحنة وأمّا بطن كلّ منّا فكانت تسمع له قرقرة كنقيق الضّفادع من شدّة الجوع ،هكذا قضينا تلك اللّيلة حتّى شروق اليوم التالي.

أقلعت الشّاحنات من جديد وواصلت القافلة سيرها عبرمنعرجات الشّفّة وفي تلك الأثناء أمرضّابط جنوده بالانحناء لتفادي طلقات رصاص "الفلاّقة" المحتمل فانبطحوا علينا وبقوا على تلك الحال وقدأثقلوا كاهلينا إلى أن استوت الطريق قبل الدّخول إلى البليدة. (الطّريق الوطني القديم)

رقم (01) الصّعب المسالك والمنعرجات المؤدّي من غارداية إلى العاصمة وقد استغرقت مدّة التّنقّل ما يزيد على 12ساعة.

وما إن وصلنا إلى العاصمة قبل تحويلنا إلى سجن الحرّاش، وقد خارت قوّانا حتّى وجدنا أنفسنا في مركز الدّرك أين استقرّت بنا الحال فتنفّسنا الصّعداء،فاستقبلنا بعض الدّركيين بركلات ولكمات،لكنّها اقلّ حدّة ممّا أصابنا من أذى تلك الوحوش الضّارية جنود اللّفيف الأجنبي وأظنّ أنّهم كانوا يبتغون من وراء ذلك العذاب والحرمان من الأكل تصفيتنا فنموت موتة بطيئة وإلاّ فكيف يفسّر ذلك ؟!اهـ [1]

- دخوله سجن البليدة وإلقاؤه الدروس في إحدى قاعاته

كان الإمام محمد بن عمريلقي دروسا في إحدى قاعات سجن البليدة حسب شاهدعلى العصروهوأحد رفاقه في النّضال الأستاذ المجاهد علي جغاب بن العلمي (2) أحد المعتقلين من جماعة القرارة.

وللعلم أنّه كان يشـــغل منصـــب مفتّش في التّعليم الإبتدائي- المقاطعة الثّالثة- في الثّمانينات من القرن العشـــرين وكنت يومئذ مدرّســـا في مدرسة"محمد بن الصّالح بوزيدي"ولمّا علم أنّي ابن محمد بن عمركنت بالنّســـبة إليه مفاجأة ســـارّة!ثمّ أخذ يحدّثني عن الثّورة وعلاقته بوالدي ونضاله معه أثناءها .

لم يفوّت هذا الأخير فرصة ذاك اللّقاء فشرع في حديثه عن يومياته في سجن البليدة رفقةوالدي،وأمّاأهمّ ما استذكره فهوماجاء في سيّاق الحديث عن مهمّة صاحبه الدّعوية والإصلاحية والتّعليمية في السّجن حين كان يلقي دروسا كسالف عهده في مسجد خالد بن الوليدوكان في إحدى أكبر قاعات السّجن،رمزها"بB"التي كانت تسع حوالي مائة سجين،شرع -رحمه الله- في إعطاء دروس متنوّعة في الدّين كالفقه الميسّـرودراســة أصـــول الفقه وأحكامه فضـــلا عن إلقاء دروس في اللّغة العربيّة وفي التّاريخ، وهذا في أوقات معيّنة خاصّــة بعد الأصــيل مغتنما فرصــة قلّة

1)-اميزة بوداوود رفيق الأمام محمد بت عمر في النضال والجهاد
2)-أحد رفاق الإمام محمد بن عمر في سجن البليدة من جماعة القرارة

حركة الحرّاس،ويتمّ هذا في إحدى زوايا القاعة متواريا عن أنظارهم وعادة مايلقي الدّروس على مجموعات صـــغيرة،كلّ مجموعة حســـب مستوى أفرادها .

استطرد الرّاوي حديثه قائلا:

"ففي إحدى اللّيالي اغتنم محمد بن عمر فرصـــة الإحتفال بعيد من أعياد النّصارى ليلقي محاضرة على جميع سجناء القاعة البالغ عددهم حوالي المائة وكنت أحد الحاضـــرين فكلّف - رحمه الله- أحدهم بمراقبة تحرّك الحرّاس ليحطاط منهم إذا بأحدهم توجّس أنّ في القاعة شـــيئا ما مريبا، لافتا فتوجّه نحو الممرّ المؤدّي إلى القاعة "ب B" بتؤدة في حين شـرع الإمام في إلقاء المحاضـــرة فأخبره المراقب بقدوم الحارس ،فما لبث أن عاد هذا الأخيرعلى أدراجه فورا ليخبرمسـؤول الجناح بما سـمع ورأى ،لكنّ الإمام محمد بن عمرواصـل حديثه غيرمكترث بما قد يحدث ،وإن هي إلاّدقائق حتّى حضرمديرالسّجن نفسه مصحوبابزبانيته وكان يرتدي منامته ثمّ توقّف عند شبّاك القاعة لحظات ينصـت إلى المحاضـرفسمعه يتكلّم عن المناسبة بعدأن غيّرالموضوع تمويها،مذكّراالحضوربأنّ النّبيّ عيسـى-عليه السّـلام- المحتفى به من أنبياء الله ونحن المسـلمين أولى به من النّصـارى،فالتفت مديرالسـجن إلى مسـؤول الجناح قائلا: ألا تسـمع الرّجل يتحدّث عن عيسى بالمناسبة؟فأنّب الحارس قائلا: لقد أقضـضت مضـــجعي أيّها الرجل !وهكذا اســتطاع أبوك أن يؤدّي رســالته بحكمة بالغة".

-إشادة سجين سيّاسيّ بإحدى خصال الإمام محمد بن عمر:

بينمـا كنـت في زيـارة الوالـدة -رحمهـا الله- بـالبليـدة طلـب منّي أحـد أصـــدقائي الأوفياء كانت قد جمعتني به صـــداقة قديمة وهوأحد المحكوم عليهم بالإعدام من طرف المحكمة الإســتعمارية في البليدة اســمه عبد القادرفاطمي،أن أصـــحبه لزيارة أحد أصـــدقائه ورفاقه في الجهاد أثناء الثّورة التّحريرية،اسمه عبد القادرهوالآخر،حدث هذا خلال سنة 1985 وكان لصديقه هذا محلّ يعمل فيه إسكافيّا أي يرقّع الأحذية ويصنع بعضـها

بالحيّ العتيق"الدويرات "بوسـط المدينة ولمّا دخلنا محلّه وبعد تبادل التّحايا عرّفه صـديقي بشـخصـي وما إن سـمع منه اسـم "بوحميدة" بدا عليه كأنّه يسـتذكر أمرا ما شـفسـكت لحظة ثمّ قال: "إنّ هذا الاسـم ليس غريبا عنّي، أتذكّر أنّ شـخصـا عرفته في السّـجن هنا في البليدة سـنة1957 "فأخذ يعدّد صفاته، بأنّه طويل القامة، نحيف،ملتح، له نظّارة زجاجها شفّاف.وكان إماما يصلّي بالجماعة الصّلوات الخمس ويعطينا دروسا في الدّين واللّغة العربيّة والتّاريخ ويقوم بمحاضـــرات في قاعة رمزها "ب B". ففاجأته قائلا: بأنّ ذاك الرّجل هو والدي.-رحمه الله- قال : والدك ؟!.فطفق يجهش بالبكاء حتّى احمرّت عيناه من أثر ذلك لدقائق، فقلت له ما أبكاك يا أخي؟ !

قال : الذي أبكاني موقف هذا الرّجل الصّالح، فقلت له: أنا لم اعد أبكي على والدي لأنّه قد مات منذ عشرين سنة خلت.

قال الّذي أبكاني هو: "أنّه ذات ليلة جدّ باردة كنت أنام إلى جانبه وأنا شـابّ يافع وكنّا نتغطّى ببطّانية واحدة رثّة،وكان يجمع رجليه إلى ذقنه فأقول له: مدّد رجليك يا سي الحاج، فيردّ عليّ بتواضع قائلا: لو أمدّ رجليّ فستتعرّض أنت للبرد لكوني أطول منك؟،هذا الذي أبكاني يا أخي-رحم الله الحاج بوحميدة -كان نعم الرفيق ونعم الأنيس ونعم الأستاذ "!!اهـ

تلك هي يومياته في السجن -رحمه الله -.

ولعلمك أنّه صـدرعلى الإمام محمّد بن عمرحكم بالسـجن سـنتين،إحداهما نافذة وغرامة مالية لا أعلم قدرها ثمّ أفرج عنه وهولا يعلم المصـيرالأسـوأ الّذي ينتظره بعد انقضاء مدّة العقوبة.

- نفي محمد بن عمر على إثر مؤامرة دبّرت له:

حيث أنّه تقرّرنفيه -رحمه الله- على إثرمؤامرة حيكت له خيوطها بليل بتدبيرمن الحاكم العسـكري(L'administrateur) وبالتّعاون مع القائد المحلّي العرفي وبمباركـة من منـاوئيـه عملاء الإسـتعمـاروهم من نصّـبوأنفسـهم علية على القوم بعد أن كان يؤمّهم في صـلواتهم وهم ممّن كانوا يتصدّرون الصّف الأوّل!

فلمّا أطلق سراح الإمام المجاهد محمد بن عمرمن السّجن بتاريخ 21جانفي 1958عاد إلى بيته في 22 أو23جانفي1958،حينذاك زاره بعض الأصدقاء والمحبّين على تخوّف من المخابرت لكن،كان من بينهم رئيس العصابة الّتي باركت قرارالنّفي وهوبئس الرجل ،كان أوّل من قدّم له التّهاني ،هذا حسب ما صرّح به ابن أخيه الّذي كان من المتعاطفين مع الإمام محمد بن عمر،فيما كانت خيوط المؤامرة تحبك بين حاكم الملحق العسكري chéfd'annéxeوالشرذ مة العميلة بالتنسيق وبالتواطئ مع القائد المحلّي العرفي المفوّض الّذي كانت إدارته في ساحة السّوق لكونه يمثّل همزة وصل بين المجموعة المتآمرة والحاكم الفرنسي،حيث أنّ بين القائد المحلّي ورئيس العصابة علاقةً حميميّةً ناهيك عن المصالح التّجارية المتبادلة بينهما،وكذلك الشأن بالنسبة لنظرائه،علماً أنّ هذه المجموعة كانت ذات تأثيرقويّ على أغراض ومنافع المجتمع آنذاك و يمكن التوسّل إليهم عندما يتعلّق الأمربالمصالح الإدارية ذات المنفعة الخاصّة كالتّخفيض من الضّرائب مثلاً أوإعفائهم من اللّزمة وهي ضريبة سنوية مفروضة على الأفراد يقوم بجمعها رؤساء العشائر ما أهّلهم أن يكونوا أهل الحلّ والعقد "الصوريين "المكينين لهم،الأمناء لأسيادهم وكوسطاء بين الإدارة والمجتمع وهنا تكمن قوّتهم الّتي منحتها إيّاهم السلطات الإستعمارية مقابل ولائهم هذاوكسبهم ودّهم وبالتّالي استفادتهم من اللّزمة نسبيّا،التي كلّفوا بجمعها على حساب المجتمع الذي جلّه من المساكين.

وحيث أن حاكم الملحق العسكري الفرنسي"بيروعرب"بالبرج وبالتّعاون مع مكتب المخابرات كان يبحث عن مبرّريستند إليه لتطبيق قرارالإبعاد المتضمّن حيثيّات قانونيّة تعزيريّة،زجريّة إدارية تسمح له بتنفيذ ذلك القرارنظرالكون الإمام محمد بن عمرشخصية معتبرةعندالمالكيّة عموماويعتبرهؤلاء قاعدة خلفية داعمة ودروعا بشرية له وصمّام أمان يجعل الإدارة الفرنسية تتحاشى حجزه تلقائيّا ممّا زاده قوّة على التحدّي وهذا إشارة إلى المظاهرة الإحتجاجية عند حجزه سنة 1952م والّتي

كانت صـفعة قويّة مؤلمة لقادتها وأذنابهم وكانت ترى في تلك الحشـود تيّارا قويّا يحسب له ألف حساب .

وهكذا أراد القائد العسكري حتّى يمسح السّكّين في تلك المجموعة الّتي لم تتورّع ،بل لم تتحرّوجوب الولاء لإمامهم وهذا بناءعلى ما ينصّ عليه الشّرع مصداقا لقوله تعالى: "...**بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنّهّ منهم إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين...**" من الآية 53 المائدة، علماً أنّ تلك العصابة لا وزن لها في المجموعة السكّانية ولا حتّى في القبيلة التي ينتمون إليها والتي استنكرت هذه المؤامرة بشدّة بعد انكشافها وأبدت امتعاضها من هذا التصرّف المشين والذين أقلّ ما يمكن وصفهم أنّهم خونة ولاتزال اللعنة تلاحقهم وهم في قبورهم من لدن أناس لا يزالون على قيد الحياة كلّما تذكّروا تلك المؤامرة، ومن المفارقة أنّ من أبنائهم من هم متيّمون بشخصه -رحمه الله- .

حيث سارعت هذه العصابة إلى تنفيذ خطّتها بكتابة رسالة بإيعازمن الحاكم العسكري كما ورد أنفا فأمضاها أولئك المتآمرون الخونة ،هذا بناءعلى تصريح الجدّ عمر.وكان فحواها "أنّ الإمام محمد بن عمرقد سحبت منه صفة إمام إذ لم يعد يمثّل شيئا وأنّ تواجده في المدينة يشكّل خطرا على الأمن والإستقراروأنّ توبته غيرواردة لكونه جهاديّا ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تشفع له المجموعة وعليه،يقترح على السّلطة إبعاده عن غارداية تفاديّا لما قد ينجم عنه من خطرعلى العباد والبلاد ،تحذيرا من استئناف علاقته بالثورة ."و للأسف لم تأخذهم رأفة في أبنائه الستّة وأمّهم،-انظر حال أبنائه في الصورة ضمن الملحق-.

لـم يمـض مـن الوقـت سـوى يـوم وبعـض يـوم حتّـى حضـرإليه رجـال المخـابرات الإسـتعمارية بلبـاس مـدنيّ علـى مـتن سـيّارة مدنيّـة مـن نـوع بيجـو203 لونهـا أسـود فاقتـادوه إلـى الملحـق العسـكريّ مجـرّدا مـن الأغـلال وبقـي محتجزاهنـاك وهـولا يـدري لمـاذا ؟لكنّـه بقـي ثابتـا قـويّ الشّـكيمة ينتظرمصـيره المجهول،الشّـيء الّـذي جعـل أسـرته تنتابهـا حيـرة وتـوجّس فاسـتحال ذلـك الأمرإلـى لغزصـعب

حلّـه حيّرجميـع محبّيـه وحلفائـه وشـاع الخبرفـي الحـيّ فالتقطـه أهلـه بأســى عميــق لكن،لاحــول ولا قــوّة لهــم لأنّ يــد الــبطش والعــدوان كانت لهم بالمرصاد وهي المهيمنة على الوضع بقوّة السلاح.
مـا اضـطرأمّه التـي كـان يطلـق عليها"لالـة فاطمـة بنـت زيّـان"توقيرا لهــا أن اهتــدت إلــى فكرة،عســى الله أن يفــرّج الكــرب عــن ابنهــا محمّد وبالتّالي ستنقشع سحب تلك الحيرة.
ومن المفارقات أنّها-رحمها الله- إلتجأت إلى الأب"لويس داوودDavid Père Louis"رئيس الرّهبان بكنيسة غارداية وهورجل سمح،كان سكّان غارداية قد شيّعواجنازته في السّتينات نظيرتسماحه،وحيث أنّ من عادته مجالسة الجدّ عمرفالتمست منه التّدخّل في الشّأن.

-عدوّعاقل خير من صديق جاهل :

إنّ هذا الأخيركان يجلّ الإمام محمد بن عمرويعرف مكانته العلمية و الشّـعبيّة وكان معلّمه في اللّغة الفرنسـيّة وله معه مقابلات كما جاء على لسان المجاهد أحمد مهاية:"كان يتقن الفرنسية،لذا كانت له محاورات مع الآباءالبيض"اهـ [1] في حين أبدى هذا الرجل السّمح امتعاضه وأسفه من تصرّف الإدارة الفرنسية بأنّه غيرقانونيّ خاصّة بعدأن قضى الإمام مدّة العقوبـةوتمّ الإفراج عنـه لاســيّما أنّـه لم يصـــدرقرارالنّفي من طرف المحكمة وأنّه أب لســتة أبناء كلّهم قاصــرون ويصــدق في هذاالرّاهب القول المأثور: "عدوّعاقل خيرمن صديق جاهل!"

قال الله تعالى : "لتجدنّ أشدّ النّاس عداوة للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا،ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى،ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهبانا وأنّهم لايستكبرون"-المائدة84

لبّى الأب داوود طلب الجدّة فتوجّه فورا إلى مكتب قائد الملحق العســكريّ فاسـتفسـره في الموضـوع ،لكنّ هذا الأخير فاجأه بتسـليمه نسـخة من رسـالة

[1]- ذكريات النّضال والمقاومة –تأليف د.سويلم مختار بن موسى ص 147

منسـوخة بورق الكلك وهي ذات الصّـلة موقّعة من قبل تلك المجموعة الخائنة فحملها إلى الجدّ عمر في دكّانه بحيّ الحفرة الذي عادة ما كان يجالسه فيه -وقيل :"الآن حصــحص الحقّ !"- فانكشــفت المؤامرة التي دبّرت للإمام ولم تكن في الحسبان عند خروجه من السجن - رواية عن العمّ الأوسط عيسى بن عمر-.لكنّ أباه الحاج عمراتصل ببعض هؤلاء فورتلقّيه نسخة من تلك الرّسالة ملتمسا منهم التّراجع عن تصــريحاتهم من أجل إلغاء مضــمونها قبل فوات الأوان وبالتالي يمكن للحاكم العســكري أن يبطل القرارقبل المصــادقة عليه من طرف القيّادة العامّـة في الأغواط -وقد يكون هذا رأي الأب لويس داوود LouisDAVID على ما أعتقد من أجل شــقّ صــفّهم- لكنّهم برّروا فعلهم ذاك بأنّهم لم يكونوا يريـدون بـه شــرّا بـدعوى أنّ إبعـاده عن نـاحيـة الجنوب يجعلـه في مـأمن من الخطرالذي يحدق به وبأتباعه وأنّه صــاحب مواقف ثابة وهذا ما يجعل قطع كلّ اتّصــال بينه وبين قيّاديّ الثورة المحلّيين ممكنا ! والغريب في الأمرأنّ بعضــهم ادّعوا على أنّهم انضــموا إلى المجموعة المتآمرة مكرهين خشــية على أنفســهم وذلك اتّقاء إصــابتهم بســوء من طرف المخابرت الإســتعمارية (جبناء!) انتقاما منهم،والحال كذلك أن يظهروا للسّــلطة الولاء ولوعلى حســاب إمامهم.فمثلهم كمثل من قال فيهم تعالى:

"...فترى الذين في قلوبهم مرض يسـارعون فيهم يقولون نخشـى أن تصـيبنا دائرة، فعسى الله أن يـاتي بالفتح أوأمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا *في أنفسهم نـادمين "المائد 54*

-صدرالحكم بالإعدام،لكنّ الشّفاعة حلّت:

وفي عام 1975قبل سنة من وفاة الجدّعمرقال لي -رحمه الله- في شأن هؤلاء الخونة :"انتقلت ذات يوم إلى ضاية بن ضحوة كما جرت العادة على صهوة حماري ولمّا صرت في الثّنية الصّغرى استوقفني شخص ملثّم أجهل هويّته لكنّه ناداني باسمي قائلا : يا سي عمرأرجوك سلّمني الرّسالة ّالتي هي في حوزتك والتي تآمرفيها أولئك العملاء ضدّ ابنك الإمام الحاج محمّد فأنا مبعوث من طرف جيش التّحربرالوطني ،حيث أنّ الجبهة قد أصدرت على هؤلاء الخونة المتعاملين مع العدوّ حكما بالإعدام . قال الجدّ عمر-رحمه الله- : فأ نكرت عليه ذلك مدّعيّا

بأنّ ذلك الكلام إن هو إلاّ إشاعة روّجها العامّة من النّاس في الحيّ ولا أساس لها من الصّحة .

فعقّبت عليه أنا حفيده قائلا : أتشفع يا جدّي في من فعلوا الشّرّ في ابنك محمد وتآمروا مع العدوّ؟ ألم يتسبّبوا في تعاسة وشقاء ابنك وأحفادك وأمّهم؟ لوكنت في مكانك لطالبت بتقطيع أوصالهم إرباً ،إرباً." قال لي- رحمه الله- : "يا ابني جمال إنّي وكّلت الأمر إلى الله لينتقم منهم رأفة بأبنائهم وأسرهم .

-وأخيرا نفّذت المؤامرة بقرارإداري عسكريّ تعسّفيّ:

نفّذت المؤامرة، فنقل -رحمه الله -إلى مركز العبوربالأغواط centre transiteLaghouat de ريثما تتمّ إجراءات النّفي من طرف قائد النّاحية العسكريّة العقيد "كاتزجوزيف" كما ورد في قرارالنّفي رقم36 صادرفي 11فيفري 1958بالأغواط الذي توجد نسخة منه في الملحق علما أنّ القيّادة الإستعمارية ألحقت به مناضلين آخرين من مدينتي القرارة وبريّان وهم التّالية أسماؤهم :سلامة الحاج سلامة بن أحمد1909ولد في القرارة ، و بن صالح بومدين 1895 ولد في مستغانم ،وقرين إبراهيم ولد في بريّان 1917. و كان في ذلك المركز بعض المعتقلين من أبناء غارداية الذين كانوا ينتظرون نقلهم إلى المحكمة بالعاصمة أو بالبليدة وأذكر بعضهم :أولاد عبد الله زيّان بن الحرمة و لروي الحاج سليمان وطاهر موسى بن عيسى وحاج قويدرعبد الرحمن ،وبن موسى الحاج إبراهيم وزرباني عمران وخليل عُمارة...إلخ وذكر لي السيّد أولاد عبد الله زيّان بن الحرمة : "أنّنا لمّا علمنا أنّ شخصا جيئ به إلى المركز وأودع في غرفة قريبة منّا طلبت منّي الجماعة التوجّه نحو تلك الغرفة للتعرّف على الشخص المحتجزفيها لكوني أصغرهم فتسلّلت لواذا حتّى أتمكّن من الوصول إليه فلمّا سألته عن هويّته قال لي: "أنا الإمام محمد بن عمرثمّ هرعت إلى رفاقي فأخبرتهم بذلك وكان هذا على ما أذكربعد جانفي1958"اهـ

وأعتقدأنّ جماعة القرارةوبريّان الواردة أسماؤهم في قرار النّفي المشار إليه قد سرى عليهم نفس الإجراء التّعسّفي لتبرير نفيهم مادامت المحكمة لم تصدر حكما بذلك كما هو حال الإمام. و تجدرالملاحظة إلى أنّه جاء في حيثيات القراررقم 36مانصّه حرفيّا في ما يلي:"تقرّرعدم السّماح ببقاء كلّ من السّادة:سلامة الحاج سلامة وبوحميدة محمدوبن صالح بومدين وقرين إبراهيم بنواحي الجنوب لكونهم مصدرا للقلق وعدم الاستقرارالأمني"- ستجد نسخة من قرارالنفي في الملحق-

وفي أوّل زيّارة له وهي آخرها إلى غارداية بعدالإستقلال سنة1963 ألقى الإمام محمد بن عمركلمة في المسجد ثمّ أخذ يؤنّب تلك المجموعة التي كانت موالية لفرنساوكانت متواجدة ضمن الحضورقائلا: يامن كنتم تتعاونون مع فرنساوتتآمرون عليّ،لقد ذهبت فرنسا إلى غيررجعة وتخلّت عنكم فماذا عساي أن أفعل بكم؟وإنّي لأراكم هنا واحداً،واحداً،لكنّي أترك الأمرإلى الله لينتقم منكم.ثم أثنى على جميع المالكية ممثّلين في أعراشهم على مساهماتهم المعتبرة أثناء الثّورة المباركة حين أبلوا فيها بلاءً حسنا فقدّموا النّفس والنّفيس وضحّوابأرواحهم فداءً للوطن وذكرمنهم عرش المذابيح من ضاية بن ضحوة إلى غارداية الذين منحوه ولاءهم وناصروه وآزروه في السّرّاء والضّرأءوحين البأس فكانوا نعم العشيرة. -عن بعض الرّوّاة-

الفصل السادس

اختياره مدينة براقي مقرّا لمنفاه القسري الدائم

-ظروف إقامته في المنفى:

نفّذ قرارالنّفي رقمه 36موقّعا من قبل قائد النّاحية العسكريّة بالأغواط العقيد"كاتزجوزيف"في11فيفري1958بمباركة من أولئك الخونة الموبوئين بداء حبّ فرنسا الإستعماريّة الإستيطانيّة كما سبق لي ذكره وكما هو حال المتعلّقين بتلابيب الاستعمارالثقافي الفرنسي في زمننا هذا والمدينين لأمّهم فرنسا بالولاء.

قضى-رحمه الله- ليال أوبعض الأيّام في زنزانة انفرادية في ذلك المركز قبل نقله إلى الشمال والتحاقه ببرّاقي .

ثمّ نقل-رحمه الله- إلى مركزالدّرك الفرنسي بالحرّاش لإيداعه هنالك مؤقتا ريثما يسلّم إلى الإدارة المحلّية كآخرمرحلة قضاها في الحجز، هذاحسبما أخبرني به هو نفسه-رحمه الله- عندما كنت وإيّاه عائدين ذات يوم من العاصمة -الجزائر- متوجّهين إلى برّاقي ونحن على متن حافلة فأشارإلى مركز الدّرك قائلا لي:" هنا كنت محتجزا".وهذا المركزكان يقع عند الخروج من الحرّاش في اتّجاه مدينة برّاقي بالقرب من مركّب سيّارات رونو(Renault). ثمّ نقل إلى مركزلاصاص"sas " ببرّاقي أين تمّ تسجيل إقامته الجبرية،فسلّموه بطاقة هويّة خاصّة به وأجبروه على التّوقيع اليومي على سجلّ خاصّ،بحضوره الشّخصي وألزموه بذكر اسم وعنوان من سيؤويه وهو المرحوم السيّد يونس الحاج صالح من أصول مدينة القرارة وهومالكيّ المذهب وعلى هذاالأخيرأن يصرّح بإيوائه كائنا من كان إذا ما حلّ عنده ضيفا ولو ليلة وتقديم بطاقات الهويّة لمصلحة"لاصاصالدّرك أوالشّرطة"وهذاالإجراءالقانونيّ التّعسّفي كان ساري المفعول ومطبّقا على كلّ أهل برّاقي بدون استثناءوفي أيّة بلديّة كانت ثمّ يسلّم لصاحب المأوى ترخيص بالإيواء يظهره للأمن أوالجيش أوالدّرك إذاماداهموا بيته ليلا أونهاراوهذاما كان جاربه العمل خلال أيّام الثّورة .

-التحاق أسرته به إلى برّاقي:

اختار- رحمه الله-مدينة برّاقي مقرّا دائما له ولم يكن هذا الإختياراعتباطيّا ذلك لأنّه سبق له أن زارها وضواحي العاصمة كما سبق لي ذكره في ما يتعلّق بجمع المال لإعادة بناء مسجد خالد بن الوليد سنة1944،لأنّ من بين سكّانها أبناءعشيرته "المذابيح" الذين كانوا يعملون في معمل الأجورلأحد الكلون اسمه كوست Coste صاحب الذراع المبتورة بناحية حيّ سليبة القصديري.وكان-رحمه الله-يتنقّل بينهم وهو خالي الوفاض،فأووه وأطعموه فأحسنوا وفادته بالتّناوب وفي

بعض الأحيان يقيم عند طاهرالطاهرالّذي غيّراسمه "قاسم الطاهر"وهو من عشـــيرة"الســـباقيق"من غارداية وكانت زوجته فطّومة تلك المرأة الصّالحة -رحمها الله- مكلّفة بغسل ملابسه فضلا عن إعداد طعام الغداء له إلى أن استقرّت حاله.

علما أنّ إقامته عند هذا الأخيرعادة ما تكون نهارا فضـــلا عن إقامته الشّـــبه الدائمة عندالسّـــيّد صـــالح يونس كما جاء ذكره،لكنّ الإدارة الإستعمارية لم تطمئنّ بوجوده آخذة بعين الاعتبار سوابقه العدلية وربّما كانت تســاورها شــكوك حوله،ولهذا كانت تتعامل معه بصــرامة وحزم فاستدعته لتقول له: عليك بإثبات إقامتك الدّائمة ولا يكون ذلك إلاّ بتواجد أفراد أسـرتك معك وإلاّ فسـيتمّ ترحيلك إلى عمالة أخرى (ولاية أخرى) فـانصـــــاع-رحمـه الله- مكرهـا لهـذا القرارالمجحف وهولا يملـك مـأوى خاصّـا به حيث إذا ما رحّل إلى عمالة أخرى فسيحلّ بها غريبا وهذا ما سـيكلّفه متاعب جمّة تكون لها تبعات غير محمودة العواقب لا سـيّما أنّ الإدارة الإســـتعمارية قد أنظرته مدة لا تتجاوزثلاثة أيّام على الأكثر ما اضـطرّه إلى دعوة أسـرته للقدوم إلى برّاقي فورا مهما تكن الحال،فكلّف أخاه "مسـعود "الشّـقيق الأصـغرللقيام بمهمّة التّرحيل وتمّ الإتصـال به بواسطة هاتف أحد التجّار.

وتعـود بـي الـذّاكرة إلـى يـوم بدايـة السـنة الدّراسـية فـي شـهرأكتوبر سـنة 1958حينماانتقلـت مـن مدرسـة" محمـد بـن الصّـالح بوزيـدي" بحـيّ الخرّاجـة مـع مجموعـة مـن التلاميـذ إلـى المدرسـة "اللائكيـة "أوريـدة مـداد وبينمـا كنـت فـي السـاحة نـاداني معلّمـي السّـيّد محمـود ثليجـــي-رحمـــه الله- فســـلّمني الدفترالمدرســـي والشّـــهادة المدرســـية وقال لي :إنّك ذاهب لتلتحق بأبيك هنالك حيث يتواجد .

ولم أكن على علم بذلك التحويل الطـارئ حيث أنّ والدتي- رحمها الله- بلغها الخبرفجأة،فاضطرّت إلى بيع بعض حليّها وبعض الزّرابي وباعت عنزتين ومنسـجا وأشـياء كثيرة مقابل ثمن بخس دراهم معدودة من أجل اسـتئجارشـاحنة لنقل ما تبقّى من الأمتعة الضّـرورية علاوة على ذلك

استئجار سيارة لنقل أفراد الأسرة مهما بلغت تكاليف النقل لأنّ الأمر مصيري،ذلك لكون الأب مهدّدا بالطّردإلى مصيرمجهول،فقام العمّ "مسعود "-رحمه الله -على الفورباستئجارسيّارة من نوع "أريان" وشاحنة مغطّاة بالباش من نوع"رونو"كلتاهما ملك لصاحبهما السيّد بوّال ابراهيم وفيما أذكرأنّ الوالدة -رحمها الله-أخذت تجمع الأمتعة وتعدّ الزّاد إلى ساعة متأخّرة من الليل بمساعدة بعض النّسوة.

و في صباح يوم 3أو4أكتوبر1958غادرنا غارداية إلى غيررجعة حتّى وصلنا إلى برّاقي بعد أن نالت منّا وعثاء السّفر بسبب صعوبة المسالك ذات المنعرجات،ناهيك عن التعطلات الّتي تسبّبتها متاريس الجيش الفرنسي وأرتاله البطيئة في سيرها ضمن قافلة طويلة من الشاحنات والمركبات العسكرية بما فيها حاملات الدّبابات التي حشرت بينها المركبات المدنية،علما أنّه لم يكن السفرسهلا وكانت المسافة أطول ممّا هي عليه في الوقت الراهن ولابدّ من الإشارة إلى ما لاحظته في الطريق منذ خروجنا من غارداية وهو تخريب أعمدة الهاتف الخشبية من طرف المسبّلين بواسطة المناشيروكانت خيوط الهاتف ملقاة أرضا وهذ ا من أجل قطع الاتصالات بين إدارات العدوّوقيّاداته .

وصلنا إلى برّاقي مساءً عند الأصيل فاستقبلنا والدنا -رحمه لله- استقبالا حارّاوبعبرات تذرفها عيناه،تنمّ عن الشّوق والحنين وكنّا نظنّ أنّه يملك بيتا إذا هو يسكن عند عائلة السّيّد الجاج صالح يونس الّذي سبق ذكره والذي لم يكن له سوى غرفتين وله خمسة أو ستّة أبناء إضافة إلى أمّهم وأمّا نحن فكنّا ستّة أبناء إضافة إلى أبوينا فصرنا عبأ عليه -رحمه الله- فجزاه الله عنّا خيرا يوم لا جزاء إلاّ جزاؤه،لكنّنا عانينا من شدّة البرد ،فلم تكن عندنا أغطية كافية كما لم يكن لصاحب البيت مدفأة اللّهمّ إلاّ "كانونا" من الطّين كنّا نتحلّق حوله،نستدفئ بوهج نارالفحم طوال فصل الشّتاء فمكثنا عنده إلى نهاية هذا الفصل ثمّ انتقلنا إلى بيت المرحوم بن هنيّة الحاج أحمد بن ميلود وهومن أهل ضاية بن ضحوة الذّي تخلّى لنا عن بيته الّذي كان يحتوي على غرفتين وقطعة

أرض مغروسة ببعض الخضرلينتقل فيما بعد إلى الحيّ القصديري "اسقالة "ببلدية السّمّارمع أسرته في بداية ربيع سنة1959فمكثنا في منزله إلى حلول فصل الخريف .

هذا إن دلّ على شيئ إنّما يدلّ على سلوك الإيثارالذي كان يتحلّى به معظم النّاس في العهدالإستعماري على الرغم من الفاقة في سنين العسرة فمثلهم كمثل من قال فيهم تعالى:**"والذين تبوّؤوا الداروالإيمان من قبلهم يحبّون من هاجرإليهم ولايجدون حاجة في صدورهم ممّا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"**9 الحشر .

لاكماهوسلوك جلّ أفراد مجتمع هذا الزمان المتميّزبسلوك الإستئثارعلى الرغم من الرخاء والنعم التي لا تحصى والتي لاقبل للسلف بها،وهكذا بقينا حتّى نهاية خريف سنة1959ثم تحوّلنا إلى منزلين على التوالي على سبيل الكراء.

-ممارسته التّجارة في المواد الغذائية وبيع الخضر:

شرع الوالد-رحمه الله- في ممارسة التّجارة بعدأن استأجردكّانامن صاحبه السّيّد الواضح الحاج رابح (الطّكسيور)- رحمه الله-،كان دكّانا صغيرا لبيع الموادّ الغذائية والخضربعد أن استخرج السجلّ التجاري باسم شقيقه الأصغر"مسعود"لأنّ القانون لا يسمح له بممارسة التجارة نظرا لسوابقه العدلية .

وأذكرأنّني بعد انقطاعيي عن الدراسةعلى خلفية موقف معاد لزوج معلّمتي السّيّدة(Gérnaule) لكونه ضابطا من المظلّيين الذي كان يلج القسم ببدلته العسكرية المزركشة متوشّحا مسدّسه ،ما أثارحفيظتي وذكّرني وجوده بيوم اعتقال والدي-رحمه الله-فانقطعت عن الدّراسة بمحض إرادتي فتلقّى الوالد بعد ئذ إشعارا بالغيّاب .

حاول-رحمه الله-إقناعي بضرورة مواصلة الدراسة فأصررت على عدم العودة إليها ولم أفصح له بحقيقة قراري الّذي سببه نفوري من ذلك المظلّي وما كان يمارسه من تصرّفات مخلّة بالحياء لأنّ في الكلام ما له علاقة الزّوج بعقيلته على مرأى من التّلاميذوحينئذ دعاني والدي -رحمه

الله- للعمل معه في الدّكّان أين كنت أساعده فأسند إليّ مهمّة تحميص الفول السّوداني وعملية مخض اللّبن وأذكرأنّه كان قد كلّفني بالسّعي إلى جلب دنان حليب البقربواسطة عربة ذات عجلتين مطّاطيتين من مزرعة أحد الكولون من جنسية مالطية أصلا- بحيّ بن طلحة ضاحية برّاقي-.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ ذاك الدّكّان لم يكن يحتوي سوى على وسائل بسيطة جدا قدعفاعليها الزمن، ساعده على اقتنائها بعض من معارفه من أهل غارداية القاطنين هنالك،حيث لم تكن له ثلاّجة لتبريد المشروبات الغازية ولحفظ مشتقّات الحليب حيث كنّا نستعمل آنية من المعدن(قصعة معدنية)لذلك الغرض فنضع فيها قطعا من الثّلج الّذي كنّا نبتاعه من بائع متنقّل وأمّا تمويله لشراء بعض البضائع فكان يتمّ بواسطة أولئك المحسنين في بادئ الأمرولعلّهم أقرضوه بعض المال،هذا في بداية شتاء1959ثمّ اقترح على شقيقه عبد الرّحمن بن عمروكان له مال منجرّعن ممارسة حرفة خبّازفي مدينة أدراراليشتري منزلين ودكّانا وحوشا كبيرا من أوروبيّ كان يعتزم بيع عقاره فاشتراه منه العمّ عبد الرّحمن ما يسّرعلى أخيه محمد الإقامة في المنزل والتّحوّل من دكّان ضيّق إلى آخرواسع في نهاية خريف سنة1959فكان الانفراج مصداقا لقوله تعالى:**"فإنّ مع العسر يسرا إنّ مع العسريسرا.."**الآية6/5الشّرح.

و شاء الله أن سخّر له تاجرا كبيرا لتموينه بالموادّ الغذائية ألا وهو الحاج دودو باعيسى وهوابن بلديةبنورة بغارداية،وكان محلّ تجارته في حيّ بلوزداد(بلكور) بالعاصمة بنهج"ليون Lion"،كنت أذهب إليه رفقة والدي وكان دودو باعيسى-رحمه الله- يموّن دكّان الوالد بواسطة شاحنة مرسداسMércedés كان يقودها السّيد قاسم عميرة وهو لايزال على قيد الحياة إلى هذه السّاعة،يسكن في حيّ "لاسيتي" ما جعل حال والدي تتحسّن بانتعاش تجارته، فعرف ذاك الدّكّان تجارة رائجة بفضل موقف المرحوم الحاج دودو باعيسى -جزاه الله عنّا خيرا- .

وما دمت أتحدّث عن هذا الدّكّان لابدّ من إحاطة القارئ والقارئة علما أنّ خلفية هذا المحلّ قد تحوّلت إلى خلية سرّية للثّورة بعد اتّصاله-رحمه الله- بمناضلي الولاية الرابعة،ووجودي في الدكّان أتاح لي الفرصة للتعرّف على أسراروالدي فيما يتعلّق بعلاقته بالتنظيم الثوري وعلاقته بأشخاص غرباء وسيأتي ذكر ذلك بالتّفصيل عندما أتعرّض للحديث عن مواصلة نضال محمد بن عمروجهاده في الولاية الرّابعة وسأبيّن أنّه لم يأل جهدا في البقاء على العهد تحت قيّادة جبهة التّحرير الوطني وأمّا أنا فصرت فيما بعدعلى علم بكلّ ما يحدث بذاك الدّكان بحكم الثّقة التي وضعها والدي في شخصي .

وأستدرك ما فاتني عن موقفي العدائي من الفرنسيين منذ اعتقال والدي في غاردايـة إلى حين تواجدي ببرّاقي كموقفي من زوج معلّمتي كماأسلفت،و حيث أنّني تعرّضت في يوم ما للضّرب بالرّكلات من طرف فرنسيّ وكان رفقة زوجته على متن سيّارته وأنا عائد من المدرسة إلى البيت قبل انقطاعي عن الدراسة فتوقّف فجأة ثمّ انهال عليّ ضربا بلكمات وركلات قويّة موجعة وكانت زوجته تحرّضه على المزيد من الضّرب وهي تفوه بعبارات عنصرية واصفةإياي"بالعربي القذر"sale arabe وقد كشّرت أنيابها كأنّها كلبة مسعورة ماحمله على المزيد من الغضب فأوسعني سبابا وشتائم بألفاظ نابية، فيما كان والدي-رحمه الله- يلاحظ ذلك عن بعد ،لكن لم يحرّك ساكنا لا لشيئ سوى لكونه في الإقامة الجبرية وعندما همّ ذلك الفرنسي للرّكوب في سيّارته سارع إليه الوالد ليسأله عن السّبب الذي جعله يضربني؟ فادّعى له على أنّني رشقته بالحجارة،وهذا ما لم يحصل منّي قطّ ،فذلك التّصرّف الذي كان يعبّرعن الكراهية للعرب جعلني أشدّ حقدا على الفرنسيين،هذا ما ركّب في قرارة نفسي موقفا عدائيّا جعلني أكثرميلا لمواقف والدي الثورية -رحمه الله-.

الفصل السابع

مواصلته النّضال الثّوري في الولاية الرّابعة

-ذكر بعض أسماء رفاقه في النضال ببرّاقي:

استأنف المناضل والمجاهد محمد بن عمرنضاله في الولاية الرّابعة بعد أن اتّصل برفاقه المناضلين المنضوين تحت قيّادة جبهة التّحرير الوطني منهم من جمعته به أيّام السّجن في البليدة والحرّاش ومنهم من صار على اتّصال بهم كالقيّادي السيّاسي السّيّد غربي عمارمن أصول منطقة القبائل وكان هذا الأخير مسؤولا سيّاسيّا بدرجة نائب محافظ لحزب جبهة التّحرير الوطني في أيّام الاستقلال وبقي هذا الاتصال بينهما إلى أن تقلّد -رحمه الله- منصب أمين تنسيقية الحزب ببرّاقي وما جاورها.

وحتّى لا تفوتني هذه الفرصة تذكّرت أنّي اتّصلت بهذا القيّادي عندما بحثّت عنه سنة 1984فدلّني على محلّه أحد المناضلين القداماء فوجدته بلحمه وعظمه في محلّ صغيرقد خصّصه لاستقبال رفاقه في الجهاد بالحرّاش بالقرب من سوق الدّواجن ،قصدته من أجل الحصول على العضوية لفائدة الوالد ة وكان معه ثلاثة من أبناء جهة القبائل وهم كبارالسّن وبعد تبادل التّحايا عرّفته بشخصي فرحّب بي وبيّنت له الغرض من قدومي إليه وهو طلب الإدلاء بشهادته للحصول على شهادة العضوية. قال لي: "لماذا لم تطلبها من رفاقه في غارداية؟ فأجبته بما أجابوني وهو أنّ شهادتهم محدودة زمنا ومكانا، فتأسّف قائلا : "أصارسي بوحميدة بعد نفيه من غارداية (حركيّا)؟ !" ثمّ توجّه بالحديث إلى جلسائه مشيرإليّ قائلا: إنّ أباه سي بوحميدة هو الّذي ربط الاتصال بين بلاد القبائل والجنوب بواسطة الشّيخ الحوّاس.أمّا أنا فلقد فوجئت بهذا التّصريح الذّي أدخل عليّ السرورلإنّي لم يسبق لي سماعه هذا أحد من عرفتهم من المناضلين الثّوريين الذين كانواعلى اتّصال بوالدي وأذكركذلك شقيقين ممّن كانوا على اتّصال دائم مع الوالد-رحمه الله-في الولاية الرّابعة ببرّاقي وهماعزيزي عمروشقيقه عزيزي علي وكان لهما محلّ لتصليح الدّرّاجات وبيع قطع غيّارها وكذلك صديقيه

الحميمين الحاج عبّارمن سورالغزلان وسي محفوظ الحاج عبد الرّحمن من أبناء جيجل وهذاالأخيرصاحب معمل الفلّين والسّيّد جراوي عبد الرّحمن وكثيرون هم رفاق النّضال لمحمد بن عمرالذين لا يمكن إحصاؤهم ومنهم من أجهلهم نظرا لسريّة التّنظيم الثّوري.

- جعل خلفية متجره خليّة سرّيّة للثّورة:

أخي القارئ، أختي القارئة: كنت ذكرت لكما أسماء بعض المناضلين الذين كانوا على اتّصال به-رحمه الله- في برّاقي وهذا دليل على مواصلته النّضال الثّوري على الرّغم ممّا لاقاه من معاناة،من تعذيب وتنكيل به فلم يستسلم قطّ مهما كلّفه ذلك من تضحيّات جسام.

والأدلّ على ذلك جعله خلفية متجره خليّة سرّيّة كان يتردّد عليها أناس غرباء وبحكم أنّني كنت أعمل في المتجرمنذالصّباح الباكربعدانتهاء فترة حظرالتّجوّل المفروض من التاسعة ليلا إلى الخامسة صباحا ويتغيّر حسب الفصول.

لقد كنت على اطّلاع بكلّ ما يجري في المتجرولم يكن-رحمه الله- يخفي عنّي شيئا وأضرب لك أخي القارئ أختي القارئة مثالا،حيث أنّه كان في العديد من المرّات يوصيني قبل ذهابه إلى الحرّاش أوالعاصمة:"إذا جاءك شخص صاحب سيّارة زرقاء من نوع"سيمكا 09أروند"فسلّمه هذا الكيس الذي فيه أحذية من نوع باطوغازوبطّاريّات متوسّطة الحجم وبعض الموادّ الغذائية فسلّمه له واحذرمن العيون" وكان يحذّرني من شخص أصله من غارداية كان يسكن في الحرّاش وكان يعمل طبّاخا في مركزالآباء البيض في بلفورفهو من الوشّاة .

وكان- رحمه الله - يكلّفني بتلصيق البيانات الصّادرة عن تنظيم جبهة التّحرير الوطني وجيش التّحريرالوطني ويتمّ ذلك ليلا بعد سريان حظرالتّجوّل فأتسلّل بين أشجار البلاطان وأشجار الكلتوس وهذا على مستوى الشارع المسمّى الآن باسم الشّهيد"بن رحّال بودادس"وهو من أبناء ضاية بن ضحوة وكنت أتوارى عن أنظارالدّوريات العسكرية من المظلّيين والقوّات المحلّيّة المسمّاة رجال المقاومة "patriotes "وهم

من أبناء الكولون والعاملين المتطوّعين الذين كانوا يجوبون شوارع المدينة كلّ مساء بعد خروجهم من أعمالهم .
كان-رحمه الله-يثق في شخصي ثقة لاريب فيها غائباً كان أم حاضراً وأذكروأنا منشغل في خارج المتجرعلى الرصيف أحمّص الفول السّوداني"الكوكاو"عندما تمرّدورية الجنود بالقرب من الحانوت- وهو مجاور للملعب البلدي- يقول لي:" أعطهم كمشات من الكوكاو،باستعمال عبارة (ارهجهم)لنتفادى شرّهم" وفي فصل الصّيف يقول لي: ناولهم زجاجات المشروب الغازي "كروش crush حمّود بوعلام"ويؤكّد لي على عبارة "ارهجهم".علماً أنّهم عادةً ما يأتون إلى الملعب المجاورلدكّاننا للحراسة أثناء المباراة .

-محمد بن عمر يتحدّى "حركيّا" في متجره:

الحديث عن متجره-رحمه الله- ذوشجون،حيث كان لي فيه دورفاعل وفعّال لأنّ والدي كان يسند إليّ مهمّات صعبة وأنا في سن المراهقة الواعية منذ الصّباح الباكربعدانتهاء حظرالتّجوّل إلى اللّيل كما جاء ذكره-سلفاً-أنظّم البضائع وأضع لها الأسعاروأستقبل موزعي السّلع ناهيك عن تنظيف المتجرولي مهامّ أخرى كتلك التي جاء ذكرها من قبل وأمّا هو فيذهب إلى الحرّاش بكرة حيث سوق بيع الخضربالجملة فيتبضّع منها ثمّ يبعث بها إلى المتجربواسطة حمّال اسمه الحاج علاّل "بواحمار"الذي كان يملكعربة يجرّها حصانه ثمّ يذهب إلى حي بلوزداد(بلكور) ليقتني البضائع من متجر المرحوم الحاج دودو باعيسى الّذي سبق ذكره.
وذات يوم جاء حركيّ (عسكريّ عميل للإستعمار) على متن درّاجة عادية حمراء فأخذ يساومه في الخضربأسئلة مبالغ فيها،علماً أنّ كلّ نوع من السّلع المعروضة مسعّرعلى لوحة مربّعة صغيرة سوداء مبيّن عليها ثمن الشّراء وثمن البيع حفاظاًعلى القدرة الشّرائية للمستهلك وذاك قانون مطبّق ومراقب من قبل لجنة مراقبة الأسعار،فردّعليه الوالد: كلّ شيء مسعّركما ترى فعقّب عليه ذاك الحركي باستفزاز: أنت تبالغ في

الأثمان ! فكان الرّدّ من الوالد: اشترمن حيث شئت بأقلّ ثمن -بألفاظ تأديبية- . وبعد مناكفة بينهما أخذ درّاجته وذهب.
وبعد حوالي عشرين دقيقة،جاءمسؤوله وهوذورتبة دنيا (رقيب) حركيّ مثله وعلى نفس الدّراجة.

-مواجهة ساخنة:

بدأ ذلك الحركيّ برتبة "رقيب" يصرخ مستفزّاً الوالد -رحمه الله- قائلاً: أين الحاج بولحية؟فردّعليه الوالد:ها أنا هنا ماذا تريد منّي؟قال له الحركي: أنت تسبّ الدّولة الفرنسيّة وعلمها ! فأنكرعليه ذلك، لكنّ الحركيّ أصرّعلى دعواه،وبعد نفاد صبره لم يتمالك –رحمه الله- أعصابه فردّ عليه بقوله: لعن الله فرنسا ولعن علمها ولعنك أنت يا خبيث .وفي لمحة خاطفة أمسك ذراعه وأخذ يجرّه في اتّجاه الملعب وكان النّاس يحاولون تهدئته فاشتطّ غضباً وقال له متحدّياً إيّاه : أنت بمسدّسك -وكان يتوشّح مسدّساً- وأنا معي الله وبيني وبينك الملعب إمّا أنا وإمّا أنت فأحدنا سيسقط أرضاً ثم أخذ-رحمه الله -يقول لمن حوله من النّاس وكنت من بينهم: هذا إذلال، لا تقبلوا الذّلّ يا ناس .
فتدخّل أولئك وهم من الحيّ وبعضهم من المارّة وبعضهم من الزّبائن لفكّ الاشتباك ثمّ انصرف ذلك الخائن يجرّذيل الهزيمة والخسران،هكذا واجه-رحمه الله- ذلك الحركي على الرّغم من كونه تحت الإقامةالجبرية، حدث هذا سنة1960فأعظم به من رجل، رجل النّضال والتّحدّي !!

- اعتماد سيّاسة الوعد والوعيد:

لا تزال ذاكرتي تحتفظ بمجريات أحداث الستّينات من القرن العشرين وتقفزبي إلى صيف1960حين استيقظ سكّان مدينة برّاق ذات صباح على نداء من مكبّرالصوت محمولاً على مركبة عسكريّة" جيب" يرغمهم على مغادرة بيوتهم والتوجّه نحوجهة تسمّى آنذاك "الحصيدة"وهي مكان الحصاد واستثني منهم النساء والمراهقون الذين لم يبلغوا سنّ ثماني عشرة سنة

محـــذّراً مـــن يتخلّـــف أو مـــن لايســـتجيب للنـــداء مـــن العقوبـــا ت الصارمة.

وما إن بزغت الشـمس حتّى داهم الجيش البيوت وشـرعوا في تفتيشـها بيتـاً،بيتـاً وبعثرواما فيهـا من متـاع دون مراعـاة حرمـة أهلهـابحثـاًعن الثوّارأومن تخلّفواولم يســـتجيبوا للنداء أوالمبحوث عنهم من المطلوبين في حين أخـذ ألنـاس يتوافـد ون مكرهين على مكـان التجمّع زرافـات ووحداناً ومنهم من جيئ بهم على متن شـــاحنات الجيش.وحينئذ عمدت قيّادة لاصـاص([1] sas إلى تجميع الوافدين قسـرًاعلى صـعيد واحد من بينهم والدي وكان يوماً شديد الحرارة فظلّت الشمس تلفح وجوههم وهم عطاش، خماص وقد ضربوا حولهم طوقاً من عناصرالعساكرو"الحركة" المدجّجين بالسلاح.وحينها قام أحد الضبّاط يخطب فيهم من على منصّة مغطّـاة فيمـا شـــرع أحد العملاء المتزلّفين لقيّـادة "لاصـــاص"و كـان يبدوكهيئة شخصية أحد الأعيان يترجم خطاب سيّده باللهجة التي يفهمها الجميع مشـيداً بالدولة الفرنسـية بأنّها دولة الحقّ والقانون وذلك باعتماد سـيّاسـة الوعد والوعيد، فأخذ يعدهم ويمنيهم بحياة أفضـل،بفضـل حنكة الجنيرال ديغول أمّا بالنســـبة للمجاهدين فقدأخذ يصـــفهم بالمتمرّدين واللصوص وقطّاع الطرق (الفلاّقة) .

لم يكتف بذلك بل صـعّد من لهجته بتحذيرالحاضـرين من مغبّة التعاون معهم وتوعّد المسـاندين لهم-بلسـان سليط- بالعقوبات الرادعة و في ذلك الحين حاولت إدخال الطعام والشـــراب إلى والدي -رحمه الله – لكنّ الحارس"الحركي"رفض وقال لي:ليأكل وليشـــرب(الرهج) "السـمّ" !!. انتظرت مليّاً، فاستعطفته بغيرإسفاف ولااستجداء لكنّه أبى وأخذ يردّ د نفس العبارة .

[1]-مكاتب شؤون الأهالي-مدنية عسكرية-

ولمّا رآني مصرّاًعلى عدم مغادرة المكان استشاط غضباً وأوسعني سباباً وشتائم فأردفها بعبارات نا بية فما كان عليّ إلاّ أن عدت إلى البيت كاسف البال.وبحكم جبلّة العاطفة الأبويّة ما زادني هذا التصرّف اللاّ إنساني نحووالدي ومن معه إلاّإصراراًعلى كره فرنسا وصرت أضمرلها العداوة والبغضاء أبداً.

وهكذا قضى الجميع يومهم على قاع صفصف حتّى حان المغرب بعدأن نال منهم العنت الشديد جرّاء بقائهم طوال النهارتحت أشعّة الشمس اللافحة وكذلك كان حال والدي لدى عودته إلى البيت.

-قيّام مظاهرة11ديسمبر1960:

-مشاركةّ محمد بن عمر وابنه فيها:

كانت سنة 1960حافلة بالأحداث فيما الوعي الشعبي آخذ في التغلغل في نفوس جلّ فئات الشعب لاسيّماحينما بدأالإعلام المضادّ يدخل في بيوت عامة الناس من خلال البتّ الإذاعي عبرالأثيرلكلّ من إذاعتي صوت الجزائرمن قلب الجزائرالسريّة وصوت العرب من القاهرة كأمضى سلاح اعتمد ته الثورة لمواجهة الدعاية الإستعمارية .

ولقد تحدّثت عن متجروالدي في تلك الفترة على أنّ خلفيته تحوّلت إلى خليّة سرّية وكنت أنا ابنه جمال الدّين على علم بهذه الخليّة بحكم أنّني كنت أشرف على عملية البيع وتنظيم الأمورفي الدّكّان من الصّباح إلى المساء كما جاء ذكره في ما أسلفت .

والذي تعلّمته من والدي في هذا المحلّ هوإذكاء الرّوح الوطنيّة في أعماق نفسي وأمّا الوسيلة الّتي زادتني قوّةً إلى قوّتي فهوالمذياع الذّي كان أنيسي اليومي وكيراً يؤجّج جذوة الثورة في قرارة نفسي ومن خلاله كنت أستمع إلى إذاعتي"صوت العرب من القاهرة " و"صوت

الجزائرمن قلب الجزائر" آخذاً بعين الإعتبارالحيطة والحذروكلتا الإذاعتين كانت تلهب في شخصي الحماس خاصّة إذاعة "صوت الجزائرمن قلب الجزائر"الّتي كانت تبثّ أخبا رالثّورة والأناشيد الوطنية من السّاعة منتصف النّهاربااللّغتين العربيّة والفرنسية واللّهجة القبائلية ثمّ تستأنف بثّها على التّاسعة ليلاً وكان لصوت المذيع القديرمحمّد عيسى مسعودي-رحمه الله-وقع يزلزل الأرض تحت أقدام العدوّويستنهض همم المواطنين وبستتفرقوى المجاهدين على السّواء. وكم كانت تراودني نفسي عن أن أصيرمجاهداً لكن،سنّي للأسف لم تكن لتسمح لي بذلك وأنا مدفوع بحماس الرّوح الوطنيّة المكتسبة من والدي-رحمه الله-وبجموح سنّ المراهقة الواعية مندفعا بالصوت المدفعي المؤثّرالذي كان ينبعث من حنجرة المذيع المذكور ناهيك عن رنّات أنغام الأناشيد الوطنية التي كانت تؤثّرفي مشاعرالشعب،مثل نشيد الإفتتاح "الله أكبر" ونشيد "من جبالنا طلع صوت الأحرارينادينا "ونشيد "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب" ونشيد " قسماً بالنازلات"وغيرها من الأناشيدالوطنية التي كانت تلهب الحماس في التوّاقين إلى الإستقلال الوطني .

ولله درّ الشاعر الحكيم :

سلوا التاريخ عنّا و الزّمانا وعن أمجادنا تجدوا البيانا
جهادالشعب تدركه الليالي ومحنته صنوف من بلانا
لكم أشقى وجرّع من كؤوس تريح القلب وتدمي الجنانا
و لكنّ الشعوب إذا أهينت تحوّل سمّ محنتها لبانا
وهبّت تدفع الأرواح نقدا وتعصرمن دماهاالأرجوانا

-مجريات أحداث مظاهرة 11ديسمبرفي برّاقي كما عايشتها:

وفي خضمّ غليان نفوس الوطنيين المتأهّبة التي لم تكن تنتظرسوى شرارة لتنفجروإشارة من لدن القيّادة الثورية لتواجه الغاصبين، المستبدّين وتتحدّاهم بصدورعارية وأصوات عالية تضرب عنان السماء.

ففي يوم الأحد11ديسمبر1960مساءًبعدالعصرمباشرة كنت خارج الدكّان و فيما كنت أرتدي مئزري الرّمادي كان والدي -رحمه الله- داخله فلاحظت من بعيد مجموعة من النّاس من مختلف الأعمارحتّى المراهقين من أترابي يتقدّمهم شخص يحمل علماً واحداً- فقط – وليس من بينهم نساء وكانوا ينادون بأعلى صوت " الله أكبر،تحيا الجزائر" .
ناديت الوالد مخبرا إيّاه بما يحصل ولمّا اقتربت الحشود من الدّكان همّ الوالد -رحمه الله-إلى حزمة من مقابض الفؤوس المعروضة للبيع فقرض السلك بكلاّب فوزّعها على المتظاهرين قائلاً لهم بأعلى صوت :" خذوهالتادافعوابهاعن أنفسكم"،فأخذ يحمّسهم ويؤجّج فيهم الرّوح القتالية بعبارات نارية ثمّ دفعني بقوّة لأنضمّ إلى المتظاهرين فصرت من الأوائل في حين كانت سيّارات"جيب Jéep"تجوب الشّوارع لتعترض سبيل المتظاهرين وتعرقل تقدّمهم و كان على متنها مظلّيون مدجّجون بالسّلاح وانضمّت إليها عدّة مركبات أخذت تحاول عبثا منع تقدّم المظاهرة للحيلولة دون الاتصال بين الشّعب،علماً أنّ شوارع مدينة برّاقي كلّها متقاطعة لتشكّل مفترقات عدّة طرق.
تحدّى المتظاهرون تلك المركبات ومن عليها فأصرّواعلى مواصلة تقدّمهم ولو كلّفهم ذلك حياتهم فأخذوا يتدافعون كالسّيل العرم غير مبالين بقوّات القمع ما جعل الجماهيرتصعّد من موقفها الرافض للإستعماروتتوافد من شوارع وأحياء مختلفة ما جعل أعدادها تتضاعف ثمّ انضمّ العديد من النّساء إلى الجماهير الغاضبة .
وكأنّي بالشعب قد استجاب للقدركما جاء على لسان أبي القاسم الشابي حين قال :

إذا الشعب يوما أرادالحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر
و لا بدّ للّيل أن ينجلي ولا بدّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخّر في جوّها و اندثر

وما لفت انتباهي خروج الشّباب من قاعة السّينمابالعشرات،بعفوية ليلتحقوا بإخوانهم ثمّ تجمّع الكلّ على صعيد واحد عند مفترق الطّرق

بجوار الحديقة العامّة في وسط المدينة و بالقرب من المدرسة الابتدائية وبمحاداة مخبزة "ميشـــال"وكانت مشـــاركة المرأةلافتة للانتباه فاحتدم الصّراع بين المتظاهرين والعساكرفنشب عراك بالأيادي وبما لديهم من عصيّ ومنها مقابض الفؤوس الّتي وزّعها عليهم الوالد -رحمه الله-.

- امرأة مسنّة من غارداية تشارك في المظاهرة !

ومن بين النّساء شاهدتّ امرأة مسنّة من غارداية تحمل في يدها قضيباً من حديد كانت تلوّح به وهي في طليعة النّسوة الحرائر،في مواجهة تلك الكلاب المسعورة بجرأة منقطعة النّظير وتحرّضهنّ على مواجهة الجنود. وهذه المرأة من حيّ الحفرة كانت حلّت ضيفة عند ابن أختها يونس صالح الذي جاء ذكره سلفاً وهي المعروفة "بالقايدة "،وتلقّب(العوراء) وكان رأسهامعصّباًبقطعة قماش حمراء (محرمة) ،كانت تسكن الدّرب المجاورلمنزل جدّي عمرفي حيّ الحفرة .والذي أشيد به هناهوهجوم النساء بفضل تحريضهنّ من قبل تلك المرأة الجريئة على المظلّيين فأخذن يخمشن وجوههم بأظافرهنّ ما جعلهم يتقهقرون في حين أخذ ضابط مكبّرالصّوت المحمول يدعو من خلاله المتظاهرين والمتظاهرات بالتّراجع إلى الوراء وإلاّ سيطلق عليهم الرّصاص،لكنّهم تجاهلوا طلبه .

وفعلا أطلق الرّصـاص في الهواء ومع ذلك لم يتراجعوا إلاّ بعضـهم ثم أعطى الأمرإلى أحد الجنودالّذي كان على متن شـــاحنة مدرّعة من نوع"Aftrak"ذات عجلتين مطّاطيتين من الأمام وســـلاســـل من الخلف وكان يمسك برشّاش كبيرفيه سلسلة من الرّصـاص الحيّ فوجّهه فوق رؤوس الجماهيروكنت أنا على مسافة قريبة منه .

وقيل:إنّه أصـيب بعض المتظاهرين.وما يؤكّد هذا،حصـول مجيئ الوالد إلى البيت وهو يحمل علماً وطنيّاً عليه بقع من الدم.وحينذاك كان الرّصـــاص يمرّفوق رأســـي وتســـمع له لعلعة أوأزيزويســـمع لأوراق شـجر"البلاطان"الملتفّ حفيف، فركضـت في اتّجاه طريق بدون مخرج عند صـانع الحلويات الشـرقيةوكان يحدّه سـيّاج لبسـتان معمّر(كولون)

فتسلّقته بصعوبة بسبب تعلّق مئزري بأطرافه فانقلبت رأساً على عقب فوقعت على الأرض ثمّ واصلت الرّكض بأنفاس متقطّعة ولم يتوقّف الرّصاص بعد،وشاء القدرأن أجد نفسي صدفةً في بيت أحد أبناء غارداية ألا وهوأولاد سعيد سالم ،إذا بزوجته الياقوت -رحمها الله - تخرج مفزعةً بعدما سمعت نباح كلبها فنادتني :"تعال هنا ياجمال". ولمّالاحظت وجهي مخضّباً بالدّم ولم أكن أشعربذلك هرعت إلى إدخالي في ردهة البيت فنضحت وجهي بالماء وهي تقول :أصابوك، أصابوك يا جمال ظنّاً منها أنّي أصبت بالرّصاص وليس الأمركذلك وإنّما كان ذلك نتيجة إصابتي بأحد أطراف حادّة في أعلى السيّاج فشجّ رأسي فأحدث فيه جرحاً عميقاً ،لكن ما لبث أن توقّف النزيف فخلعت عنّي قميصي الملطّخ بالدّم فألبستني قميص زوجها وهوأصفرفاقع لونه طويل الكمّين ،فرمت بقميصي في برميل فيه جيرثمّ ناولتني فنجان قهوة سوداء هدّأت من روعي،استرجعت بنكهتها أنفاسي ورغيف خبز"الطاجين" ثمّ ناشدتني بالبقاء في بيتها حتّى تهدأ الأوضاع ويغادرالعساكرالشارع الّذي اكتظّ بهم وكانت تسمع لهم أصوات مرعبة لزرع الخوف والهلع في أوساط السّكّان الّذين لزموا بيوتهم اتّقاء شرّهم.

ولمّا انسحب العساكرمن الشّوارع التي صارت بعد ئذ خاليةً وقد أزف وقت المغرب،التحقت بمنزلنا بخطى حثيثة،فوجدت الوالدة واجمة تبدوعلى وجهها كآبة فبادرتني بالعتاب قائلةً: لماذا لم تلزم البيت يا ابني يا جمال فردّ عليها الوالد-رحمه الله- قائلاً:كان عليك أن تزغردي له، فابنك من الآن أطلقي عليه اسم المجاهد الصغير.

فكانت تلك المظاهرة التي عمّت الكثيرمن المدن ومنها ضواحي العاصمة،خاصّةالأحياء الشعبيّة كبلوزداد(بلكور) وحيّ المدنيّة والحرّاش وحيّ الجبل والقبّة وحيّ القصبة ...إلخ صفعة قويّة تلقّاها الإستعماروأذنابه وتناولتها وكالات الأنباء العالمية التي أضفت على وسائل الإعلام زخماً جعل من الجزائركيّانا له شعب حرّ ذوسيّادة

وتاريخ وحضـــارة وكان لهذه المظاهرة صـــدى ســـيّاســـيّ في المحافل الدولية خاصّـــة منظّمة الأمم المتّحدة وأصـــبحت قضـــيّة الجزائرقضـــية تصـــفيّة الإســـتعمارعلى الرغم من محاولة فرنســـا تضـــليل الرأي العام الدولي وذلك بوصـــف المجاهدين على أنّهم إرهابيّون، ســـفّاكو الدّماء وعصابةخارجةعن القانون.

مجريات أحداث 1962

-دور محمّد بن عمرفي أحداث 1962:

لقد تعرّضـت إلى مجريات أحداث مظاهرة11ديسـمبر1960بإسـهاب لما لها من أهمّية بالغة في الحراك الثّوري والنَّضـــال الوطني الذي أتى أكله وتجلّى ذلـك في الزّخم العـالمي،إن على المســـتوى الإعلامي أوعلى المستوى السّيّاسـي في المحافل الدّولية على الرّغم من سيّاسـة التّضـليل الّتي اعتمدتها فرنســاما جعل قضـيّة الجزائرتحتلّ مكانة قضـيّة تصـفيّة الإستعمارالّذي جثم على أرضـها نيّفاً وقرناً من الزّمن كلّف شعبها مئات الآلاف من الشـهداء والجرحى والمشـرّدين واليتامى والأرامل والثكالى والمهاجرين ناهيك عن سـيّاسـة التّجهيل والتفقيرالتي انتهجها المسـتعمر الغاصـب كما اعتمد على سيّاسـة الأرض المحروقة باستعمال الأسلحة المحرّمة كالنّبّالم وممارسة أساليب التّعذيب والتّنكيل بالمناضلين والتّفنّن فيهـا والزّجّ بهم في غيـاهيـب السّـــجون والمعتقلات من أمثـال الإمـام المناضل والمجاهد محمد بن عمربوحميدة.

وكـانت لهذه المظـاهرة انعكاســـات إيجـابيـة على معنويـات الشّـــعب والمجاهدين فاسـتنهضـت فيهم الهمم وقوّت شـوكتهم وفرّقت صـفوف جنيرالات الاسـتعمار وسـفّهت أحلام مهندسـي سـيّاسـته في أواخرسـنة 1961فنتج عن ذلك تمرّد بعض قيّاداته كالجنيرالات والضبّاط السامين Massu وMARCEL Bijard والـعـقـيـدPiére Lagayard والجنيرالRAOUL SALAN إلخ

-وهكذا كانت سنة 1961بداية نهاية لفرنسا:

وفي هذه السّـــنة لا يفوتني إلاّ أن أذكرأنّ عمليات فدائية نفذّت في قلب برّاقي، فقتل فيها ثلاثة عملاء وهم يهوديّ بائع للقماش وحارس بلدي من أصـــل جزائري وصـــاحب محطّة بنزين فرنســـي وتمّ هذا في وقت واحد أثناء عودتي من حي بن طلحة وأنا أدفع عربة عليها حاويتا الحليب، وليست هذه العملية الأولى من نوعها.

وحين مررت بحيّ بن قانة لاختصارالطريق وجدت العديد من المظليين والجنود السـود (السـنغاليين)منهم من على سـطوح المنازل ومنهم من يرابطون في الأزقّة والشوارع والساحات،فاعترض سبيلي أحد الضبّاط كان حليق الرأس ،فلمّا اقترب منّي نظرإليّ شزرا وسألني إن كنت رأيت أحداً يهرول أويجري في طريقي (؟) فأجبته بالنفي ثمّ صفعني وركلني ركلةً قويّةً كدت أسـقط على إثرها،ولقد لاحظت في تلك الأثناء بقعاً من الدم على الأرض وبعض الخضـــروعيّارات الميزان مبعثرة لعلّها لبائع متجوّل !!

كـلّ هـذا كـان ينبـئ إلـى أنّ نهايـة فرنسـا قـد اقتربـت كمـا قـال ذلـك الضـابط لزميلـه وهمـا فـي الملحـق العسـكري بغارداية عنـد مـا علـم بـإطلاق أوّل رصاصـة فـي أوّل نـوفمبر1954:"لقـد سـال الـدم وآن لفرنسا أن تحزم أمتعتها".

كان محمد بن عمر-رحمه الله – يرنو ويتشـوّف إلى الاسـتقلال ولم يثن عزيمته ما لاقاه من العذاب والنّفي وانعكاسـاته على حياته الشّـخصـية والعائلية وكان يقول دائماً : غدا ستشرق شمس الحرّية .

وعندما كانت الوالدة حاملاً سـنة 1960،قال لوالدته في أول زيّارتها له في برّاقي: إذا ماولد عندي ذكرفسـأسـميه "فتح الله" تيمّناً بالإسـتقلال وفعلاً قد أنجزوعده سـنة1961،لأنّ من عادته أن يسـمّي أبناءه حسـب المناسـبات والأعلام التاريخيين وبعد الإسـتقلال ولدعنده ولد فسـمّاه "نصـــرالله "ابتهاجاً بالنصـــر. ومن مآثره كرمه -رحمه الله-،أن أقام بالمناسـبة عقيقة أولم فيها بشـاة مليحة قرناء ولم يدع لحضـورها سـوى

مجموعة من العمّال العائدين من أعمالهم ظهريوم السبت ،كان عددهم يتراوح بين عشرة وخمسة عشررجلا،بعد أن اعترض سبيلهم بدون سابق إشعاروقال لنا :هؤلاء أحقّ بالوليمة من غيرهم. ثمّ أضاف إليهم ثلاثةً من أصدقائه الأوفياء.ووزّع الباقي على الجيران.

مساهمته في مواجهة اعتداءات الاقدام السوداءoasسنة 1962:

كانت نهاية1961وبداية 1962أصعب مرحلة مرّت بها البلادو مخاضا عسيرا ذاق خلالها الشّعب الأمرّين في ناحية الشّمال والغرب الجزائري وبعض الجهات الشرقية،حيث تعرّضت هذه المناطق إلى اعتداءات سافرة ،ودامية ليل ،نهارمن تنفيذ منظمة الجيش السّرّي (أبناءالمعمّرين)المدعومين من قبل الجنيرالات والضبّاط السامين الذين أعلنوا تمرّدهم وعصيانهم على الجنيرال ديغول من أمثال:

Massuو Bijardو piére Lagayardوضابط الشرطة المنسّق الأمني السفّاح Paul aussarésses قاتل الشّهيد العربي بن مهيدي باعترافه في مذكّرا ته التي أقرّفيها بأنواع عمليات وأساليب التعذيب وبشاعته بإشرافه الشخصي حسب الجريدة الفرنسية"lemonde"الصادرة في 23نوفبر 2000م.وفي نفس التاريخ اعترف هذا السفّاح باقترافه جرائم قتل منهاقتل 24مناضلا بيده ،ذلك ماصرّح به بعظمة لسانه للقناة التليفزيونية الفرنسية france2 وهوغيرنادم على ذلك وقال: .....ما ذلك إلاّ واجب قمت به من أجل بقاء فرنسا في الجزائربأمرمن الجنيرال Massu .

فأخذ هؤلاء يقتلون النّاس بدم بارد وبدون تمييز ويفجّرون البيوت بقنابل البلاستيك فتخرّسقوفها على رؤوس النيّام الآمنين فتجعلها كالأطلال وتجعل أجسادهم أشلاءً متناثرةً .

وكنّا نحن في برّاقي نسمع دوي القنابل ليلاً بالعشرات تهزّالعاصمة وما جاورها كالقبّة والحرّاش وحيّ بلوزداد (بلكور)وحيّ المدنية (صالونبي) وغيرها ما أحدث الهلع في وسط السّكّان ونغّص عليهم عيشهم وكانوا يطلقون الرصاص الحيّ على أماكن التجمّعات كالمقاهي ومواقف الحافلات بلا تمييزفلم يسلم المارّة من القتل غيلة،على حين غرّة وحيث أنّ عدد القنابل التي تمّ تفجيرها حسب الإحصائيات الرّسميّة الفرنسية قد فاق الألف بين سنتي 1961 /1962.

وفي خضمّ هذه الأحداث الدّامية لم تكن مدينة برّاقي استثناءً بل كانت هي الأخرى عرضة للإعتداءات السّافرة من قبل المعتدين،عصابة الجيش السّري الفرنسي oasالإرهابية ما جعل سكّان الأحياء ينتظمون في شكل مجموعات دفاعية لحماية أعراضهم ومساكنهم وممتلكاتهم الخاصّة .

-إشرافه على تنظيم المداومة ليلا لتأمين الأحياء:

وكان للمجاهد محمد بن عمر دورفي تنظيم الحراسة والمداومة الليلية لتأمين الأحياء من اعتداءات تلك العصابات الإجرامية وذلك بمعيّة رفاقه المناضلين وكنت أنا ابنه أنوبه في الحراسة إلى جانب الشّباب الّذين كانوا يقومون بالحراسة الليلية ابتداءً من العصرإلى طلوع النهارمن اليوم التالي، حيث أنّنا كنّا نضع المتاريس في الطّرقات للحيلولة دون مرورالسيارات المشبوهة ولمنع تسلّل العصابات الإرهابية الفرنسية،وكان بعضنا يرابط على سطوح المنازل فإذا ما اكتشفوا دخول سيّارة كبّروا بأعلى أصواتهم ثلاث مرّات متتالية"الله أكبر" لينذروا الأحياء الأخرى فيستنفروا الجميع ،فتتناغم التكبيرات لتطويق تلك السّيّارة ولم تكن لهم أسلحة نارية يدافعون بها عن أنفسهم اللهمّ إلاّ الأسلحة البيضاء الحادّة كالسّكاكين تثبّت في قصب صلب فتحوّل إلى

رمـــاح أوحـــراب واســـتعمال الزجاجـــات الحارقـــة(الملوطوف) مـــن البعض .
ففـــي ظـــلّ تلـــك الأوضـــاع المتفاقمـــة المحفوفـــة بالمخاطروبفضـــل اليقظـــة المســـتمرّة تمكّنّـــا مـــن إفشـــال عـــدّة محـــاولات تسـلّل العصـــابات الإجراميـــة ، وأذكـــر منهـــا أنّنـــا حاصـــرنا ذات يـــوم مجموعـــة مـــن تلـــك العصـــابة المجرمـــة كانـــت لجـــأت إلـــى فـــيلاّ بعـــد مطـــاردة سيّارتهم مـــن نـــوع "Cimca09Aronde" لكـــنّهم تمكّنـــوا مـــن جـــرح ثلاثـــة مـــواطنين علـــى ألأقـــلّ عنـــدما أطلقـــوا الرّصـــاص علـــى المتجمّعـــين فـــي الشّـــارع المقابـــل للفـــيلاّ وذلـــك مـــن خـــلال إحـــدى النّوافـــذ وأذكـــرأنّ أحـــد الجرحـــى قـــد حملـــه العـــمّ مســـعود علـــى كتفيـــه والـــذي كـــان آنـــذاك يســـكن مع أخيه الشّقيق محمد بن عمر في برّاقي .
علمـــا أنّ الجرحـــى كـــانوا يعـــالجون فـــي عيّـــادة ســـرّيّة حتّـــى لا تـــتمكّن العصـــابات الإجراميـــة مـــن الإجهـــازعليهم وكـــان محمـــد بـــن عمـــر وبعـــض المناضـــلين يـــدلّون مســـعفي المصـــابين علـــى العيّـــادة السّـــرّية الّتي كان يوجد بها ممرّضون ذوو كفاءة عالية .
قـــام المواطنـــون بحـــرق السّـــيّارة وبقيـــت تلـــك العصـــابة محاصـــرة مـــن كـــلّ جانـــب مـــن طـــرف المـــواطنين الـــذين أصـــرّوا علـــى عـــدم مغـــادرة المكـــان حتّـــى يستســـلم أولئـــك المجرمـــون،لكن فرقـــة مـــن الجـــيش الفرنســـي الموالـــية للجنيـــرالDeGaule تـــدخّلت لتحســـم الأمـــر بعـــد التّفـــاهم مـــع الحشـــود الـــذين كـــانوا يطوّقـــون الفيلاّ،جـــاءت تلـــك الفرقـــة علـــى مـــتن مدرّعـــة مـــن نـــوع Aftrakوكـــان عليهـــا أحـــد أفـــراد عصـــابة أخـــرى قـــبض عليـــه ،وكنّـــا نحـــن المتجمّعـــين حـــول تلـــك المدرّعـــة نحـــاول ضـــربه علـــى رأســـه ثـــمّ توجّـــه ضـــابط مـــنهم نحـــو الفـــيلا وهـــو يشـــهر مسدّســـه فهـــمّ بالصّـــعود إلـــى الطـــابق الأعلـــى حيـــث ملجـــأ تلـــك العصـــابة المجرمـــة ،لكـــنّ بعـــض جنـــوده اعترضـــوا عليـــه فمنعـــوه مـــن ذلـــك خشـــية إصـــابته فيمـــا كـــان أحـــد المجنّـــدين مـــن أصـــل جزائـــري رابضـــا خلـــف عمـــود كهربـــائي وهـــو يوجّـــه بندقيتـــه صـــوب النّافـــذة

فأخذ يطلق النارعلى عناصرالعصابة ولعلّه أصاب بعضهم في حين حضر للتّو مظلّيون متمرّدون على الجنيرال DeGaule وطردوا الجنود الموالين له فأمرواالمواطنين بالانصراف فوراعن المكان وملازمة بيوتهم وإلاّ سيطلق عليهم الرّصاص بدون سابق إنذاروكانت من بين مركباتهم ومدرّعاتهم سيّارة إسعاف عسكرية فاخرجوا تلك العصابة وأخذوهم تحت حمايتهم.

-حادثة المرسى و دور محمد بن عمرفي علاج الجرحى:

إنّ أعظم حادثة وقعت في02ماي سنة1962على ما أذكرهي حادثة المرسى بالعاصمة التي أودت بحياة العشرات من العمّال وما يفوق مائة جريح ،جروحهم متفاوتة منهم من بترت أعضاؤه بسبب انفجارسيّارة ملغومة -فهذاالعددغيرمؤكّد-.

حدث هذا عند خروج العمّال من ورشات أعمالهم،وأنوّه إلى أنّ المجاهد محمد بن عمر-رحمه الله- ومجموعة من رفاقه المناضلين بعد تعيينه مسؤولاً سيّاسيّاً لضبط الأمورحين تفاقمت الأوضاع الأمنية سخّرمع رفاقه بيوتاً ظلّت شاغرةً من حيّ بن قانة (lacité)ذي القباب على شاكلة دوروادي سوف ليجعلوا منها عيّادات لإيواء الجرحى وإسعافهم حتّى لا يبعثوابهم إلى مستشفى مصطفى باشا خشية الانتقام منهم فتجهزعليهم العصابات الإجرامية بالتواطئ مع إدارة المستشفى التي جلّ إطاراتها الطبيّة فرنسيّون .

وتجدرالملاحظةأنّ هذا الحيّ التاريخي قد أزيل ولم يعد له وجود بقرار من السلطات المحلّية بغرض تحويله إلى عمارت سكنية على ماأظنّ،فمن أجل علاجهم أحضروا ممرّضين وبعض الأطبّاء لمعالجتهم .

ومن أجل إيواء أولئك الضحايا في ظروف مناسبة قام- رحمه الله-بحملة تضامنية لجمع الأفرشة والأغطية فسخّرشاحنات بعض المواطنين لهذه

العملية فكانت تجوب شـــوارع المدينة لهذا الغرض،وكانت مســـاهمات المواطنين في هذه الحملة تعبّرعن التّضامن والروح الوطنية العالية التي كان يتحلّى بها ســـكّان برّاقي وفي تلك الأثناء وقعت أزمة في الموادّ الغذائية الضـــرورية كالســـميد والســـكّروالعجائن والدقيق (الفرينة) حتّى الخبزكاد ينفد كانت لها انعكاسات وخيمة على السّكّان ما اضطرّ محمد بن عمرإلى اتّخاذ قرارفوري،اســـتعجالي للتّقليل من آثارها باعتباره مسـؤولاً سـيّاسـيّاً كماأسـلفت،فبعث بوفد من جبهة التّحريرالوطني إلى غارداية طالباً المدد من سكّانها لإنقاذ حالة الشّعب.

-إرساله رسالة استغاثة من برّاقي إلى أهل غارداية:

بعث المجاهد محمد بن عمر بوحميدة برســـالة من برّاقي إلى أهل غارداية قبل الإعلان عن الإســـتقلال ســـنة1962فيمالايزال الوضـــع متفاقماً وذلك بواســـطة وفد من مناضـــلي جبهة التّحريرالوطني،على رأســـهم المناضـــل جراوي عبد الرّحمن يطلب منهم فيها تقديم بعض المســـاعدات بالمؤن لإغاثة إخوانهم في الشّـــمال الّذين كانوا يعانون من شحّ الموادّ الغذائية بسبب الحصارالّذي ضربته قوّى الشّرّوالعدوان ممّن يعرفون بـــــ " الأقدام السوداء"*حول* الموانئ والتّحكّم في مخازنها في وقت لا تزال بقايا عصـــابات الشّـــرّ"منظّمة الجيش السّـــريّ" (0as)من أبناء الكولون تســـفك دماء الآمنين وتخرّب ديّارهم وتمنعهم من مزاولة أعمالهم وحرمانهم من كسب أقواتهم .

وليســـت هذه المبادرة بدعاً بالنســـبة لمناضـــل ثوريّ مثل محمّد بن عمر بوحميدة حيث أنّه سبق "لجمعية العلماءالمسلمين الجزائريين[1]أن بادرت بإغاثة منكوبي زلزال مدينة شـــلف (الأصـــنام)الذي خلّف دمارا هائلا وضحايا كثرا بتاريخ 07 سبتمبر1954.

فســـارعت هذه الأخيرة إلى جمع المؤن والألبســـة والأفرشـــة والأغطية للتّخفيف من آثارالأزمة وقامت بإرســـال وفد إلى القاهرة في الشـــأن

---

[1]-حصّة تلفزيونية "الشروق"حول شخصية الشيخ الإبرهيمي: تنشيط د/قسّوم و.د/عمّارطالبي

برئاســـة الشـــيخ العربي التبســـي نائب رئيس الجمعية الشـــيخ محمّد البشـــيرالإبراهيمي وحينها حظي الوفد بالإســـتقبال من طرف الرئيس جمال عبد الناصرفي بداية شهر أكتوبر.

نداء استغاثة

-نصّ رسالة محمّد بن عمر بوحميدة إلى أهل غارداية:

بسـم الله وباسـم محمّد النّبيّ وباسـم الشّـعب وباسـم الإنسـانيّة وباسـم الرّحمة والعطف والإحسان أتقدّم بهذا الخطاب الحزين والنّداء الأليم إلى الإخوان أبناء الصّـحراء الكرام الذين شـهد لهم التّاريخ بنعوت الفضـائل وخصـــال المكارم والمحامد أولئك الّذين يقرون الضّـــيف ويكرمونـه ويطعمون الجائع ويشبعونه ويكسون العاري ويسترونه ويؤثرون الحياة الباقية على الحياة الفانية ويبكون للمصـاب ويجمعون بين الأصـحاب إذا نزغ الشّيطان بينهم وعقد لهم المشاكل الصّعاب.

إلى هؤلاء الكرام من أبناء العروبة الأمجاد أبعث إليكم بهذه الكلمات من قلب قرية برّاقي بلدة النّضال والكفاح.

أيّها الإخوان:

أنتم على علم بما يجري بالعاصـمة جوهرة الدنيا ونجمها الثاقب الوهّاج ومـا حولهـا من القرى ونحن على علم بـأنّ الّـذي تســـمعون يؤلمكم ويحزنكم و ينغّص عليكم عيشكم ولكن،اسمحوا لي أن أقول لكم فما راء كمن سمع إنّ الأمر فوق ما تتصوّرون،إنّ الموت بالرّصـاص هيّن وفيه راحة ولطف وأنّ الجريح قد يجد من يعالجه ولكنّ الموت عن يد الجوع قاس وأليم، نعم إنّ الموت قد مدّ مخالبه ليقضـي على شـعب بأجمعه في غيررفق ولا رحمة وأنّى للإنســان أن يتخلّص من قبضــته وقد عمدت عصــابة الشّــرّ إلى كلّ وســائل الإبادة والمحو،فبعد القتل بالرّصــاص أمعنت في ظلم، فأخذت تهدم المنـازل وتخرّب الديّار ويا لهول شـــدّة المنظرأن يرى الرّجـل الحرّبعينـه الحرائراللاّتي كـأنّهنّ الحورالعين والأبناء الذّين هم كأملاك السّـماء والشّـيوخ الّذين هم كأشـجارالوقارأمام

ديّارهم المخرّبة يجمعون أمتعتهم ،لا يهتدون إلى الخلاص سبيلا، لا يعرفون أين يتوجّهون لأنّ الموت من ورائهم ومن قدّامهم.
ويا لفظاعة المشهد أن يرى الحرّ أبناء الجزائرمطروحين في قاع صفصف مدرجين في دمائهم يئنّون الأناة المتقطّعة، يستغيثون فلا يغاثون ويسترحمون فلا يرحمون ولم تكتف عصابة الشّرّ بهذه الأعمال الوحشيّة فعمدت إلى إخراج الشّعب ممّن في حوزتهم إلى مغادرة ديّارهم، قبل أن يصبّوا عليهم جامّ غضبهم فيخرج أولئك المظلومون من دورهم يتسلّلون لواذا فلا يدرون إلى أين يتوجّهون ولا إلى أيّ ركن يأوون، وعمدت إلى قطع الطّرق حتّى لا يتمكّن أبناء الشّعب من مزاولة أعمالهم ليحصلواعلى لقمة العيش.
لم يطف جمرة غيظهم كلّ ذلك، ففكّروا وقدّروا ودبّروا ومكروا فأمروا أرباب المعامل أن يغلقوا أبواب معاملهم حتّى تسدّ أبواب الرّزق في وجوه أبناء الشّعب وحالوا بين العمّال بالمرسى وإنزال الشّحنات التّموينية التي يقتات منها الشّعب تنفيذا لخطّتهم الإبادية.
ففي هذا الجوّ المتسمّم يعيش إخوانكم أبناء العروبة الأمجاد أبناء الشّهداء وأزواجهم أبناء الشّعب الجزائري أبناء الإسلام الكرام، في هذا الجوّ المظلم يعيش إخوانكم وأخواتكم، ونتيجةً لذلك وخدمةً للإنسانية وقيّاماً بالواجب الوطنيّ المقدّس فكّرأصحاب الغيرة والوطنيّة في عمل إيجابيّ ينقذ الشّعب من الكارثة فاختاروا هذا الوفد ليلتقي بكم ويشرح لكم حالة الشّعب لأنه منكم ووضعوا ثقتهم فيهم بعدما وضعوها فيكم وبعد أن علموا أنّكم معشر أبناء الصّحراء عنصرالخيروالرّحمة والنّجدة لأنّكم ما زلتم تتحلّون بشمائل العرب وتتحلّون بأمجادهم فبعثوا بهم إليكم لتشاركوا ضحايا الإجرام بعواطفكم وضمائركم ويبرز ذلك في ما تجود به نفوسكم الكريمة من أنواع المغذيّات من قمح وشعير وسميد وتمر وغير ذلك ممّا هو ميسور لديكم وثقتنا فيكم عظيمة ورئيس الوفد السّيد جراوي عبد الرّحمن موضع ثقة جيش التّحرير الوطني وجبهة التّحرير

الوطني وإنّا لنعتمد عليكم في تيسير مهمّته حتىّ يعود إلينا وقد حمل معه هديّة الصّحراء وهذا واجب مقدّس والسّلام عليكم ورحمة الله بركاته.

أخوكم الذي يعتزّ بكم ويفخر بكم. **بوحميدة محمد بن عمر**

تعليق على الرّسالة

أخي القارئ، أختي القارئة: لابدّ من تسليط الضوء على هذه الرّسالة المثيرة والمؤثّرة في آن واحد والّتي من خلالها يمكن للقارئ (ة) استكشاف شخصيّة الإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمر بوحميدة من حيث كونه مناضلا ومجاهدا له مآثروآثارتشهد له بتضحياته الجسام ونضاله المستميت وجهاده الّذي لا يعرف الاستسلام ،فلا يجحدها إلاّ من كان في قلبه مرض كسخيمة أو إحنة وضغينة لازمته حتّى بعد رحيل هذا الرجل الفذّ ،فأخذ من كان في قلبه كذلك يسخّرقلمه للنّيل من كرامة هذاالرّجل الأبيّ الذّي أراد له ربّه أن يختم له بالرّسالة الّتي بدأ بها على الرّغم من شدّة الصّدمة فمات شهيد الواجب في عشيّة ليلة النّصف من شهر رمضان وبكاه الجميع إلاّ أولئك مرضى القلوب الذّين لا تسمح لهم نفوسهم أن يتسامحوا مع إخوانهم الذين تجمعهم بهم كلمة التوحيد -لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله- .

وعليه فإنّ هذه الرّسالة تبقى شاهدة على إخلاصه لدينه ووطنه وللأمّة بلا ريب لكن، لمّا بلغت الجرأة بهؤلاء التّجريح في شخصيّة الرجّل الرّمز، رمز الوحدة والإصلاح والنّضال والتّحدّي فإنّ المنافحة والذّبّ عنه أصبحت أمرا مشروعا. إذًا، لابدّ من التّعقيب على هؤلاء أحياء كانوا أم أمواتا، لكن بالأدلّة القطعيّة والقرائن الّتي لا مراء فيها حتّى لا تستهدف تلك المغالطات أجيال مابعد الإستقلال .

لعلّك أخي القارئ أختي القارئة أنت من الجيل الّذي لم يعاصرهذه الشخصيّة لكونك من مواليد ما بعدالاستقلال،فمن خلال قراءتك الحيّادية لهذه الرّسالة ستكتشف لا محالة إن كان هذا الرجل- فعلا- طبقا لما جاء وصفه في هذه الصّفحات فتحكم له أوعليه.

إنّ الرّجل -رحمه الله- لم تسمح له نفسه أن يركن إلى بيته تاركا الوضع على حاله فيما كان الشّعب يعاني من الإعتداء عليه من طرف عصابات الشّـرّوالعدوان ويعاني من الجوع والحرمان كما جاء وصـف المشـهد الدرامي التالي : **ويا لفظاعة المشـــهد أن يرى الحرّ أبناء الجزائر مطروحين في قاع صفصف مدرجين في دمائهم يئنّون الأناة المتقطّعة يستغيثون فلا يغاثون ويسترحمون فلا يرحمون ...** وفيما كان بعض المواطنين ينهبون ممتلكات الأوربيين المتخلّى عنها على أنّها غنائم لم تقع يده -رحمه الله-على شيء من المتاع قلّ ام كثر،ومن جهتي أذكر أنّه فيما كنت من بين مجموعة من الذين اقتحموا فيلا لمزارع فرنسي قريبة من بيتنا وقعت يدي على مثقاب جديد (شينيول)يدوي، لونه أحمر وكان والدي -رحمه الله- على مسافة قريبة منيّ ولمّا اقتربت منه نهرني وقال لي مؤنّباً : من ســـمح لك بالدخول في دارالغير؟ أعد هذا الشـــيء إلى مكانه،لا أريدالحرام يدخل بيتي. ثمّصفعني صفعة غيرمسبوقة كانت لي عبرة.

لقد قام -رحمه الله- بواجبه إزاء الشّعب كمسؤول سيّاسيّ له حسّ وطنيّ ما حدا به إلى دعوة أهله في غارداية بمســـاعدة إخوانهم في الشـــمال وإمدادهم بالبضـــائع والمؤن قدرالمســـتطاع،وقد تحقّق ذلك -بإذن الله- وكانت هديّة أهل الصّحراء برداً وسلاماً على المتضرّرين.

هكذا كان الرّجل عفيفاً لم تغره السـلطة ولاالطّمع في المال فلم يترك -رحمه الله- شيئاً من متاع الدنيا.

ولقد سبق للدكتورأحمد أولاد سعيد -جامعة غارداية- أن نشرمقالةً في المجلّة الجامعية التي تصـدرها جامعة سـيدي بلعبّاس بعنوان"الأسـتاذ محمّد بن عمروجهوده الوطنيـة"آخذاً بعين الإعتبارأهمّيـة مضـــمون الرسالة ذات الصلة نموذجاً ([1])

---

[1]- "رسالة من براقي إلى أهل غارداية" ص257/242المجلّد03 العدد 06 - ديسمبر2017 .

الفصل الثامن

-كان يوم الإستقلال فتحا مبينا

قبل الإعلان عن الإستقلال وبعد الإعلان عن توقيف النّارفي 19مارس1962 كان الوالد -رحمه الله- يستقبل من 12إلى 15جنديّاً من المجاهدين لتناول طعام العشاء في بيته ببرّاقي يوميّاً لمدّة حوالي ثلاثة أشهرفيقدّم لهم من الطّعام ما تيسّرلديه والغالب منه هو مادّة العجائن والكسكس وبعض البقول كالعدس و الفصوليا (اللّوبيا) .

وكان يعدّ لهم الشّاي ومن الإكراميّات الفول السّوداني (الكوكاو) وكنت أنا ابنه وأختاي نساعد الوالدة-رحمها الله-في بعض الأعمال، وحينما يشرع الجنود في تناول طعام العشاء أكون أنا جالساً إلى جانب الجندي الحارس الّذي أكون قدّمت له نصيبه من الطعام فأمسك برشّاشه ثمّ أقضي معه بعض الوقت في دردشة حول يوميّاته خلال الثّورة ،علماً أنّ جيش التّحرير الوطني صاريظهرعلناً في المداشروالقرى والأرياف، أمّا بالنسبة للمدن فكان يظهرفي شكل مجموعات صغيرة ليلاً تحاشيّاً من التّصادم مع جيش العدوّ .

انهزمت عصابة الشرالمتمثلة في منظّمة الجيش السّرّي (oas)تحت قيّادة الجنيرالات من أمثال ماسوMassuوالسّفّاح بيجارBijard والعقيد ماتيوMatieu والعقيد بيارلاجيارPierreLagayard ...الخ في مواجهة الشّعب الأعزل كما انهزمت قوّات فرنسا المعزّزة بفلول جيوش الحلف الأطلسي المستغولة بها والمدجّجة بأحدث الأسلحة في مواجهة المجاهدين الذين لقّنوا الإستعماردرساً لن ينساه مهما تعاقبت الأزمنة ويبقى وصمة عارفي جبين فرنسا المتغطرسة التي لطّخت أياديها بدماء الجزائريين الأبرياء كما فعلت في مواجهة المقاومات الشّعبيّة في القرن 19م بقيّادة الجنيرالات لاموريسيار LamaurissierوتريزالTrezelleوفيالارVyalardودوبرمون Duburmond.... ألخ ثمّ كانت ثورة التحريرآخرحلقة من حلقات الكفاح الذي خاضه الشّعب الجزائري الأبيّ والّذي كلّل بالفتح المبين يوم

5جويلية1962وكان الثّمن جدّ باهظ،فلم يكن منّة من ساسة فرنسا مهما عظم شأنهم وذاع صيتهم ولوكان الجنيرال دغول. Degaulle.
أخذت عصابات الشرّوالعدوان تعيث في الأرض فساداً قبل الإعلان عن توقيف النارســـاعية في خلط أوراقاتّف اقية إفيان Evien التي انعقدت بين ممثّلي الجمهورية الجزائرية المؤقّتة وممثّلي الجمهورية الفرنســـية بعد انصياع هذه الأخيرة وإذعانها إلى مطالب الشّعب الجزائريّ وأهمّها الإســتقلال الوطني التّامّ بدون شــروط مسـبقة ولامســاومة في شــبرمن التّراب الوطني كالمحاولة اليائســة التي ســعى المفاوض الفرنســي إلى المطالبة بها و المتمثّلة في فصل الصحراء عن الوطن،ومن أجل تكريس بنود الإتفاقية نزولاً عند دعوة الأمم المتّحدة وقع اســتفتاء شــعبيّ يوم01جويلية ســنة1962وعلى إثرذلك أعلن رســميّاً عن اســتقلال الجزائر،عن فرنسا بنسبة غالبة من الأصوات المعبّرعنها والمقدّرة بـ

7 ،99بالمئة وذلك يوم 5 جويلية 1962 .

- دورمحمد بن عمرفي الإشراف على تسييرالمرحلةالانتقالي

أعلن عن توقيف النّاربين الطّرفين المتحاربين تمهيداً للإعلان عن الإســتقلال الوطني في يوم19مــاس1962لكن،لاتزال قوى الشــرّ والعدوان تمارس اعتداءاتها ضــدّ المواطنين العزّل وفي هذه المرحلة وفي خضــمّ تلك الأحداث عيّن المجاهد محمد بن عمربوحميدة أثناء المرحلة الإنتقالية قاضــيّاً شــرعيّاً وذلك للنّظرفي الحالات المدنيّة بحكم كونه إماماً متمكّناً في الشّــريعة الإســلاميةريثما يســتتبّ الأمن وتقوم مؤسّــســات الدّولة كما عيّن مســؤولاً ســيّاســيّاً على منطقة برّاقي وما جاورها، تحمّل –رحمه الله - هذه المسؤوليةعلى الرّغم من جسامتها.

لقد حرص على تنظيم الأموردرءاًلكلّ مفسدة وكان إلى جانبه مناضلون أوفياء فيما كان -رحمه الله- يراقب الوضع بما حباه الله من حصافة الرّأي كسيّاسيّ محنّك ووطنيّ حتّى النّخاع منذ الحركة الوطنيّة مهيكلاً في تنظيم" حركة انتصارالحريّات والدّيمقراطية".

فسعى إلى تأمين تلك المنطقة من عدوان شرذمة الجيش السّري ذوي الأقدام السّوداء كما سبق لي ذكره آنفاً بإقامة نقاط الحراسة والمرابطة إلى أن أعلن عن الإستقلال الوطني.

-مجريات الاحتفال بالاستقلال في العاصمة و ضواحيها

فبمجرّد الإعلان عن الإستقلال خرج الشّعب بكلّ أطيافه وفئاته إلى الشّوارع ليعبّروا عن فرحتهم بالفتح المبين الّذي لطالما حلموا به وانتصارهم على قوى الشّروالعدوان.

وتعود بي الذّاكرة إلى تلك اللّيلة الّتي لم يعشها أحد من الجزائريين في حياته قطّ وفيما أذكرأنّ الشّوارع غصّت بالجماهيررجال ونساء وأطفال حتّى الشّيوخ وأوّل ما قمنا به على عجل نحن الشّباب المؤطّرين بمسؤولين نظاميين أنّنا وضعنا سارية العلم في مفترق الطّريقين المؤدّيين إلى كلّ من الحرّاش والقبّة وكانت السّارية أنبوباً من فلاذ طولها حوالي ستّة أمتار،ثبّتناه بالإسمنت المسلّح فقضينا تلك اللّيلة في الشّوارع حيث كنّا بصدد تزيينها بالمصابيح الكهربائية الملوّنة الّتي زوّدنا بها الوالد -رحمه الله-وهي من بقايا تجارته ،كما زوّدنا بعض بائعي الخرذ وات بعلب الطّلاء الزّيتي المختلف الألوان لتلوين تلك المصابيح علاوةً على إمدادنا بالخيوط الكهربائية لصنع العقود(guirlandes) وكنّا نحصل على الكهرباء من أسلاك الكهرباء العمومية.

وهكذا باتت الشّوارع والسّاحات مضاءة ومزدانة بألوان مختلفة أضفت على شوارع الأحياء رونقا وبهاءً طيلة أيّام وليال وفي صباح يوم5 جويلية سنة1962توجّهت الجماهيرالغفيرة إلى العاصمة على متن السّيارات والشاحنات والحافلات حتّى الجرّارات فأخذت تجوب شوارعها ،خاصّة شارع "شغيفارا"المقابل للواجهة البحرية والمؤدّي إلى ساحة الشّهداء انطلاقاً من ساحة أوّل ماي بينما كان كلّ يعبّرعن فرحته بطريقته الخاصّة :طبول ومزاميروزغاريد ورقصات حسب الطّبوع وكان ذلك اليوم شديد الحرارة ما جعل سكّان العمارات ينضحوننا بالميّاه الباردة وأذكرأنّي قضيت بعض الوقت في بيت الأستاذ بوحميدة إبراهيم بالقصبة.

باتت العاصمة في تلك الليلة مزدانة بالأعلام والمصابيح الملوّنة وأمّا أهلها فسهروا على إيقاع الطّبول والدّفوف والسّماع إلى الأناشيد الوطنية من مكبّرات الصّوت.
وفيما أذكرأنّ مجموعة من الشّباب والكهول المتحمّسين بنشوة النّصرقاموا بإزالة تّمثال الفارس- أعتقده يمثّل قائدالجيوش الفرنسية " Duc dorLeant"المشكّل من البرونزوالّذي لطالما ظلّ يمثّل أحد رموز فرنسا الإستعمارية و كان هذا في ساحة الشّهداء الّتي كان يطلق عليها في عهدالإستعمار"بلاست العود"وظلّ ذلك التّمثال يتصدّرالساحة المذكورة قبالة الواجهة البحرية والمسجد الكبيرعقودا من الزمن وكانت فرنسا تعتبر ذلك الفارس رمزا لكبريائها و شموخها وعزّتها فأزاحه أولئك الوطنيون الّشّرفاء إلى الأبد بالملحم(شليمو) مستعملين قارورات (غازالسيتيلان)والآن يطلق على تلك الساحة اسم "ساحة الشهداء".

وبهذا تكون فرنسا قد أزيحت من أرض الجزائرأبداًبفضل الله أوّلا وبفضل تضحيات الشّعب الجزائري الّذي أبلى بلاء حسنا في الجهاد وقدّم العديد من الشهداء حتّى كان النّصرالمبين. لكن،على الرّغم من ذلك-وللأسف الشّديد - ما فتئت فرنسا حاضرةً في أذهان كثيرمن جيل هذا الزمان بعاداتها وثقافتهاالتي فشلت في تحقيقها على مدى نيّف وقرن من الاحتلال ولاتزال كثيرمن العائلات تتبجّح بالثّقافة الفرنسية الإستعمارية ضاربة بعرض الحائط الثقافة العربيّة الإسلامية التي هي من مقوّمات الهويّة الوطنيّة،لكن ما يؤسف له أن يطعن كذلك في رموزالنضال بوصفهم بالخيّانة والخبث والتشكيك في مصداقية الثورة والطعن في المجاهدين الشرفاء والإساءة إلى شهداء الوطن هذا ما يتمّ- فعلاً-عبروسائل الإعلام السمعية،المرئية وعلى المباشروفي قنوات التواصل الإجتماعي خاصّةً بدون حياء ولاخجل.ولاخشية من رادع قانوني حتّى،هذا تحت شعارحرّية التعبيروالديمقراطية !!!

الفصل التاسع

- من مآثره بعد الاستقلال مباشرةتحويله كنيسة برّاقي إلى مسجد:

في سـيّاق الحديث عنرسـالة الإمام محمد بن عمربوحميدة ومآثره في إطارالدّعوة والإصـلاح والإرشـاد الديني كما بيّنته أخي القارئ أختي القارئة سـلفاً -في المرحلة الاسـتعمارية وهو في غارداية -أنتقل بك إلى ما بعد الاسـتقلال مباشـرةً ولابدّ من إبرازدوره في هذا المجال وفي هذا العهـد الجـديـد، فبعـد حوالي أسـبوع من نيـل الاسـتقلال الوطني سـنة1962وفي خضـمّ الاحتفاء بالنّصـرالمبين قرّر-رحمه الله- أن يفتح مصلّى قبالة متجره حيث يوجد مرآب لبيع الإسمنت وموادّ البناء لمالكه السّـيّد الحاج محمد نصـرون وبعد أن عرض الفكرة على هذا الأخير قبلها -رحمه الله- بأريحية ، فخصّـص له هذا الرّجل المحسـن حيّزاً من مرآبه (garage) لتقامفيه الصـلوات الخمس مؤقّتا في حين لم يكن في مدينة برّاقي في العهدالإسـتعماري مسـجد يمكنه اسـتيعاب عدد كبيرمن المصلّين اللّهمّ إلّا مسجداً صـغيراً كانت تقام فيه الصّـلوات الخمس لعدد محدود جدّاً من كبارالسّـنّ وكان في نفس الوقت يسـتغلّ ككتّاب للتّعليم القرآني كانت قد تبرّعت بأرضـه امرأة اسـمها خيرة سـنة 1949وكان يدرّس فيه أوّل معلّم اسمه لعريبي صالح ثمّ أدخل السجن في1955حتّى 1956وآخرأئمّة ذاك المسجد اسمه الحاج بلقاسم المتوفّى سنة 2009. ثمّ هدم هذا المسـجد العتيق بغرض بناء مسـجد حديث العهد كبير سـمّي"الجود والكمال"،بينما كانت للنّصـارى كنيسـة كبيرة لكنّ عدد روّادها من النصـارى لم يكن يتعدّى عدد أصـابع اليدين، يأتون إليها كلّ يوم أحد لأداء طقوسهم الدّينيّة وهي ذات الصلة بالموضوع .

والملاحظ أنّ معظم المدن الجزائرية لم يكن بها مسجد كبيريسع العديد من المصـلّينإلّامـانـدر،فـالكنـائس ظلّـت محظوظـة بتوفّرجـلّ المرافق الضـرورية وما يميّزها كون صـوامعها تبدو مشـرئبّة على قمم الأعالي والهضـاب وفي واجهات المدن حيث تسـمع لها رنّات النواقيس فتدوّي

الآفاق في المناسبات الدينتية ككنيسة"كتشاوة "-سابقا-التي كانت مسجدا في العهد التركي والتي استرجعت هويّتها كمسجد غداة الإستقلال وقد تمّ تدشينه يوم الجمعة02 نوفمبر1962وكان الخطيب في ذلك اليوم المبارك الشيخ محمّد البشيرالإبرهيمي بحضورالسلطات،ومن تلك الكنائس كنيسة "السيدة الإفريقية " في أعالي العاصمة وكنيسة "سانتكروز"في وهران ومن بينها كنيسة غارداية في مرتفع حيّ الخرّاخة،في واجهة الطريق العام ...إلخ وكلّ هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على تكريس حلم الكاردينال "لافيجري" الّذي كان يطمح إلى تنصيرالجزائريين كما أشرت إليه في موضوع"الغاية تبرّرالوسيلة".

وفي ظلّ انعدام مسجد لاسيّما في الحيّ الذي يسكنه عدد كبيرمن أهل برّاقي اضطرّالإمام محمد بن عمرفي بادئ الأمرباستغلال حيّزمن ذاك المرآب (garage)الّذي صارقبلةً لكثيرمن الناس الذين يفدون عليه بكرةً وأصيلاً ومن كلّ حدب وصوب لاللصّلاة فحسب بل من أجل الاستماع إلى دروسه القيّمة التي نالت إعجابهم،إذلم يسبق لهم أن عرفوا عنه كونه إماماً ومرشداً متميّزاً طوال تواجده بينهم كتاجر-رحمه الله- وفيما أذكرأنّ والدي قد كلّفني برفع الآذان من على سطح منزل السيّد جراوي عبد الرحمن الذي جاء ذكره في رسالة الاستغاثة التي بعث بها -رحمه الله- إلى أهل غارداية قبل الإعلان عن الإستقلال كما سبق ذكره وللصّعود إلى السّطح كنت أتسلّق العمود الكهربائي المحادي لبيت هذاالأخير،المجاورلسكنى المرحوم الحاج محمّد نصرون.

ونظراًلضيق المكان وتضاعف إقبال أعداد المصلّين لم يجد الإمام محمد بن عمربدّا سوى استغلال نفوذ سلطته للاستيلاء على الكنيسة القريبة جدا من ذاك المصلّى عنوة إن لزم الأمرحتّى لايتمّ اقتحامها من قبل الشبّان الثائرين،هذا في حال ما إذا تعنّت راهبها وأبى أن يسلّمه مفتاح الكنيسة،ومن هنا تبدأ قصّة تحويل كنيسة برّاقي إلى مسجد.

-قصّة تحويل ا لكنيسة إلى مسجد عنوة:

ففي يوم صلاة النّصارى (الأحد) فكّرالإمام محمد بن عمرفي حلّ مشكلة أداء الصلوات الخمس عوضاعن ذاك المرآب الذي لم يعد يستوعب عدد المصـلّين ويوم حضـرراهب الكنيسـة لوحده لأداء طقوس الصّـلاة بها بسبب جلاء جلّ الفرنسيين من الجزائروكان هذا الأخيرعلى متن سيّارة من نوع "كوكســينالcoccinélle" لونها أســود،اغتنم -رحمه الله- فرصة تواجد الرّاهب وكأنّه على موعد معه،وكان يرتدي قميصاً طويلاً لونه أسـود كذلك وعلى صـدره صـليب يتدلّى وكنت أنا ثالث ثلاثة من الحضـوروأمّا ثاني ثلاثة فهوأحد أبناء جارالكنيسـة المرحوم الحاج رابح بلواضـح وأظنّ اسمه "علي"،وما إن نزل هذا الرّاهب من سيّارته حتّى اقترب منه -رحمه الله- فبادره بالتحيّة التي تليق بمقامه ثمّ عرّفه بنفســه على أنّه مسـؤول لجبهة التّحريرالوطني وأنّه إمام بالحيّ، فحاوره بلباقة في الموضوع ثمّ طلب منه التّنازل عن الكنيسة لصالح المسلمين.

حاول الرّاهب إقناع الوالد بأنّه لايمكن ذلك لأنّ النّصارى سوف يعودون إلى الجزائرحالما تهدأالأوضاع وتعود الميّاه إلى مجاريها فيؤدّون فيها طقوسهم الدينيّة كما جرت العادة، لكنّ الوالد-رحمه الله-لم ينظره وقال له: أنا أقدّرشعورك،وعلى كلّ حال فالمسلمون في حاجة ماسّة إلى مسجد لأداء الصّلوات فيه وهم أولى بهذا المكان فلا داعي لإطالة الكلام،لكنّي أعدك أنّني سأتكفّل بنقل كلّ الأثاث الموجود في الكنيسة على حسابي.

وحينئذ تجهّم وجه الرّاهب وظهرت على ملامحه حيرة -أســفا -،فانتزع من يده المفتـاح عنوة لأنّ من عـادة محمد بن عمرأنّـه لا يســـاوم في المبادئ مهما كلّفه الأمر ويتميّزبالصرامة في اتّخاذ القرار .

وقبل أن يغادر الرّاهب المكان سمح له بإلقاء آخرنظرة في داخل الكنيسة وإن شاء أدّى طقوسه فيها ثم دعا الوالد -رحمه الله- شباب الحيّ للتطوّع من أجل تنظيفها وكنت أنا ابنه أحد المجموعة التي قامت بتنظيف الكنيسة بالماء وبتفريش قاعة الصّلاة بفرش تبرّع بها سكّان الحيّ وقبل ذلك قمنا

بإخراج الأثاث الذي كان يتكوّن من الطاولات والكراسي والصوّرالزيتية ذات الرموزوالدّلالات الدينيّة حسب الطقوس المسيحية فضلاعن الصّليب الكبيرالذي كان يتصدّرواجهة قاعة الصلاة ثمّ نقلنا كلّ هذه الأشياء إلى مركزالآباء البيض بالحرّاش على متن شاحنة من نوع "بارليي" berlierهي ملك لجارنا المدعو: "امحمد التابلاطي".

وهكذا تحوّلت الكنيسةإلى مسجد بفضل مساعي الإمام محمد بن عمر بوحميدة -رحمه الله وطيّب ثراه- الّذي يكنّيه أهل برّاقي في ذلك العهد (الحاج محمّد الشّعنبي) ولا غضاضة في ذلك. فرفع الآذان لأوّل مرّة بجوارالمسجد.

وتجدرالملاحظة إلى أنّ جهة القبلة كانت مناسبة تماما فاحتلّ المحراب مكان الصّليب ثمّ صارت تقام فيه الصّلوات الخمس فضلا عن الجمعات وهو الآن يسمّى مسجد" محمّد بلعربي"وكان آخرأئمّته الشيخ "عزّالدين أحمد"الذي وافته المنيّة منذ حوالي ثلاث سنوات خلت والذي كان محمد بن عمرقد نصّبه معلّما للقرآن سنة1964.

وللأسف فإنّ هذاالأخير-رحمه الله - لم يترك لمن خلفه بطاقةً فنّيّةً تعرّف بالمسجد منذ افتتاحه على يد محمّد بن عمروقد جمعتني به فرصة تواجدي في برّاقي وحاورته في الموضوع مذكّراً إيّاه بوالدي وقد أثنى عليه كثيراً وكلّ هذا جرى في مكتبه داخل مقصورة المسجد.

وللعلم فإنّ أوّل صلاة أحد العيدين أقيمت في الملعب السابق الذي كان مقابلاً للمسجد بعدالاستقلال1962 -1963بإمامة الإمام محمد بن عمربوحميدة،علماً أنّ برّاقي لم تشهد قطّ إقامة صلاة أحد العيدين وبقي فيه -رحمه الله -كذلك إماماً متطوّعاً يؤمّ فيه المصلّين ويعكف على إقامة حلقات الدروس إلى أن عيّن ناظراً للشّؤون الدّينية والأوقاف بالبليدة سنة1964ثمّ مفتّشاً جهويّاً للشّؤون الدينية والأوقاف.

اخرمحطّة من حياته السيّاسيّة

لقد علمت أخي القارئ أختي القارئة من خلال المحاورالسّـــابقة في ما يخصّ الدّور الذي لعبه محمد بن عمربوحميدة أثناءالحركة الوطنيّة وحسبه أنّه قد أثنى عليه أحد رفاقه في النّضال ألا وهوالمجاهد الأستاذ محمد جبريط عندما تعلّق الإمربمظاهرة 1952.

وما قام به أثناء الثّورة أكبر وما تلا ذلك قبل الإعلان عن الإســتقلال أوبالأحرى في المرحلة الإنتقابية حين قيّامه بالواجب الوطني كمسؤول سـيّاسـي وقاض شـرعيّ في تلك الفترة الإنتقالية العصـيبة لدليل على استمراريته في السيرعلى نهج الثورة مهما كلّفه ذلك من عنى.

-تقلّده مسؤولية تنسيقيّة قسمة برّاقي في تلك الفترة :

لم يتخلّ -رحمه الله-عن دوره النّضالي حتّى استتبّ الوضع بعدالإستقلال مباشرة سنة1962عندما تولّى مسؤولية أمين تنسيقيّة قسمةجبهة التّحريرالوطني بتعيين من القيّادة السّيّاسية (اللّجنة المركزية للحزب)لاحبّاً فيهاولم تكن له أطماع لجني مآرب وتحقيق طموحات سيّاسيّة يرجوها وكنت أنا ابنه أساعده في الإدارة فكان يكلّفني بالختم على بطاقات الإشتراك ومسك صورالمناضلين عليها ،بينما كان - رحمه الله – يكتب التقاريربالآلة الراقنة فأبقى وإيّاه حتّى العاشـرة ليلاً في حين كان ينشّط خلايا الحزب في كلّ من سيدي موسى وبوقارة بالإضافة إلى خلايا برّاقي وذلك إلى نهاية 1963.

وتجدرالإشارة إلى أنّه عمل حوالي ثلاثة أشهركاتبا في بلدية الحرّاش ريثما تسوّى وضعية دفع الرّواتب الشهرّية للعاملين في قسمات حزب جبهة التحريرالوطني،إذ لم يكن له آنئذ مورد مالي يسدّ به حاجاته الضّرورية خاصّة بعد غلق متجره على إثرإفلاسه نتيجة عدم تسديد المدينين ديونهم المستحقة فضلاً عن تحمّله أعباء المصاريف الناجمة عن تموين فرق جيش التحريرالوطني بالموادّ الغذائية وإطعام بعضهم في بيته قبل الإستقلال أي بعد 19مارس عند توقيف النّار.

الفصل العاشر

- تعيينه مفتّشاً جهويّاً للشّؤون الدّينيّة والأوقاف

وبعدمهمّته السيّاسية تلك تولّى-رحمه الله-مسؤولية تليق بمقامه العلمي ورسالته الدّينيّة ألا وهي مسؤولية ناظرللشؤون الدينية والأوقاف بالبليدة بدرجة إمام أوّل كما يثبته القرارالوزاري تحت رقم :149/64دأ/المؤرّخ في غرّة فيفري 1964والمحرّربالجزائرفي 2 مارس1964 (انظرالملحق)ذلك بتزكيّة من الشّيخ العلاّمة محمّدالبشيرالإبراهيمي - رحمه الله - ما مكّنه من ولوج باب وزارة الشؤون الدّينية والأوقاف،فما لبث أن تمّ تعيينه مفتّشاً جهويّاً للشؤون الدينية في نفس المدينة علماً أنّه قد أسندت إليه هذه المهمّة لتشمل مناطق الوسط كمتيجة وناحية التطري،بلديات المدية والجلفة وقصرالبخاري وناحية الواحات كالأغواط وغارداية .

-صورة لمحمّدبن عمربوحميدة مع الإمام بولنوارفي مهمّة تفتيش 1964في منطقة حدّ الصّحاري-ولاية الجلفة-

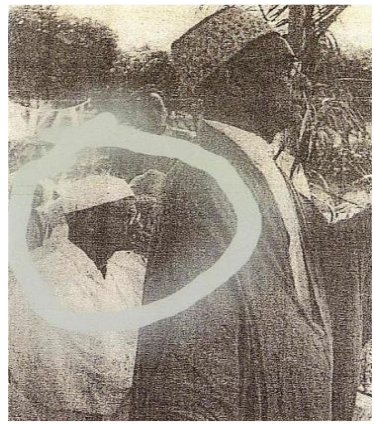

محمّد بن عمربوحميدة مع زميله المفتّش محمّد الصالح بن عتيق سنة 1964في مهرجان شعبي -انظر الصورة،هوصاحب الطاقية البيضاء ،على المنصّة حوله دائرة.

- مواصلته الرّسالة المسجدية في بعض مساجد الوسط:(التيطري،ناحية البليدة،متيجة)

لم تتوقّف مهمّته -رحمه الله- عند العمل الإداري في المفتّشيّة بل عمل على مواصلة رسالته المسجدية كسالف عهده وهو في غارداية فأخذ يتنقّل من مسجد إلى آخرعبرمساجد الوسط بطلب من أئمتها ولجانها الدّينية الّذين كانوا يتردّدون على بيته ليضرب لهم موعداً لألقاء الدّروس وعليه،يتعيّن عليّ إذاً أن أذكرلك بعض المساجد الّتي عادة ما كان يقصدها كلّ جمعة والمناسبات :مسجد "بدر" بحي باب السبت وامامه الشيخ عزيرة ومسجد "المجاهد "بحيّ دويرات ومسجد "بن سعدون " في زنقة السوق والمسجد "الحنفي "وكلّها تقع في وسط مدينة البليدة ومصلّى زعبانة الّذي حوّل فيما بعد إلى مسجد وإمامه الشّيخ بوزكري العربي ومسجد"وادي العلاّيق"ومسجد "سيّدي فرج "ومسجد مدينة خميستي "(شيفالو) بالقرب من بوإسماعيل في ساحل متيجة ومسجد"المدية"وإمامه الشيخ محمّد (فريشكو)ومسجد "قصرالبوخاري"وإمامه الشيخ بلحوت ومسجد"الجلفة "وإمامه الشيخ عطية مسعودي ومسجد"حدّ الصّحاري"وإمامه الشيخ بولنوار...إلخ وكان بيته -رحمه الله - مزاراً لبعض أئمة وعلماء تلك المناطق.

-آ خر شهادات من لدن نجله الأكبر جمال الدّين:

وقبل شهرين من وفاته -رحمه الله- أدخل مستشفى البليدة بسبب إصابته بالرّبووعندما زرته قال لي: ياابني،أصبت بهذا المرض نتيجة ما عانيته من العذاب وأنا في سجن الملحق العسكري بغارداية وما تلاه من معاناة في سجني الحرّاش والبليدة.

وفي تلك الفترة،في نهاية1964أذكرأنّه كان جالساً -رحمه الله- في فناء المنزل وكان يبدوعليه قلق غيرمسبوق فناداني باسمي قائلاً:" يا ابني يا جمال أنا عازم على الاستقالة من عملي وحان الوقت لتتحمّل أنت وأخوك عبد الحميد مسؤولية رعاية إخوتكما، أمّا أنا فحسبي كأس حليب ورغيف خبز، فسأسعى إلى البحث عن عمل لكلّ منكما- وكانت البطالة آنذاك متفشّية في جميع فئات المجتمع- فقلت له -رحمه الله- : ما الّذي جعلك تتّخذ هذا القرار؟ قال لي : يا ابني يا جمال ليس هذا هونظام الدولة الذي كنّا نحن المناضلين نطمح إليه ومن أجله ناضلنا وجاهدنا"، هذا نقد منه عندما لاحظ بعض القيّاديين السّياسيين ممّن كانوا مهيكلين في جبهة التّحريرالوطني قد انحرفواعن الخطّ الثوّري ومبادئه،هذا من وجهة نظره باعتباره وطنيّاً حتّى النّخاع واستنكاره لمخالفة السّلطة آنذاك المرجعية الوطنيّة ذات الثّقافة الإسلامية واستيراد ثقافة شرقيّة آسيوية ماديّة بحتة فلسفتهاإلحادية لا تمتّ بصلة إلى الآصالة الوطنيّة وذلك باعتباره باديسيّاً بلاً ريب،ناهيك عن مخالفة السّلطة نصّ بيان أوّل نوفمبر1954وعليه ،هكذافضّل ملازمة بيته والعزوف عن السّيّاسة خاصّة والإدارة بعد أن اكتشف تغلغل بعض عملاء الاستعمارفي هياكل الدّولة،هذا ما جعله يخشى على مستقبل الجزائرفأبى إلاّ أن يحتفظ بقناعته.

والغريب في الأمر أنّه كان -رحمه الله- وهو في مكتبه متضايقاً من شخص هوأحد كاتبيه اسمه محمد.ش،كان هذا الشّخص في العهد الاستعماري عنصراً في المكتب الثاني في المخابرات الفرنسيّة،كان يعذّب المناضلين مع الجلاّدين وأذكرأنّ الوالد -رحمه الله- قد جاءني ذات مساء وهو يحمل إطاراً فيه صورة لثلاثة أشخاص،الوالد ثالثهم وكان يتوسّطهم وهو جالس على كرسيّ خشبيّ وكان ذاك العميل المندسّ إلى يساره وهندامه يبدوأنيقاً "لباس عصري" وكان ذا وجه وسيم يغري النّاظرين وابتسامته أخّاذة.فقال لي -رحمه الله-:لولا تمحو لي هذا الشّخص فتزيحه تماماً،إنّه كان من المخابرات الإستعمارية، فكان جوابي: -آسف-

يستحيل عليّ ذلك ،لأنّه لم تكن في ذلك العهد تقنيّات متطوّرة والغريب في الأمرأنّ هذا الشّخص كان يجيد تلاوة القرآن وقراءته تحاكي قراءة الشّيخ الملهم عبد الباسط عبد الصّمد- رحمه الله-وكان قد حضرجنازة الوالد-رحمه الله- وفي تلك الليلة تلا على جمع من النّاس آيات من الذكرالحكيم أبهربها السّامعين فنالت قراءته إعجابهم، فإذا حدّثك أسرقلبك بطلاوة لسانه وسمته وصمته وهناتكمن قوّته !

وبعدوفاة الوالد-رحمه الله- صارهذاالعميل السابق للإستعمار إمام مسجد مالك بن أنس بحيّ زعبانة بالبليدة ثمّ عيّن مسؤولاً في المعهد الإسلامي في حيّ بن بولعيد بالبليدة وأمّا الكاتب الثّاني فهو شخص وفيّ لمسؤوله محمد بن عمروهوالسّيّدعمروزّاني من مواليد مدينة تابلاط وكان عضواً في اللجنة المركزيّة لجبهة التّحريرالوطني وعضواً في المجلس الشّعبي الوطني وكان مشهوداً له-رحمه الله-بالإخلاص في جبهة التّحريرالوطني أثناء الثّورة وبعدها ولقد توفّي في السّنوات القليلة الماضية-رحمه الله-وهو دفين مقبرة الشّهداء بالبليدة -تلك هي مفارقة عجيبة- !

وكانت آخرخرجة للإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمرفي بداية رمضان،قبل وفاته بأيّام،زار-رحمه الله-مدينةبرّاقي ليلاً بعد صلاة التّراويح وكنت بصحبته على متن سيّارة من نوع R4 يقودها صديق له، قصد- رحمه الله- قسمة جبهة التّحريرالوطني لزيّارة بعض رفاقه المناضلين المخلصين الذين كان يتبادل وإيّاهم زيّارات مجاملة وما إن علم المواطنون والمناضلون المتجمّعون بنادي قسمة الحزب بقدومه حتّى خرجوا جميعاً قصد استقباله بعد أن كانوا يتابعون الأخبارمن التّلفزيون الوطني الّذي قليل من كان يملك جهازتلفزيون -آنذاك- فرحّبوا به جميعاً وأخذوا يتدافعون للسّلام عليه.

قال له بعضهم: "يا سي الحاج محمد لقد فرّطت فينا حيث أنّك تقدّم دروساًوعظيةً في جهات أخرى ونحن أولى بها من غيرنا ونحن في شهررمضان فرفع صوته قائلالهم:أعدكم-إن شاء الله- أن أخصّص لكم

ليلة القدر،سنحييها هنا في برّاقي، فرفعوا أصواتهم عاليةً شاكرين إيّاه على تلبيّته طلبهم لكن، شاء الله أن يتوفّى قبل أسبوعين من تلك اللّيلة الموعودة.

- نعي وفاته عبروسائل الإعلام الوطنية :

في يوم وفاته-رحمه الله- استيقظ لتناول السّحورفأتته الوالدة بطعام، فقال لها: "لا عليك، يكفيني فنجان قهوة سوداء ورغيف من الخبز" فمكث بعض الوقت بعد تناوله القهوة ثمّ توجّه إلى المسجد وعند خروجه من البيت سمعت منه آخركلمة أوصى بها الوالدة -رحمها الله- قائلا: قولي لجمال يحافظ على إخوته ثمّ ليأخذهم إلى الحلاّق.

ومن المسجد توجّه-رحمه الله- إلى مقرّوزارة الشّؤون الدّينية بحيّ حيدرا بالعاصمة أين سينطلق الموكب الوزاري في اتّجاه الجنوب بغرض تدشين مسجد حديث النشأة بالأغواط ثمّ التّوجّه نحوغارداية لتفقّد مساجدالمالكية وكتاتيبها القرآنية ومعاينة وضعية الحبوس (الأوقاف)التّابعة لها وتسوية الوضعيةالإدارية للأئمة ومعلّمي القرآن الّذين كانوا متطوّعين أويتقاضون أجورهم من لجان المساجد،لاكما ادّعى عليه حمّومحمّدعيسى النّوري كذباً وزوراًعلى أنّ المرحوم كان قادماً إلى غارداية من أجل تأميم أوقاف الإباضية كما سترى في التعقيب عليه .

-نزل خبر وفاته علينا وعلى محبّيه كالصّاعقة:

وفي مساء يوم الحادث أذكرأنّني كنت جالساً مع أخي الأكبر عبد الحميد-رحمه الله- في البهو(الصّالون)عندما كلّفته الوالدة بطحن القهوة بالمطحنة اليدوية، ثمّ طلب منّي هذا الأخيرأن أشغّل المذياع للإستماع إلى موجزالأخبارو كانت السّاعة الرّابعة عصراًوحينها نزل علينا خبروفاة الوالد في حادث مرور كالصّاعقة ،فلم يتريّث عبد الحميد -رحمه الله - أن سارع إلى إخبارالوالدة -رحمها الله-بما حدث وكانت في المطبخ تعدّ فطور رمضان فأغمي عليها بعد صرخة يائسة وأكّد هذا الخبر التلفزيون الوطني في نشرته الإخبارية المسائية ،كما نزلت تلك الفاجعة على محبّيه وخيّم عليهم الحزن فنغّصت على الجميع لذة فطوررمضان .

وبعد التّراويح قدم إلى بيتنا الوفد الوزاري،على رأسهم وزيرالشؤون الدّينية المرحوم السّيّد الدكتورتيجاني هدّام-رحمه الله-الّذي كان في الموكب الوزاري حين وقع الحادث ،لتقديم التّعازي للعائلةعلماًأنّ الحادث وقع في إحدى المنعرجات قبل الدّخول إلى مدينة قصر البوخاري على مسافة حوالي 5 أو6 كم وذلك يوم الأحد 14رمضان 1384 هـ الموافق لـ 17جانفي1965 ظهراً وكان يوم إجازة حين اصطدمت شاحنة من نوع "برلي berlier " تابعة للدّيوان الوطني للنّقل" sntr = ont" بإحدى سيّارات الموكب الوزاري من نوع DsPalas لونها أسود، في الإتّجاه المعاكس على الرّغم من كون الموكب مصحوباً بدرّاجين(2) motars من الشرطة فتوفّي على إثرذلك كلّ من الإمام محمد بن عمربوحميدةوالشّيخ حاني حفناوي مديرديوان الوزارة وسائق السّيّارة حاج علي حدّاد وجرح مقرئ مصريّ أزهريّ اسمه الشّيخ محمود أبوالحاتم جرحاً بالغ الخطورة، كان قد حلّ ضيفاً على الوزارة المذكورة وقيل : إنّه توفيّ لاحقاً والله أعلم - رحمهم الله جميعا-وتقبّلهم في الشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً.

-مجريات جنازة الإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمر:

كانت جنازته-رحمه الله- يوم الاثنين 15رمضان 1384هـ الموافق لـ 18جانفي 1965م عصراً في مقبرة "أولاد بوحميدة"-غارداية- . حيث توجّهنا نحن عائلته من البليدة إلى قصرالبوخاري صباحا ولمّا وصلنا وجدنا حشداً غفيراً من النّاس من أهل قصرالبوخاري أمام المستشفى ينتظرون خروج التّابوت ثمّ حمل على متن سيّارة إسعاف من نوع بيجو404 فيما كان الحزن يخيّم على الجميع ثمّ اصطفّت فرقة من عناصرالشّرطة مكوّنة من حوالي 12عنصراًفقدّموا السّلاح تحيّة لروح الفقيدواصطفّ جلّ سكّان مدينة قصرالبوخاري على الرّصيف من الجانبين حتىّ نهاية الشّارع الرّئيس بوسط المدينة،حضروأعن بكرة أبيهم ليودّعوا المرحوم إلى خارج المدينة والحزن باد على وجوههم.

ونحن في طريقنا إلى غارداية انضـــمّت إلى الموكب الجنائزي بعض السّــيارات الّتي كانت تنتظرنا في كلّ مفترق طرق حتىّ وصــلنا مدينة الأغواط أين وجدنـا الجمـاهيرتنتظرنـاعلى غرارجمـاهيرمدينـة قصـــر البوخاري وكلّهم تغشاهم مظاهرالحزن والأسى العميق ولا تزال تتوالى السّيارات القادمة من غارداية لتنضمّ إلى الموكب الجنائزي حتّى وصلنا إلى غارداية مساءًبعد العصرودخلنا مقبرة أولاد بوحميدة فوجدنا حشوداً جمّة من المشـيّعين على صـعيد واحد حتّى النسـاء كنّ على سـفح الجبل ،فبكاه الكلّ وحزن عليه الجميع ومن بين المشيّعين مسؤولون من حزب جبهة التّحريرالوطني ومن منظّمة المجاهدين ورجال السّـــلك الدّيني وضبّاط من الجيش الوطني الشّعبي للناحية الرّابعة ومن بين الّذين أبّنوه ممثّل عن وزارة الشّــؤون الدّينية الذي أثنى عليه وذكرمآثره وتفانيه في عمله فتعاقب على ذلك المجاهدون منهم الحاج إبراهيم رمضــان والحاج مسـعود بلّي مسـؤول قسـمة جبهة التّحريرالوطني ورئيس البلديّة الحاج عمربن خليفـة (بلعجـال) وبعض الأئمـة ولولا ضـــيق الوقت بحلول المغرب لتعاقب على ذلك الكثير. -انظرجريدة المجاهد المؤرّخة في 25 جانفي 1965 الّتي جاء فيها ذكرجانب من مراسيم جنازة المرحوم محمّد بن عمربوحميدة كما هو موضّح في الوثيقة ، في ما يلي-.

وكـانـت جمـاعـة مســـجد خـالـد بن الوليـد لحيّ الحفرة قد أعدّوا للوفد الوزاري فطورالصّيام تمثّل في عدّة خراف مشويّة كانت قد أعدّت للوفد الوزاري خاصّـة والمدعوين الرّسـميين فوزّع اللّحم المشـوي حينئذ على الحضـــور والضـــيوف الذين وفدوا من كلّ حدب وصـــوب من الذين حضروا الجنازة وعامّة النّاس .

ومن الغـد تجمّع محبّوالإمـام محمّـد بن عمربوحميـدة في طوابير أمـام مخبرالتّصــويرالذي كان في رحبة سـوق المدينة لاسـتخراج نسـخ من صـورته الفتوغرافية، فما من بيت تدخله في ذلك العهد إلاّ تجد فيه صورة لمحمد بن عمرمعلّقة على حائط حجرة أو في واجهة خزانة، إن دلّ هذاعلى شـيء إنّما يدلّ على تعلّق المتيّمين به وذلك عرفاناً له بالتضـحيات الجسـام التي

بذلها من أجل الدين والوطن بروح التفاني والإخلاص ولم يأل جهداً في تحدّيه الإدارة الإستعمارية وأذنابها.

ومرّت أيّام عن وفاته-رحمه الله-فتقاطرت على بيت الجدّ العديد من رسائل التّعزية من كثيرمن الدّوائروالبلديّات من بوسعادة والجلفة والعاصمة والبليدة والمديّة وقصرالبوخاري ومن الأغواط ومن جهة متّيجة وجهة الهضاب العليا ومن المنيعة فضلا عن البرقيات (تليغرامات) وكان الأعمام، مسعود، عبد الرّحمن، العيد،عيسى وأنا وأخي عبد الحميد كنّا نقرأ تلك الّرسائل والبرقيات على سطح منزل الجدّ عمر- رحمهالله-

- قبر الإمام محمد بن عمر بوحميدة بمقبرة أولاد بوحميدة –غارداية-

–نعي وفاة محمد بن عمر- المصدر،جريدة المجاهد 18 /1/ 1965:

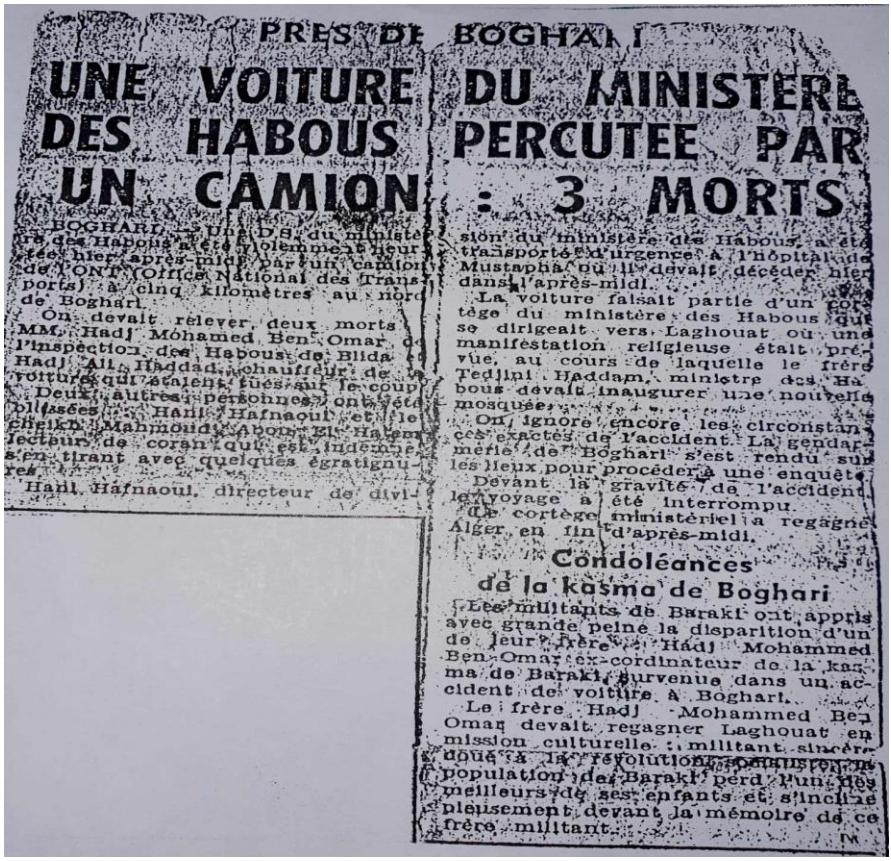

PRES DE BOGHARI

UNE VOITURE DU MINISTERE DES HABOUS PERCUTEE PAR UN CAMION : 3 MORTS

BOGHARI. — Une DS du ministère des Habous a été violemment heurtée hier après-midi par un camion de l'ONT (Office National des Transports) à cinq kilomètres au nord de Boghari.

On devait relever deux morts MM. Hadj Mohamed Ben Omar, inspecteur des Habous de Blida, Hadj Ali Haddad, chauffeur de la voiture qui étaient tués sur le coup. Deux autres personnes ont été blessées : Hanl Hafnaoui et le cheikh Mahmoudi Abou El Hassen, lecteurs de coran qui s'en tirent avec quelques égratignures.

Hanl Hafnaoui, directeur de division du ministère des Habous, a été transporté d'urgence à l'hôpital de Mustapha où il devait décéder hier dans l'après-midi.

La voiture faisait partie d'un cortège du ministère des Habous qui se dirigeait vers Laghouat où une manifestation religieuse était prévue, au cours de laquelle le frère Tedjini Haddam, ministre des Habous devait inaugurer une nouvelle mosquée.

On ignore encore les circonstances exactes de l'accident. La gendarmerie de Boghari s'est rendu sur les lieux pour procéder à une enquête.

Devant la gravité de l'accident le voyage a été interrompu. Le cortège ministériel a regagné Alger en fin d'après-midi.

Condoléances de la kasma de Boghari

Les militants de Baraki ont appris avec grande peine la disparition d'un de leur frère, Hadj Mohammed Ben Omar, ex-cordinateur de la kasma de Baraki, survenue dans un accident de voiture à Boghari.

Le frère Hadj Mohammed Ben Omar devait regagner Laghouat en mission culturelle : militant sincère, dévoué à la révolution, toute la population de Baraki perd l'un des meilleurs de ses enfants et s'incline pieusement devant la mémoire de ce frère militant.

M

ترجمة إلى العربية باختصـــار: بالقرب من بوخاري ســـيّارة لوزارة الحبوس(الأوقاف)صدمتها شاحنة :ثلاثة قتلى.

بوخاري:سيّارة من نوع Dsلوزارالحبوس تعرّضت أمس ظهرا لصدام عنيف من شاحنة تابعة للدّيوان الوطني للنقلontعلى مسافة 5كم شمال (قصـــرالبوخاري)-ثمّ ذكرت أســماء الضـــحايا-الذين جاء ذكرهم أعلاه ومن بينهم الحاج محمّد بن عمر.

-أضـــف إلى ذلك تعزية من طرف منـاضـــلي قســـمة حزب جبهة التحريرالوطني ببراقي ،لا قصرالبوخاركما وردخطأ.

-تقديم تعازي من عائلة "بوحميدة "إلى عائلات ضحايا الحادث وذكر تفاصيل مراسيم جنازة محمّد بن عمر-المصدر،جريدة المجاهد 25 جانفي 1965.

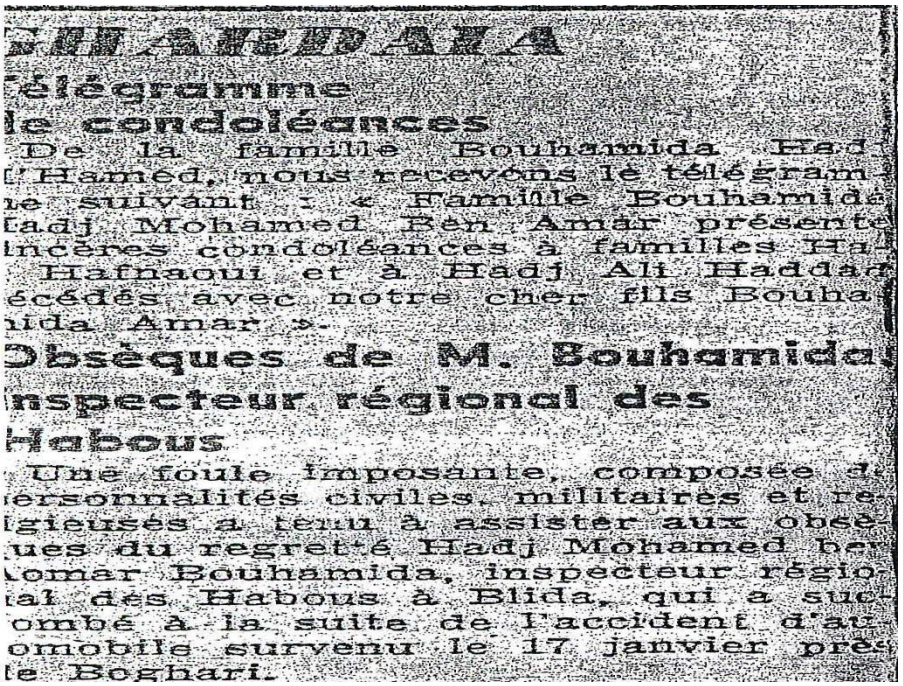

EL MOUDJAHID

Télégramme de condoléances

De la famille Bouhamida. Had Hamed, nous recevons le télégram suivant : « Famille Bouhamida Hadj Mohamed Ben Amar présente sincères condoléances à familles Ha Hafnaoui et à Hadj Ali Haddad décédés avec notre cher fils Bouha mida Amar ».

Obsèques de M. Bouhamida, inspecteur régional des Habous

Une foule imposante, composée d personnalités civiles, militaires et re gieuses a tenu à assister aux obsè ques du regretté Hadj Mohamed be Lomar Bouhamida, inspecteur régio nal des Habous à Blida, qui a suc combé à la suite de l'accident d'au omobile survenu le 17 janvier près le Boghari.

ملاحظة: هودفين مقبرة "أولاد بوحميدة" في المصـــلّى القديم بمفرده وعلى قبره لوحة تذكارية صخرية قد كتبت عليها سطورمن النثروأبيات من الشـــعرتخليداًلمآثره وجهاده، الرثاء والشـــعرمن إنشـــاء رفيقه في النّضـــال المجاهد الشـيخ امّيزة بوداوود وتمّ نقشـهما بيد صـديقه الوفيّ المرحوم علي قدّيسي –رحمهما الله-.

وإليك النّصّ المنقوش،حرفيّاًعلى اللوحة التّذكارية التي لاتزال على قبر المرحوم منذ نيّف وسبع وخمسين سنة خلت عن وفاته -رحمه الله -

"إنّ شهيدنا هذا مهما عددنا محاسنه وذكرنا مزاياه لايمكن أن نوفّيه حقّه ولكن ما لا يدرك كلّه لايترك جلّه ولهذارأينا من الواجب أن نشير إلى تاريخه المجيد ببعض الكلمات الوجيزة.
كان يرحمه الله غيوراً على الإســـلام والعروبة ومناضـــلاً بارزاً كافح الإســـتعماروأذنابه مكافحة الأبطال وســـاهم في جميع الميادين الثورية بأوفر نصـــيب ولايزال يجاهد ويكافح حتّى وافاه الأجل المحتوم فعاش عزيزاً ومات شهيداً يرحمه الله برحمته وأدخله فسيح جنّاته."

شعر

أرى الناس طرًّاحامدين محمّدا وكلّهم أفضت اليه صنائعـــــــه
فتىً أمعنت ضرّاؤه في عدوّه وخصّت وعمّت في الصديق منافعه

*** * ***

الفصل الحادي عشر

تعقيبات على الكتّاب المفترين

-تعقيب على صاحب كتاب "حوار مع الذات ومع الغير"
-المعقّب عليه السّيّد القيّادي جغابة محمد:

يؤسفني أن أعقّب على قيّاديّ مجاهد من الوزن الثّقيل القيّادي السّيّد جغابة محمد بعد أن فاجاء الجميع ،من المناضلين والمجاهدين الشّرفاء ورفاق الإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمرأثناء ثّورة التحريركقيّاديّ مؤسّس لخلايا جبهة التّحريرالوطني في ناحية غارداية تحت قيّادة الشّيخ سليمان غزال المنتمي لقيّادة الشيخ الشّهيد زيّان عاشوربمعيّة كلّ من المجاهد بوداود امّيزة والمجاهد الحاج سلامة سلامة إلى يوم اعتقاله ثمّ مواصلته النّضال في الولاية الرّابعة باقيّا على العهد ،منضويّا تحت قيّادة جبهة التّحريرالوطني على الرّغم من ادّعاء السّيّد المعقّب عليه،هذا بعدأن صدرله كتاب تحت عنوان "حوارمع الذات ومع الغير"إذ سمحت له نفسه للأسف الشّديد التّشكيك في نضال الإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمرالّذي نسبه إلى تنظيم"الحركة الوطنيّة الجزائريّةmna" رجماً

بالغيب أواستناداً إلى أخبارمن يثق فيهم حسب زعمه بدون تحرّيفضي إلى الحقيقة عملاً بقوله تعالى :"يا أيّها الذين آمنواإن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحواعلى ما فعلتم نادمين"الحجرات-الاية6-وقال تعالى"يا أيّها الذّين آمنواجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظّنّ إثم ..."الحجرات الآية12.ولعلّ السّيّد جغابة محمد قد وضع هذا النّهي الرّباني ظهريّاً .

و حيث أنّ مسؤوليته محدودة في التّنظيم العسكري وهذالايؤهله لتحمّل المسؤولية السّيّاسية بحكم كونه من خارج المنطقة وليس له سابقة في العمق الشّعبي كما لم تكن له قاعدة نضالية كتلك التي حظي بها محمد بن عمرفي"حركة انتصارالحرّيات والدّيمقراطية"التي منها تشكّلت الخلايا الأولى للثورةّ وعليه فإنّ خلايا الثورة لجبهة التّحريرانبثقت من تلك الحركة الوطنيّة ولم تأت من فراغ والسّيد محمد جغابة لا يخفى عنه أنّ هذا الأخيرشخصيّة لها وزنها الاجتماعي واعتبارها الدّيني والسّيّاسي ما حدا بالسّيّد القيّادي أن يلجأ إلى فكرة التّغليط والتّشكيك في انتماء الإمام إلى تنظيم جبهة التّحري الوطني وكثيرة هي الشّواهد والأدلّة الدّاحضة التّي تنفي ادّعاءه جملةً وتفصيلاً.

وحيث أنّ سيّاق كلامه لايثاق فيه حين قال: إنّ محمد بن عمراستقبل في بيته جماعة من " الحركة الوطنيّة الجزائرية". [1]ولنفرض جدلاً أنّه فعلااستقبل هذه الجماعة، فما المانع من أن يتعامل معهم بالتقيّة وهم مسلّحون بينما هوأعزل وبيته مكشوف للجميع في الشّارع الكبيربحيّ الحفرة ونظراً لكونه إماماً قد يستقبلهم، هم وغيرهم في مقصورة المسجد أوفي بيته كما يستقبل عامّة النّاس وخاصّتهم مع العلم أنّ سيّادته لم يعط تفاصيل ادّعائه واكتفى بعبارة "استقبل".

والسؤال الذي أودّ طرحه على السيّد جغابة محمد: لوكنت في مكانه ماذا عساك أن تفعل في تلك الظروف العصيبة؟ صحيح أنّه لم يمسسك سوء

---

[1])-حوار مع الذات وممع الغير جغابة محمد ص140/137

لأنك كنت محظوظاً برعاية وحماية المسبّلين الّذين لم تغمض لهم طرفة عين لحراســتك. وبينمـا كنـت أنـت تنـام قريرالعين كـان محمّـد بن عمرمعرّضاً لكلّ خطب وشيك ،كأن يتوقع اقتحام بيته من قبل زوّارالليل وربّما كانت تنهال عليه سـيّاط الجلاّدين ضــرباًلايطاق أوبات يصــعق بالكهرباء و ينكّل به أشدّ التنكيل.

ويبقى السّؤال المطروح على سيّاد ته: ماالمانع من أن تحاورذاتك لتصل إلى الحقيقة وما المانع من أن تحاورالغيرو هو محمد بن عمر في الشّأن في ذلك العهد، ولماذا لم تعقد جلسة طارئة للجنة التأديب تحرّيّاً للحقيقة وللنظرفي هذه التّهمة لأنك أدنت بريئاً لم تثبت إدانته بالمرّة؟ وحسب علمي أنّه-رحمه الله-لم يكن يعمل تحت قيّادتك بل كان يخضع لقيّادة الشيخ زيّان عاشوروللبرهنة على ذلك إرجع إلى مذكّرة الشيخ سليمان غزال، وعليه يجدر بي أن أقدّم إليه الأدلّة القطعيّة الّتي تدحض هذا الادعاء لأنّ ما جاء ذكره في كتابه المشارإليه إنّما هو محض افتراء بل هو فرية ما في ذلك مرية.

أوّلا: ليكن في علم السّـيّد جغابة أ نّ كلاًّ من السّـيّد بوداود امّيزة والسّـيّد الحاج سلامة سلامةوالشيخ سليمان غزال سجن مع محمد بن عمرفي آن على خلفية إضـراب 28جانفي1957وقد أشـدت بنضـالهم في أكثر من صفحة وهم أحقّ بذلك ولكنّك لم تنصف محمّد بن عمررفيقهم وصنوانهم في النضال وكأنّه خصم لدود ؟ !

ثانيّا:لاأدري إن كان السّيّد محمد جغابة يتذكّريوم زار مدينة غارداية في1984أوفي 1985وكان في اجتماع مع مجاهدي ولاية غارداية وكنت أنا من بين الحاضرين وعند خروجه من قاعة سينما "ميزاب" كان محاطاً ببعض المجاهدين وهم السادة، الهاشمي الدّارم وجبريط محمد وبن خليفة عمر(بلعجال) وغيرهم.وبعد أن صافحته عرّفته بنفسي فترحّم على والدي وأشاد به واليوم يتنكّرلنضاله ويشكّك القارئ في انتمائه!ومن بين ما قال لي:إني أعرف بيت الحاج محمد،مداخله ومخارجه ثمّ سألني قائلا:أين الحاج محمد فكان ردّي عليه :لقد توفّي منذ حوالي 20 سنةخلت !

ثالثا:ما جعل السيّد جغابة لا يذكر في كتابه ذهابه في25- 7 - 1956إلى حاسي الدّلاّعة لمقابلة المجاهد الشّـيخ سـليمان غزال وكان بصـحبته ثمانية جنود للحصـول على الإمداد بالسّـلاح والذخيرة ثمّ بعثه هذا الأخيرإلى محمد بن عمروسـي امّيزة بوداد ليزوّداه بكلّ ما يحتاجه أم أنّ ذلك الكلام هو من سـقط المتاع؟وقد زوّداه فعلاً بكلّ ما احتاج إليه،وسـيجد القارئ نسـخة من المذكّرة الأصـليّة للمجاهد الشّـيخ سـليمان غزال في الملحق ص64 من مذكّرته- رحمه الله-.

رابعـا: و مـا جـاء ذكـره علـى لسـان المجاهـد مهايـة أحمـد فـي كتابـه "ذكريـات مـن النّضـال والمقاومـة " تـأليف د/ مختارسـويلم حيـث قـال فـي شـأن جمـع المـال: " .. .وهاتـه الأمـوال كـان يـدفع نصـيب منهـا لمحمـد بـن عمروكـان متّفقـا مـع محمـد جغابـة وكـان الغـرض مـن دفـع هـذه الأمـوال لفائدة جبهة التّحريرالوطني "[1]

ألا يكفي أن شـهد له كلّ من سـي امّيزة وسـي الحاج سـلامة وأولادابراهيم أحمد (ابراهيم ذيبة)في شـهادة عضـوية " المجاهد" أم أنّ السيّد جغابة محمد لايثق في أيّ منهم؟

أنقـل لـك أخـي القـارئ،أختي القارئـة نـصّ الوثيقـة التـي رمزها(ز)بالتّصـرّف فـي اللّغـة هـي للشـيخ المجاهـد سـليمان غـزال إمـام أسـبق بحاسـي الدّلاعـة ولايـة الأغـواط مـن المـذكّرة الأصـلية "الحـاج سـليمان غـزال حياتـه وآثـاره ص64ليتبـيّن لـك جليّـاً أنّ السّـيّد جغابـة يعتمـد أسـلوب الإقصـاء ليسـجّل اسـمه فـي التـاريخ علـى أنّـه هوالقائـد العـام للثـورة فـي منطقـة غارايـة وهـو يعلـم أنّ محمـد بـن عمـر مناضـل مخلـص للثّـورة وأنّـه سيّاسـيّ بامتيـاز منضـويّاً تحت تنظيم جبهة التّحريرالوطني على الرغم من أنف سيّادته.

[1]– ذكريات من النضال و المقاومة المجاهد أحمد مهاية -ص313-

-شهادة الشيخ المجاهد الإمام سليمان غزال:

استقبال الأخ سي محمّد جغابة مع جماعة من قيّادة سي الحوّاس-فوج الصّحراء-الى منظّم اللّجان بالصّحراء-الأخ/ غزال سليمان بتاريخ25 جويلية1956نزل عند بوداود سي امّيزة بغرداية المكلّف نائب غزال سليمان لمراقبة اللّجان و تخبئة اللّباس العسكري والسّلاح وقبض الرّسائل والجنود من ناحية بوشريط وعبد الرّحمان بن الهادي وسي زيّان والحوّاس،فقدم سي محمّد جغابة برسالة (أي حمل معه رسالة)وثمانية جنود فبعث لي(فطلب منّي القدوم)إلى ناحية الدّلاّعة وقبضت الرّسالة منه،مضمونها لنمكّن له نصيب سلاح ولباس(أي لنسلّمه قدرا من السّلاح واللّباس لأنّ جيش التّحرير في احتياج لذلك وعليكم بالعمل والإجتهاد، فقمت بواجبي وقدّمت له مسؤولا بغرداية(أي قدّم له مسؤولين)سي محمّد بن عمروسي اميزة ليمكّنوا له ما يحتاج (أي ليمكّنا له ما يحتاج)...إلخ- ستجد نسخة من الأصلية في الملحق-.

وللقارئ(ة) الحقّ في الحكم لمحمد بن عمرأوعليه ،ذلك الرّجل الّذي نذر حياته في خدمة الدّين والوطن والأمّة الإسلامية .

لكن ليس عجباً أن يطعن في محمد بن عمربعد أن طعن في رموز النّضال والعلم والجهاد في زمننا هذا كالطّعن في الشّيخ عبد الحميد بن باديس وفي الأميرعبد القادروغيرهما كثير. ..وعلى السّيّد جغابة محمّد أن يتحمّل وزرما قاله في شأن جهاد محمد بن عمروالتّشكيك فيه

-تعقيب على صاحب كتاب "الحركة الوطنيّة والثورة التحريرية بناحية غارداية إداريّا وتنظيميّا"

-المعقّب عليه السّيّد عبد الحميد مسعود بن ولهة:

لا يزال الإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمربوحميدة في مرمى سهام بعض أصحاب الأقلام الّتي سخّروها لإصابة المناضلين النّزهاء من أمثاله -رحمه الله- فكلّ يحاول إصابته في مقتله بعد نيّف ونصف قرن عن وفاته شهيد الواجب - طيّب الله ثراه- وما يؤسف له أن يكون أصحاب هذه الأقلام من الأسرة الثّوّرية،من أبنائها وأحفادها ومجاهديها من أمثال

السّيّد جغابة محمد الرّجل القيّادي أثناء ثورة التّحريروالسّيّد عبد الحميد مسعود بن ولهة،وكان أولى بهما أن يعملا بقول رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-"اذكروا محاسن موتاكم" وقال -صلّى الله عليه وسلّم-في معرض النهي :"لحم العلماء مسموم".

لم أكن أفكّرفي يوم ما أن أكتب مذكّرة الوالد -رحمه الله -لأنّه كان مستغنيّاً عن الظّهورفي حياته وكان عمله الثّوري جهاداً في سبيل الله ولم يكن يبتغي به سوى وجه الله وكان يرنوويتشوّف إلى يوم الإسقلال .

قال لي أحد محبّيه السّيّد ظاهر بوحجّة بن بوبكروهو من المتيّمين به من مواليد الثّلاثينات من القرن العشرين: في سنة 1956/1955 كنت من بين مجموعة من العمّال يعملون في أشغال بناء منزل سي محمد بن عمر في حيّ العين وبينما كنّا نتناول فطورالضّحى قال لنا -رحمه الله- "اسمعوا منّي هذا الكلام يا أبنائي "إنّ الجهاد قد أعلن وأنّ الإستقلال يطرق الباب-فطرق على المائدة بيده-ولاجهاد بعد الإستقلال فبادروا بالمشاركة وإلاّ فاتكم الأوان وحينذاك قد يأتي أناس يدّعون الجهاد،لاحظّ لهم فيه، فالبدار،البدار"اهـ.

إذاً،لم يكن له - رحمه الله- طموح سوى الإستقلال وإلاّ كتبها (المذكّرة) بنفسه وهوقادرعلى ذلك وله من الكفاءة والجرأة والمادّة الادبيّة ما يؤهّله لذلك ولكان أفادنا بكثيرممّا غاب عنّا ولولا التّهجّمات على شخصه- رحمه الله-ما كنت لأقدم أنا ابنه الأكبرعلى تدوين هذه الإضبارة وإلحاح الكثيرمن المجاهدين عليّ ،ذلك لكونهم رفاقه الأوفياء-رحمه الله- وتشجيعي من بعض المثقّفين الغيورين على شخصه ولولم يعاصروه كما أسلفت،لكن الزّخم الذي أثيرحول شخصه كإمام وداعية مصلح ومناضل بارزفي الحركة الوطنية ومجاهد قيّاديّ في جبهة التّحريرالوطني منذ اندلاع الثّورة المباركة إلى نهايتها ،ما جعلهم يتعطّشون لمعرفة المزيد من الحقائق عنه والكشف عن تلك المغالطات التي أراد أصحابها النّيل من كرامة الرّجل البريئ ، الجريئ و العصيّ على كلّ من تسوّل له نفسه المساس والنّيل من كرامته حيّاً كان أم ميّتاً.

كلّ هذا جعلني أستنفرقوّاي للذّبّ عن شرفه،ردّاً على أصحاب الأراجيف أولئك الذّين يصـطادون في الماء العكرلكن،بالأدلّة القطعيّة اسـتناداً إلى مراجع ذوي أقلام ســيّالة نزيهة، من المجاهدين الأوفياءأو من الكتّاب الأمناء بدون شطط ولا موارية ولا تزكيّة حتّى .

وفي سيّاق الدّفاع عن شرف الوالدعنّ لي أن أعقّب على صاحب كتاب" الحركة الوطنيّة والثّورة التّحريريّة بناحية غارداية إداريّاً وتنظيميّاً "الجزء (1) كما عقّبت على السّــيّد جغابة محمد، وممّا لا شــكّ فيه أنّ السيّد عبد الحميد مسعود بن ولهة قد أنصف الإمام المناضل والمجاهد محمد بن عمربوحميدة في ما يتعلّق بنضــاله وجهاده على عكس ما جاء في كتاب السّــيّد القيّادي جغابة محمد الّذي اشــططّ في حكمه عليه وتنكّرلانتمائه لجبهة التّحريرالوطني فكان تعقيبي عليه بالأدلّة الّتي تجعله في موقف حرج، أمّا السّيّد عبد الحميد مسعود بن ولهة فقد خاض في منحى لا علاقة له بعنوات الكتاب عندما تطرّق للحديث عن شخص الإمام محمد بن عمر. فأنا أقدّر موقفه على أنّه كان مشــحونا بتأثيرالعاطفة عليه - وللأســف- حينما كان يؤلّف هذا الجزء،لم يتمالك نفســه وهوبصــدد الحديث عن المؤسّسة الدّينيّة الّتي أقحمها في مؤلّفه وكذلك قضيّة سحب محمد بن عمروثيقة التكليف عنوة من مسعود بن ولهة وعليه أراني مضطرّاً للتّعقيب عليه بما يليق .

وأرجوأن يتّسع صــدرسـيّادته على أن أتطرّق إلى موضــوع قضــيّة معارضة الإمام محمد بن عمرلبناء تلك المؤسّسة الّتي نعتبرها من حيث المبدأ بيتا من بيوت الله وليســت بيتا من بيوت قبيلة ما ولا تجوز إطلاقا نسبة مسجد إلى غيرالله بدليل قوله تعالى"...وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا"الآية18 سورة الجنّ.

-قضيّة معارضته بناء مسجد وإصدارفتوى حسب زعم الكاتب:

لقد جاء في مؤلّفه:"أصـــدرالإمام محمد بن عمرفتوى تحرّم الصـــلاة في المسجد الجديد..إلى أن قال،وتشبيه الصّلاة فيه كالصّلاة في المزبلة "[1] كلام خطير يحتاج إلى دليل يبرهن به على صـدق قوله ! وكأنّي به يريد أن يؤلّب على محمد بن عمرمحبيّه ممّن ينتمون إلى قبيلة الكاتب الذين يكنّون للإمام الاحترام ويترحّمون عليه ،علماً أنّهم كان لهم الفضـــل في تســـميّة إحدى مدارس غارداية باســـم الشّـــيخ بوحميدة محمد بن عمر بشارع متليلي في حيّ ثنيّة المخزن،فأعظم بهم من قوم !

-عتاب لابدّ منه

والله لإنّي أتأسّـف أن يصـدرمثل هذا الكلام من لدن شـخص مثقّف بذل جهداً كبيراً في إنجازأجزاء من مؤلّفه المذكور، لكنّ العاطفة غلبت عليه كما قلت فجعلته ينحرف عن الجادّة لا لشيء سوى الإنتقام من محمد بن عمر في شـــأن ســـحب هذاالأخيرورقة التّكليف الّتي أثارحولها زوبعةً ليجعل منها منفذاً يسـوقه إلى قضـيّة المسـجد دون الإسـتعانة بالمنطق السّليم ألاوهوكون محمد بن عمررجل إجماع وثقة هيهات أن يصدرعنه مثل ذاك الكلام ولا يصدّقه إلاّ المؤلّف نفسه أومن أملى عليه من مناوئي الإمام وخصومه الألدّاء ومعارضيه في السّيّاسة .

ولا يمكنه إقناع أبســـط النّاس وهذه القضـــيّة في الحقيقةلامحلّ لها من الإعراب البتّة،في هذا الجزء كمايقال وكما أشرت!!لكنّي ألتمس له عذراً لكونـه لم يلتزم الحيّاد ولم يتأسّ بالكاتب المحترف حتّى لا يقع في مثل هذه الورطة مع تحرّي الصّدق وتقصّي الحقيقة ومراعاة مشاعرالقوم بل الأقوام الذين ناصرواالرّجل ولم يتحاش ما قد يترتّب عنها من انعكاسات سلبيّة على مستوى العلاقات البينيّة ذات الوشائج المتينة الطّيّبة منذ أمد بعيد ،بذريعة قول الحقيقة !الاســـيّما عندما يتعلّق الأمربمســـاس كرامة

---

[1]-الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غارداية –عبد الحميد مسعود بن ولهة ص183ج1الهامش.

شخصيّة من الوزن الثقيل المعترف له بالصّدق والتّفاني في جمع الشّمل ووحدة الأمّة الّذي بكاه الجميع فتفطّرت أفئدتهم وأكبادهم لدى سماعهم بالفاجعة الكبرى حين قضى نحبه شهيد الواجب على إثرحادثة المرور.
وحيث لوكان يعلم سيّادته من هو محمد بن عمربوحميدة في ميزان المجتمع المالكي خاصّة لافي ميزانه هو لما خاض في الحديث عنه لاسيّما في قضيّة المسجد والحكم بالإعدام المزعوم بل المفترى،لأنّ نكأ الجراح قد يكون مدعاة لإثارة النّعرات بين الأجيال حتّى بين العائلات فيستغلّها أصحاب الأهواء والأراجيف ومثيروالفتن معتمدين على مؤلّفه كمرجع وبالتّالي يكون وزرذلك على عاتقه.قال تعالى:"ولا تزروازرة وزرأخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ... " الآية18فاطر.

-تفنيد إصدار"فتوى" في قضيّة المسجد:

ولجعل السّادة القرّاء يصدّقون ادّعاءه اعتمد عبارة الحكم الشرعي"فتوى"صدرت من لدن الإمام في الشّأن .

لكنّ سّيادّته لم يخبرالسّادة القرّاءعن الكيفيّة التي تتمّ بها (الفتوى)- علماً أنّه-رحمه الله - لايفتي أبداًفي القضايا المستعصيّة أوالمصيرية التي قد تترتّب عنها مسؤولية شرعيّة وفي هذه الحالة يسند هذه المهمّة إلى الشّيخ الفقيه المالكي الإمام محمد بن الصّالح بوزيدي الإمام الأسبق في المسجد العتيق بحيّ بني مرزوق كما جرت العادة في عدّة قضايا وإذا ما تعذرعليه ذلك لطارئ ما فإنه يلجأ إلى أحد الشّيخين الفقيهين في المذهب المالكي عبد القادرالزّغيدي أو بوعبدلي الحاج الطّيّب الإمام الأسبق للمسجد العتيق بحيّ بني مرزوق وكلّ منهم أكبرمنه سنّاً و أقدرمنه فقهاً وتجدرالإشارة إلى أنه كان يجتمع بهم في الخلوة والجلوة لمناقشة قضايا اجتماعية بما في ذلك الدّينيّة ولابدّ من التّذكيرأنّ مهمّة الإمام محمد بن عمركانت تنحصرفي الدّعوة والإصلاح الإجتماعي و التربووي بما في ذلك مواجهة حملة التّنصيرومعالجة ظاهرة البدع وتحدّي الإدارة

الإستعمارية والتّفاني في جمع الشّمل حرصاً منه على تكوين مجتمع فاضل وأمّا الفتاوى فلا يفتي إلاّ إذا اسفتي في القضايا الصّغرى الّتي لها علاقة بالعبادات أو قضايا الأسرة وإذاأشكل عليه الأمرراجع أحد الشّيوخ المذكورين خاصّة الشّيخ الفقيه محمّد بن الصّالح بوزيدي. وبهذا الحكم الشّرعي"فتوى"إذا ما اعتبرنا - جدلاً-أنّ الإمام محمد بن عمرقد أفتى بعدم صحّة الصّلاة في هذا المسجد - حسب زعم سيّادته - وأنا أحد روّاد المسجد ذي الصّلة منذ كنت بجواره بحيّ العين لمدّة ثلاث عشرة سنة وما فتئت كذلك ، يكون السّيد الكاتب قد وضع تلك اللّجنة التي أشرفت على ذلك المشروع وهولا يدري، محلّ شبهة لاسيّماعندما تصادف هذا المشروع مع انطلاق الثّورة وأنّ الإدارة الفرنسية الإستعمارية وعلى رأسها حاكم الملحق العسكري لاتنسى مشاركة الإخوان الشّعانبة الأحراربقوّة في مظاهرة التّحدّي1952إلى جانب إخوانهم المذابيح لفكّ حجزالإمام محمد بن عمربدليل قول الترجمان :" ليس المذابيح وحدهم مع الإمام حتّى الشّعانبة معه .

حيث أنّ تلك المظاهرة قد لقّنت الإدارة الإستعمارية درساً لن تنساه فأمسى الإمام محمد بن عمرعلى إثرذلك"رمزالوحدة والإصلاح والنّضال والتّحدّي"وغدت جماعة المالكية آنذاك صمّام أمان لإمامهم فلن تتجرّأ الإدارة الإستعمارية على اعتقاله.

وعليه هل ستغضّ الإدارة الإستعمارية الطّرف عن هذا الموقف الوحدوي الجريء؟علماًأنّني أقول هذا بحيّاد كوجهة نظرفي ما يخصّ قضيّة المسجد لأنّي لم أكن شاهداً على العصروأنا -آنذاك - في العقد الأوّل من العمر.

ومن أجل إضفاء طابع المصداقية على الموضوع ذكرشخصين كشاهدين،أحدهما الشّيخ الجليل الأستاذ القديروهوبالشّكرجديرالأخضر الدّهمة الصّديق الحميم لمحمد بن عمروزميله تتلمذا معاً على يد شيخهما محمّد الأخضرفيلالي ولا يزال هذا الرّجل العظيم الشّيخ الدّهمة النّادرمثله يذكره بخيرويشيد به في كثيرمن المناسبات لاسيّما عند

التّعرض لذكرمآثرأعلام ناحية غارداية ومنهم الإمام محمد بن عمر صاحب المآثرالمحمودة وبماقدّموه من أعمال ودورهم الإصلاحي والنّضالي في أوقات عصيبة ولقد أثنى عليه ثناءً يليق بمقامه –رحمه الله- عندما زرته في بيته بمتليلي في 06 /01 /2021 بصحبة كلّ من د. الأستاذ محمد مصطفى زرباني والأستاذ محمد الرّزمة،ولقد كنت أودّ أن أحدّثه في هذا الموضوع لكنّني مع الأسف وجدتّه مصاباً بوعكة صحيّة –زكام حادّ - ما جعلني أترك الموضوع جانباً نظراً لحساسيته مع ضيق الوقت وقد أزف وقت صلاة المغرب وكان الرّجل جدّ منهك بسبب المرض .

علماً أنّ أحد الطلبة الجامعيين من أبناء عشيرة "أولاد بوحميدة "قد حدّثه في الموضوع سلفاً عندما زاره في بيته بمتليلي فردّعليه الشيخ-أطال الله في عمره ونفعنا بعلمه- بكلمات وجيزة قائلاً:"لم أكن حاضراً في ذلك العهد بل كنت في عين بسّام."

وأودّ أن أنّبّه السّيّد الكاتب وليعلم السّادة القرّاء أنّ تصريح هذا الشّابّ الّذي هو من عشيرة أولاد بوحميدةّ صحيح بلا ريب وذلك بناءً على ما جاء في كتاب الشّيخ**"نبذة من حياة الشّيخ الدّهمة الأخضرالجزائري "-** وهو من تأليف بعض طلبة أبناء متليلي الشّعانبة الذّي سلّمني نسخةً منه ساعة زرته حيث جاء في الكتاب–فصل سنوات عين بسّام- ما نصّه :"قضى فيها سبع سنوات تقريباً من 05 جوان لسنة1950إلى أوائل أبريل1957.."[1] راجع الكتاب أدناه.وهل يعقل أن يكون الغائب شاهدا؟!وللعلم أنّ تشييدالمسجد كان سنة1956/1955،إذاً كيف يمكن للشّيخ الفاضل الأخضرالدّهمة أن يكون شاهداً بينما كان متواجداً في عين بسّام طيلة تلك الفطرة ؟ ! إذاً فتصريحه هذا صريح بلا أدنى شكّ يتطابق مع قول ذاك الشّابّ الّذ ي لايعرف عن الشّيخ ولاعن علاقته بعين بسّام شيئاً وهو من مواليد 1990!

[1])- كتاب الشّيخ الدهمة "نبذة من حياة الشّيخ الدّهمة الأخضرالجزائري " –ص32-

أمّا الشّــاهد الثاني فيترك الأمرإلى الله ليقضــي بينه وبين محمد بن عمر علمـا أنّ هـذا الأخيركـان بينـه وبين محمـد بن عمرخلاف ومنـاكفـات سيّاسيّة جعلهما ينفصـلان عن خليّة الشّيخ زيّان عاشور،وأصل القضيّة في الحقيقة خلاف سيّاسيّ محض .

والغريب في الأمرأنّ هذا الشّـــخص قد أبّن محمد بن عمرفي جنازتـه فذكرمآثره ونضاله وجهاده وذكره بخير في مجمل كلمة التّأبين !

ولا يفوتني إلاّ أن أنوّه إلى أنّ إمام مســـجد السّـــيد حمزة بن أبي طالب فضيلة الشّيخ عيسى بلّعور-أطال الله في عمره- قد ذكرالإمام محمد بن عمربخيروأثنى عليـه جزيـل الثّنـاء في إحدى حلقـاتـه وترحّم عليـه في معرض الحديث عن الوحدة و مآلاتها و انعكاســـاتها الإيجابية على المجتمع مذكّراً بمظاهرة 1952كنموذج.

-شاهدعلى العصريبرّئ محمد بن عمرمن الحكم بالإعدام المزعوم:

أمّا قول الكاتب: "حيث وصل الأمربالإمام بوحميدة أن أصدرحكماً في ديسمبر1956بإعدام ستّة مناضلين ناشطين بمسجد حمزة بحي العين انظرالهامش([1]).فهذا لعمري افتراء وبهتان منبعه روح الإنتقام وهذا ما يفنّده قول المجاهدالأستاذالحاج محمد جبريط حيث ينسب محاولة اغتيال أعضاء لجنة تلك المؤسّسة الدينيّة لشخص لا ينتمي إلى تنظيم الشّيخ زيّان الّذي ينتمي إليه محمد بن عمروينسبه بالتالي إلى تنظيم الشّيخ الحوّاس الذي يرأس خلاياه سي محمد جغابة وإليك أخي القارئ أختي القارئة قول الأستاذ المجاهد الشّاهد على العصرالحاج محمد جبريط وهذا ما يغنينا عن الخوض في الحديث ومضيعة الوقت .حيث قال هذا الأخير: مايلي بالنّصّ : "بلقاسم مسعودي ينقلب على عدد من مناضلي فريقه،عنصرمن جماعة الحوّاس يحدث مفاجأة، حين هدّد عشرة من المناضلين بالقتل

[1]-الحركة الوطية و الثورة التحريرية بناحية غارداية إداريا و تنظيميا ص 182 ج 1 ع.م .بن ولهة

وهم ... -وذكرهم بأسمائهم - ...أخبرني بذلك محمد قباني (الطّالب حمّودي) الذي وجد القائمة تحت باب المسجد الّذي يدرّس فيه..."اهـ[1]

علماً أنّ جماعة المسجد أنفسهم ينتمون إلى تنظيم الحوّاس الّذي يشرف عليه سي جغابة محمد إذاً، ما دخل محمد بن عمر بوحميدة في هذه القضية؟ اتق الله أيّها الكاتب الّذي يهرف بمالايعرف!ومن بين هؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام من طرف محمّد بن عمر-حسب زعم الكاتب - ذكرأحبّ أصدقائه ألاوهوالحاج محمّد بن زايط-رحمه الله-الذي عرض عليه صديقه الإمام بواسطة الهاتف من برّاقي أيّام توقيف النارسنة1962شراء فيلاّ كاملة التأثيث وحديقة تابعة لها ومحلّ مخبرللصوّروالمساحة الكلّية تقدربحوالي ألف مترمربع ،ذلك بثمن زهيد حينما علم الإمام أنّ صاحب المحلّ الفرنسي على وشك مغادرة الوطن قسراً نظراً لتفاقم الأوضاع،وضمن له حبيبه محمّد بن عمر ترسيم عقد الملكية على الرغم من الحظرالصادرعن جبهة التحريرالوطني القاضي بمنع شراء ممتلكات الفرنسيين .

وفعلاً قد حضرالحاج محمّد بن زايط لمعاينة العقاروما تبعه ثمّ سوّى عقد البيع بحضورصديقه الوفي محمّد بن عمرولمّا خشي هذاالأخير على الفيلاّ من أن تفّجّرها عصابة oas بدافع الإنتقام أسكننا فيها نحن عائلته لحراستها حتّى يوم الإستقلال.فهل تصدّق زعم عبد الحميد مسعود بن ولهة حين وجّه التهمة إلى الإمام زوراً؟

---

[1])-على مدارج النّضال والثّورة ص 155 أ/المجاهد محمد جبريط

-هل تعلم أخي القارئ أختي القارئة أنّ المكتب الثّاني للمخابرات الإستعمارية كان ضالعاً في تأجيج ذاك الصّراع ؟:

وكأنّي بالسـيّد الكاتب يبرّئ المخابرات الفرنسـيّة في تأجيج الصّـراع في هذه القضيّة المفتعلة ومن بين ما قال الباحث القديرالسيّد د.أ محمّد عبد الحليم بيشي حين قال في الشـأن في كتابه: "وهكذا فإنّ ضـبّاط المكتب الثّاني بملحقة غرداية العسكرية وضـعوا خطّةً تمثّلت نقاطها في ما يلي وذكر منها :" تأجيج الصّـراع بين تنظيمي الحوّاس وزيّان في ما عرف آنذاك بحرب المواقع والمسـاجد... أمّا بالنسبة لتأجيج الصراع بين التنظيمين (الجبهوي والمصالي) -(المصالي سابقا) - فقد تمّ بتصـفيّات مشـبوهة لبعض الأفراد وكذا باسـتغلال قضـيّة المواقع والمسـاجد التي تدخّل فيها سـيّاسـيو التنظيمين وتوصّـلوا إلى اتّفاق سـيّاسـيّ وعسكريّ تفادوا فيه المواجهة "اهـ [1]

وأودّ أن ألفت انتباه السّـيّدالكاتب والسّـادة القرّاءأنّ مهمّة محمّد بن عمرمحدودة صـلاحياتها في التّنظيم الثّوري فهي واضـحة تتمثّل في تنظيم الخلايا والتنسـيق بينها وجمع الإشـتراكات والإشـراف على المدد (العمل اللوجيسـتي) كجمع السّـلاح والذخيرة والألبسـة العسـكريّة وكلّ المسـتلزمات العسـكريةعبرالجنوب من غارداية إلى عين صـالح بقيّادة الشيخ سليمان غزال.وبالرجوع إلى السيّد مسعود بن ولهة ليعلم سيّادته أنّ الأحكام الـتّعزيريّة وتطبيق الحدود كالحكم بالإعدام كانت تسند هذه المهمّة إلى اللّجنة العسـكرية لا لغيرها النّاشـطة في ناحية غارداية المخوّلة من طرف القيّادة الثورية.

والحمدلله-أن تصـالح الطّرفان،وما دخل الكاتب سي عبد الحميد مسعود بن ولهة في هذه القَضيّة إذا كانت المشكلة سيّاسيّةً أصـلاً قد تمّ الفصـل فيها بفضـل حكمة وحنكة الرّجال وماذا جنى السّيّد المعقّب عليه؟ أوليس هذا نكأٌ للجراح؟

---

[1])- تطوّرالثّورة الجزائريّة في ناحية غرداية -د/ محمّد عبدالحليم بيشي ص 157- 158- 159

وجاء في هامش نفس الصـــفحة للدّكتورمحمّدعبد الحليم بيشـــي :"تعود المشـــكلة إلى قضـــيّة الآذان المالكي الذي كان محظوراً بضـــغط من الإباضـية وعندما حاول بعض المالكية من الشّـعانبة إنشـاء مسـجد ثان تدخّل إمام مســجد المذابيح محمّد بن عمر بوحميدة إلى منع المشــروع بحجّة أنّه يضـعّف الجهة المالكيّة أمام الإباضـية...[1] فأين هي**"الفتوى "** يا سي عبد الحميد مسعود بن ولهة ؟

لكنّـه لم يفـت-رحمـه الله-وبهـذاالموقف يكون قدعبّرعن رأيـه المخـالف للمشـروع بدون خلفية كما يعتقد السـيدالمعقّب عليه بدافع ما.وذلك لكون الإمام مسـؤولاً سـيّاسـيّاً ورجل إجماع من طرف جماعة المالكية بدليل قول الكاتب الأستاذ بيشي"تدخّل"...إلى منع المشروع...ولم يقل أفتى .

و بالقيّاس تعود بي الذاكرة إلى سـنوات مضـت حينما عرض عليّ أحد العاملين في مسـجد السّـيّد حمزة بحيّ العين أن أوافقه حين كان يسـعى إلى بناء مسجدعلى سفح الجبل(الكاف) الكائن في مدخل العين -الطّريق المؤدّي إلى شـعبة النّيشـان- فرفضـت قائلاً له :ما الدّاعي إلى ذلك ،ألا يؤثّرهذا في تقليص عدد المصلّين في مسجد السّيّد حمزة ؟

وقبلـه في ســنـة1991عرض عليّ شـــخص،نفس الفكرة وكـان من المنتسبين لجماعة "الدّعوة والتّبليغ" فعارضته بشدّة حينما أراد وجماعته إنشـاء مصـلّى بجوارحيّ المعلّمين فقلت له :أنا أعارض الفكرة وسـأقوم بحملة مضـادّة لأنّ إقامة هذا المصـلّى سـيجعل المصـلّين يعزفون عن مسجد مالك بن أنس فيما كان المسجد –آنذاك- يشكو من قلّة الصّفوف.

فهل هذا الإعتراض ضـــرب من العصـــبية أومن طلب الزّعامة بمكان ؟إذاً،لا ضيرفي أن يعارض شخص فكرةً ما أومشروعاً ما ولكلّ وجهة نظر في إطـاراحترام الرّأي والرّأي الأخرولوكـان هذا محمّد بن عمر بوحميدة. وصـــدق الإمام الشـــافعي حين قال تواضـــعاً :"رأيّ صـــواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصّـواب."و صـدق قول الإمام

---

[1]- تطوّرالثورة الجزائرية في ناحية غرداية – د/محمّدعبد الحليم بيشي ص 158-159 انظرالتهميش

مـالـك بن أنس إمـام دارالهجرة حين قـال: "كلّكم رادّ ومردود عليـه إلاّ صاحب هذاالقبر"إشارة إلى صاحب الرّوضة الشّريفة سيّدنا محمّد-صلّى الله عليه وسلّم-فربّما كانت لــ محمد بن عمروجهة نظرمخالفة لبناء ذاك المسجد من منطلق موقفه المبدئي-وفي سيّاق ظرف خاصّ-الّذي ناضل من أجله ألاوهو قطع الطّريق أمام مسعى ضبّاط الإدارة الإستعمارية الهادف إلى فكّ عرى أواصـــرالإخوة المالكيّة المتمثّلة في المصـــاهرة بينهم والإســـلام والعروبة،وعزل الإمام محمّد بن عمر الّذي ســـفّه أحلامهم بتحدّيه لهم وجمع المالكية تحت سـقف مسـجد واحد لاسـيّما عندما التحموا ورصّـوا الصـفوف في تلك المظاهرة كما سـبق ذكره ولايمكن لإولئك الضباط التغاضي عن هذه الوحدة .

والّذي خفي على السّـيد الكاتب أنّ جلّ الأعضـاء الّذين انتمواإلى اللّجنة المؤسّسـةلذلك المشـروع انتكفوا منهم وانكفؤوا فيما بعد إلى جهة محمّد بن عمربعد أن علمواأنّ قصـــده ســـليم وبقواعلى العهد،وأنّ كثيراًمن أبنـائهم كـانواطلبـة عنـده فـأولاهم عنـايـةورعـايـةكبيرتين (انظرالقـائمـة الإسـميةلأسـماء بعض من درسـواعلى يده)ص23/22من المذكّرة.-لكنّ السـيّد المعقّب عليه لم يهدأ له بال فظلّ ينقّب عن الأسـباب التي تجعله ينتقم لمسـعود بن ولهة ضـدّ محمّد بن عمرلكنّه نسـي أنّ الحقّ يعلوولا يعلا عليه وما هوآت يجلّي هذه الحقيقة.

-الرّد على قصّة سحب ورقة التّكليف :

وأمّا قصّـة سـحب ورقة التّكليف من المرحوم المجاهد مسـعود بن ولهة والّتي أثارت حفيظة السّـيّد الكاتب المعقّب عليه عبد الحميد مسـعود بن ولهـة والتي جعلتـه يتحـامل على الإمـام المجـاهد محمد بن عمرمذكّراً بالحادثة في أكثرمن موضـع والّتي جعل منها موطئ قدم لإثارة قضـيّة المسجد.

فإنّ هذا الأخيركان يجهل أويتجاهل أنّ نظام الثّورة ينبني أساساً على الثّقة والإخلاص وكلمة السّرولا يكون الاتصال من مسؤول إلى آخرإلاّ بواسطة شخص يمثّل همزة وصل بين القيّادات ولا ينبغي لـ محمد بن

عمرأوغيره أن يتجاوزهذا النّظام المحكم نظراً لحساسيته وخطورته فيما كانت المخابرات الإستعمارية تترصّد تحرّكات المناضلين وتنشرعيونها عبرالمدينة وخلال أزقّتها ودروبها بغرض إفشال مخطّطات القيّادة الثورية التي تستهدفها.

والسيّد الأستاذ المجاهد بوداود امّيزة -رحمه الله- يعتبرهمزة وصل بين محمد بن عمروالمجاهد القيّادي السّيّاسي سي غزال سليمان في حاسي الدّلاّعة بناحية الأغواط وهذا الأخيرهوهمزة وصـــل بين القائدالعام العسكري الشّهيد سي زيّان عاشوربجبل لعمور. لكن،السّيّد مسعود بن ولهة لم يحترم هذا النّظام ونظراً لصرامة محمّد بن عمروجدّيته فإنّه من حقّه رفض ذاك التّكليف المشبوه ما لم يحترم السيّد مسعود بن ولهة ذاك النّظام التّسلسلي وإن كان يحمل تكليفاً مختوماً (بختم)القائد سي زيّان حسب زعمه.وما يدريك أنّه من صنع المخابرات الفرنسيّة يسمح له بانتحال صـــفة مســـؤول التنظيم معيّن بدلاً من محمد بن عمرلاختراق الصّفّ؟.

-وانقلب السّحر على السّاحر:

ويكشـــف لنا الأســـتاذ المجاهد محمّد جبريط - بارك الله في عمره- المؤامرة التي حاكها مسعود بن ولهة ضدّ محمد بن عمر.

وسترون كيف ينقلب السّحرعلى السّاحرعندما ذكرلنا قصّة ذهابه نحوالشّيخ بوشريط سنة1956رفقة عبدالقادرالوذان ليشكو له أمره أي ما حدث له بينه وبين الإمام :"... متّهماً الإمام محمّد بن عمربوحميدة بالوقوف وراء ما حدث وطالب بإعدامه، تهم خطيرة تتطلّب حججاً وشهوداً، فرجع إلى غارداية لاستيفاء ذلك،فكان اتّصاله بيّ شخصيّاً وطلب منّي إمضاءً على صدق أقواله، فرفضت وصارحته بتقصيره هو حين تساهل في إعطاء ورقة التّكليف الخاصّة به لغيره بانقلاب الإمام عليه ضدّه فتوجّه إلى محمّد قباني وعيسى عميرفرفضا دعواه أيضاً وكان من السّـــهل عليه في هذه الحالة ضـــمّنا إلى الإمام متّهماً إيّانا بالإنحيازوكتمان الشّهادة ممّا يقتضي القصاص منّا،لكنّه لم يفعل .

لم يتوقّف مسعود بن ولهة عند نصائحنا له بعد ماوجدالكثيرمن المناضلين ممّن لبّى دعوته قبل أن يتوجّه نحو الشّيخ بوشريط من جديد وفي طريقه وجد بعثة أخرى قادمة من عند الشّيخ زيّان قرب حاسي الجدع بالضاية ومن بين أعضائها: عبد الله قباني ومحمّد لعموربقيّادة الطاهرمفتاح وأحمد بابي تحمل تفويضاً للعمل في الجهة.

عرض مسعود بن ولهة التّنازل عن مهمّته لهما شريطة معاقبة الإمام على انقلابه وسلّمهم الملفّ الذي يحمله وبعد الإطّلاع على محتوياته استدعي الإمام إلى الحضورلواحة ضاية بن ضحوة لمحاكمته وبعد مواجهة ساخنة بين الطّرفين تغلّبت أدلّة الإمام الّتي قدّمها على حجج بن ولهة ففكّ القيد عن الأوّل وأثبت على الثّاني...إلخ"اهـ [1] - والآن حصحص الحقّ!-

تعليقاً على ما جاء ذكره عن الصّراع المفتعل والمبالغ فيه والمضخّم في بعض الأحيان، حيث أنّ المشكل كان بين أفراد وليسبين قبيلتين،اختلفوا في وجهة نظرماسواءحدث هذا في أمورتنظيمية أثناءالثّورة أوفي مشكل هيئة أومؤسّسة دينيّة كقضيّة المسجد الّتي أثارحولها السّيّد المعقّب عليه زوبعة بغرض المغالطة والتدليس ليس إلاّ والهدف منها المساس برمزية شخص محمّد بن عمرالّذي ملك قلوب النّاس ونال ثقتهم إلى زمننا هذا خاصّة أبناء الشّعانبة وهوفي ذمّة الله منذ نيّف وخمسين سنة خلت والّذين كرّموه بتسميّة مدرسة باسمه في حيّ ثنّية المخزن"شارع متليلي"نظيرأعماله وعرفاناً لتضحياته الجسام ولكونه رجل إجماع كما جاء ذكره أعلاه.

والحمد لله أنّ مثّقفينا من أبناء وبنات هذا الجيل الجامعي يعرفون كيف يميّزون بين الحقّ والباطل كما يميّزون بين الحلووالمرّوبين النّوروالظّلام ولهم من الحصانة والمناعة العلمية والعقدية وحصافة الرّأي ما يجعلهم في منأى عن الخوض في تلك القضايا التي هي من أخطاء حدثت في

---

[1]- على مدارج النّضال والثور لمؤلّفه أ/ المجاهد محمّد جبريط ص 150/149

سيّاق مرحلة تاريخيّة بين جيل هوليس جيلهم مع احترامهم لجهادهم وتضحياتهم ولا ينصتون ولا يقرؤون لكلّ من هبّ ودبّ وإذا ما قرأوا تبيّنوا.

ولهذا نجدهم محرّرين من تفعيل تلك العصبيّة القبلية الّتي كان للإستعمار وأذنابه يد فيها والتي ناضل محمّد بن عمر بوحميدة من أجل استئصالها كما قال -صلّى الله عليه وسلّم: "دعوها إنّها منتنة" والّتي يتبنّاها البعض في عهدنا هذا - للأسف- لتحقيق مآرب سيّاسيّة أوماديّة أو بغية تصدّرالقوم طلبا للزّعامة،فالإعراض عنها يجعلهم يعتبرونها من الأشياء الّتي ترمى في سلّة المهملات لأنّ نظرتهم استشرافيةوأملهم وطموحهم في بناء مستقبلهم وعليه -يكفينا ما فينا !- ولم يفوّضوا كائناً من كان ليتحدّث باسم قبيلتهم أويعبّرعن رأيهاتصريحاً أوتلميحاً.والحمد لله أنّ وشائج المصاهرة والعلاقات البينية قد توطّدت بين عائلات مختلفة الإنتماء القبلي فصارت مثل علاقة اللّحمة بالسّدى وإنّا لنستبشرخيراً حينما نرى شباب القرن الـــ 21 ينبذون تلك العقلية الجاهلية البالية المقيتة وهذا ما كان محمد بن عمربوحميدة يسعى إليه متحدّيّاً عقلية أولئك الّذ ين نصّبوا أنفسهم عليةً على القوم بمباركة من الإدارة الإستعمارية فيما كان هو شابّاً يافعاً ثائراً،على الرّغم من أنوف المتعصّبين الجهلة في عهد ه،علماً أنّ الشّعوربالإنتماء إلى القوم أو القبيلة فطريّ بدليل قوله تعالى :

" يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكروأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير " الحجرات الآية 13.

فالله نسأل أن يهدي قلوبنا انتصاراً للحقّ ويجمع شملنا ويوحّد كلمتنا، ودامت غارداية موطن أمن وسلام وجعل الله من ساكنيها إخوةً متآلفين وحفظ الجزائروشعبها من كلّ سوء-آمين-

قال الله تعالى:**"وأنّ هذه أمّتكم أمّةً واحدةً وأنا ربّكم فاتّقون"الآية 53** النّور. وهنا ينتهي السّناريوالأوّل وأنتقل بك أخي القارئ أختي القارئة إلى السّناريو الثّاني.

-تعقيب على صاحب كتاب "نبذة من حياة الميزابيين الدّينيّة والسّيّاسية والعلمية من 1505م إلى سنة 1962م.

المعقّب عليه حمّو محمد عيسى النّوري:

لا تزال السّـهام والنّبال السّـامّة تتهاوى على مقتل المناضـل والمجاهد الإمام محمد بن عمربوحميدة بعد أن خلت ستّ وخمسون سنة عن وفاته شهيد الواجب -رحمه الله-.

فبعد المجاهد القيّادي السّـيّد جغابة محمد والسـيّد عبد الحميد مسـعود بن ولهة بن الأسرة الثّورية - مع الأسف الشّديد-هاهوذاآخروأتمنّى أن يكون الأخيريوجّه نبله أوحربته السّـامة القاتلة الأشـدّ فتكاً نحوالمناضـل والمجاهد الأبيّ الشّـريف نسـباً وعملاً-رحمه الله -وطيّب ثراه - جاء دورالكاتب حمّو محمدعيسى النّوري الذي يحقّ فيه قول الرّسول-صلّى الله عليه وسـلّم- "آيات المنافق ثلاث وعدّ منها "إذا حدّث كذب ..." لكنّني أقول ما قاله العوامّ من النّاس :"إذا ذبح البعيركثرسـالخوه".هذا الرّجل الّذي لم يتّق الله في شـخص الإمام المجاهد البطل محمد بن عمربوحميدةالوطنيّ،العروبي،الإسـلامي،البديسـي،بلاأدنى ريب على الرغم من أنوف المرجفين،الّذي كانت له مسـاهمات معتبرة وفعّالة في الحركة الوطنية وأثناء الثّورة التّحريرية فضـلاًعن العمل التّربوي والإصـلاحي والدعوي في مسـجد خالد بن الوليد بحيّ الحفرة بغارداية الذي لا ينكره إلاّ جاحد كنودأوحاقد حسودأوكذّاب أشر.

لقد نذر-رحمه الله- حياته الحافلة بالتضحيّات الجسام من أجل استقلال الجزائروحرّية شعبها، فأبلى بلاءً حسناً، فحسبه ما ذكرته في ما أسلفت عن تلك التّضـحيّات الّتي قدّمها هذا الرّجل العظيم الذي يحقّ فيه قوله تعالى**"ولنبلوّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصّـابرين ونبلوأخباركم"** 32 "محمد"والّذي شـهد له المجاهد الميزابي الحرّالأسـتاذ إبراهيم رمضـان بن صـالح رفيقه في الجهاد ما نالت منه أيدي البطش والتنكيل أثناء الإعتقال بقوله "...فتمكّن العدوّ من التدخّل واعتقال الكثيرمن رؤساء الخلايا الثورية في منطقة غرداية والقرارة فتمّ القبض في شهر

جانفي1957على الشـيخ محمد بن عمربوحميدة الذي لقي أشـدّ العذاب ...."[1] بينما تنكّرله هذا الكاتب الّذي أخذ يصـــفه بالغدروالخيّانة زوراً وبهتاناً،حيث قال في كتابه:"تكوّنت خليّة تلقائية بغرداية في 1956قبل خليّة متليلي تعمل مع ثلاثة جيوش جيش الزيّان وجيش الحوّاس وجيش ابن قهيوة تمثّل القرى بميزاب لها جلسـة عادية في كلّ نصـف شـهرمن أعضـــائها فلان وفلان" - تعليق-.(هذه ليســت خليّة تلقائية بل هي خليّة خالية (إنّها فرية ما في ذلك مرية !)

واصل هذا المفتري قائلاً بلا حياء: "وقد كتب الله (ماعاذالله) أن يحضر إحدى جلســاتها السّـريّة إمام مسـجدالمذابيح محمد بن عمرفكان سـبب انكشـافها وإفشـاء أسرارها فألقي القبض على 28شخصـاً من الميزابيين فعذّب أكثرهم وسجنوا ستّة أشهروحفّت لحاهم فمنهم الشيخ صـالح بابكر وناصـــري علي شـــيخ بلدية غرداية " [2] إنّ هذا الكاتب يعرف كيف يؤلّف السّيناريوهات،لكنّها مفضوحة -سبحان الله!!

-هل كان محمّد بن عمر يملك صلاحية تأميم مساجد الإباضيّة ؟

لم يكتف بهذاالإفتراء بل ذهب إلى أبعد من ذلك في المجلد الثاني من أجـل مغـالطـة الميزابيين وغرس الكراهيـة في قلوبهم ،انظر كتـاب "دورالميزابيين في تاريخ الجزائرقديماً وحديثاً ص39 :"في الإســتقلال قام بدورحسّــاس في محاولة المســاس بمســاجد بني ميزاب فســعى في التّسـلّط عليها وفي تحويل جذري لتسـييرها في طريق مادّي وتجريدها من روحيتها، فذهب إلى الجزائر العاصـــمة لهذا الغرض وعند رجوعه مع المعنيين لتنفيذ الخطّة فهلك في الطريق بسيّارته في حادث فظيع كان عبرة للمعتبرين[3]"- (وهل لهذا الكاتب خلّق التسـامح الإسـلامي؟!)ولنا

---

[1] -ابراهيم رمضان رجل العلم والنّضال -معلّم المجاهدين في سجن بربروس ص 177 لمؤلّفه أ./ مصطفى رمضان

[2]-حمّو محمد عيسى النوري نبذة من حياة الميزابيين ج1ص18ط/1984 دار الكروان بلريس

[3]-حمّو محمّد عيسى النوري "دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا " ص39المجلّد2دار البعث قسنطينة.

في رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-الإسوة الحسنة حين قال :"اذكروا محاسن موتاكم ".

و في عجالة أفنّد ما قاله هذا الأخيرفي شأن قدوم محمد بن عمرإلى غارداية لتأميم أوقاف ومساجد الإباضية: فبأيّ حقّ أن يقوم هذاالأخير بهذه العملية ؟، ألم تكن الدولة موجودة سنة 1965؟ وهل صدرقرار التأميم من الدولة حتّى ينفّذه -رحمه الله-؟وما هي الصلاحيات التي تخوّل له ذلك؟ علماً أنّ وظيفته ما هي إلاّ مفتّش جهويّ للشؤون الدينية والأوقاف إذاً، فالكاتب لا يملك أيّة معلومة حول مهمّة محمد بن عمر ولا القصد من مجيئه ولا مع من هو قادم إلى غارداية لتنفيذ الخطّة كما يزعم وكلّ ما قاله يجانب الحقّ والحقيقة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يأت بدليل واحد يمكن به إقناع القرّاء المزابيين خاصّة بما يدّعي،إن هم تجرّدوا من الذاتية والميول العاطفية.

وبهذا الصّدد هل نفّذ قرارتأميم مساجد الإباضية المزعوم بعد وفاة محمد بن عمر-رحمه الله -؟ أم ألغي؟ وما دوروزيرالشؤون الدينيّة والأوقاف حينذاك ؟وما هوردّ فعل الهيئة الدينيّة الممثّلة في العزّابة وفي شيوخ الإباضيّة -آنذاك- ؟

فالكاتب لم يأت بأيّ دليل يقنع ذوي الألباب من الإباضيّة وغيرهم في هذا الشّأن وما ظنّه إلاّ رجماً بالغيب بدافع عصبيّ وطائفي بحت وأذكّر القارئ الميزابي المغلّط، بقوله عزّوجلّ:**"يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإفتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**...الآية6 الحجرات"وفي الشّأن،من يردالإطّلاع على سبب وفاة الإمام محمد بن عمربوحميدةوهوضمن الوفد الوزاري المتوجّه إلى الأغواط ثمّ إلى غارداية في مهمّةعليه أن يرجع إلى الصّفحةرقم 159من هذه المذكّرة وأقول للقارئ المغلّط: لاتأخذك العزّة بالإثم وكن منصفاً ولا تشطط ولا تخش إلاّ الله ولن يشفع فيك لا محمد حمّو عيسى النّوري ولا غيره ولاعشيرتك ،تلك نصيحتي أسديهاإليك.

لقد أفرغ هذا المفتري كلّ ما في جوفه من غلّ ضدّالإمام المجاهد محمد بن عمربوحميدة لا لشـــيء ســـوى لمغالطة وتضـــليل الميزابيين وإثارة الكراهية بين المتســـاكنين ولاأعتقد أنّ الميزابيين مغفّلون إلى درجة أنّهم يصـــدّقون أراجيف مثل هذا الكاذب وســـواه من المتطرّفين الغلاة الذين لاخيرفي كثيرمن نجواهم.

-هل تصدّق رواية هذا الكاتب حين ادّعى أنّه شهدمعركة شعبة النيشان؟:

أخي القارئ أختي القارئة أنقل لك بتصـــرّف الإدّعاءات الكاذبة التي فاه بها هذا المفتري الذي جعل من نفســـه بطلاً مغواراً في معركة شـــعبة النّيشان بغارداية ليتبيّن لك أنّه يعتمد أسلوب الكذب.

فهل تصدّقه حينما ادّعى أنّه شهد معركة شعبة النيشان بتاريخ17جوان 1960[1] وأنّه كان أحد المقاومين الثمانية أوالتّسعة الّذين واجهوا جيش العدوّ الذي طوّق شعبة النيشان وجبالها ومداخلها ومخارجها بالعديد من العساكروالآليات واستعمل مدافع الهاون وكان عدد القتلى أربعة وثمانين عنصراًمن العدوّ ؟ -لاحظ الكذبة المفضوحة !

تصوّرأنّ ثمانية أو تسعة من المجاهدين مسلّحون ببنادق تقليدية ذات الطلقة الواحدة كانوامحاصرين في منزل المرحوم أولاد ابرهيم العيد الكائن حاليّاً خلف مسجد "مالك بن أنس " ويقع على مسافة مرمى حجرعن المسجد لكن،لم تصبه قذائف الهاون والشاهد أنّه لا يزال على حاله ؟ !ومن بين هؤلاء المقاومين (البطل المغوارالسّيّد المؤلّف) يقضون على ذاك العدد الهائل من جنود العدوّالمدجّجين بأحدث الأسلحة وأمّا الجرحى فقد يفوق عدد القتلى؟ !!

وحسب علمي من مصدرموثوق أنّ من بين هؤلاء المجاهدين مسبّلين لم يكن في حوزتهم سلاح وقيل إنّهم استعملوا قنابل الدخان ليتمكّنوا من الفراروتجدرالإشارة إلى أنّ الشهيد بوجرادة موسى تمّت محاصرته من

1)-حمو محمّد عيسى النّوري – دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما و حديثا – بتصرف – ص 348/347

قبل عناصرالدرك الفرنسيين في الزقاق المؤدّي إلى حمّام زرباني حاليّاً ثمّ حاولوا استدراجه للإستسلام فأ بى، فأطلقواعليه وابلاً من الرصاص فأردوه قتيلاً-رحمه الله-.هذا نقلاً عن رواية من عاصـــرتلك الفترة [2] والتي تؤيّد رواية المجاهد المرحوم غراسـلية أحمد بن السـنوسـي التي سمعتها منه في بداية الثمانينات من القرن الماضي .

ويدّعي هذا (البطل المغوار)أنّه أسـرفي تلك المعركة من طرف الدرك الفرنسي وبينما هوفي غرفة التعذيب كان يسمع لعلعة الرّصاص ودوي مدافع الهاون،لكنّ افتراءه أنسـاه ذكرفقدعينه اليسـرى العوراءأصـلاًفي تلك المعركة برصـاصـة-انظرصـورته في مقدّمة كتابه الج الأوّل فلا أثرللرصاصة اللهمّ إلاّ بياضاً-وقد استفاد منحة عطب قدرها مئة بالمئة ولم يغم عليه بينما أغمي على المجاهد عرابة محمّد على إثرإصـابته برصاصة في ذراعه فسقط منه ملفّ الأسرارفكان سبب النّكبة والبلاء كما ادّعى ودأب على ذلك بنزعة هو يعلمها!-ارجع إلى كتابه-

ويصـدق في هذا البطل المغوارالقول:"وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزال"

وعليه، فهل تصـدّقه في ما أدّعى على الإمام المجاهد محمد بن عمر بوحميدة زورا وبهتانا وعلى غيره من المجاهدين الشـرفاء والطّعن في نضـالهم وجهادهم؟ ولقد جاء في الحديث الشريف :"...وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتّى يكتب عند الله كذّاباً "-رواه مسـلم في الصحيح عن أبي بكربن أبي شيبة عن أبي معاوية وأخرجاه من حديث جريرعن الأعمش .

2)- العهدة على الراوي أولاد عبد الله محمد بن مبارك من مواليد – 1933 – ساكن حي شعبة النيشان – غارداية -

-عـدم ذكرحضـورالمؤلّف فـي معركـة شـعبة النيشـان حسـب تقريرالنـدوة الولائيـة الثالثـة حـول أحـداث الثـورة التحريريـة بولاية غارداية1959 /1962 :

أخي القارئ أختي القارئة أوافيك بفقرة من تقرير الندوة الولائية الثالثة حول أحداث الثورةالتحريريةبولايةغارداية للفترةما بين1959و1962- ص رقم06 منه مصـادق عليه بتاريخ 9أكتوبر1986حيث جاء فيه ما يلي:

"في17جوان1960نشبت معركة في شعبة النيشان المحادية لحيّ العين بغرداية بين المجاهدين بقيّادة إطارات من النّاحية: بوسـماحة علي ،والطّيّب بوخشـبة،وعرابة محمّد،،وموسـى بوجرادة،ورابح لبيض ،وعلي الشـرع،وبغداد الشـرع، وقدّور الداب... ونتج عن هذه المعركة استشـهاد موسى بوجرادة و أسرعرابة محمّد،و بوخشبة الطّيّب،وعلي بوسـماحة،وانسـحب البـاقون.-ولم يـذكرالتقريراسـم البطـل المغوارحمّومحمّد عيسى النوري- (؟!)

-مجاهدوالنّاحية يندّدون بصدوركتاب حمّو محمد عيسى النّوري:

ولعلمـك أخـي القـارئ،أختي القارئـة أنّ هـذا الكاتـب قـد نـدّد بـه مجاهـدو الناحيـة المجتمعـون فـي النّـدوة الولائيـة الثّالثـة المنعقـدة بقاعـة سـينما "ميـزاب" بتـاريخ 9أكتـوبر1986 ص رقـم 04 مـن التقريـر بحضـورأحد قيّـاديّ الثّـورة فـي الناحيـة المرحـوم المجاهـد سـعيد عبادوحيـث جـاء فـي التّنديـد مـا نصّـه مـن التقريـر:"...ومن هنـا فـإنّ تقريرولايـة غردايـة قـد راعـى فـي كـلّ مـا قدّمـه مـن معلومـات الحقيقـة وتبنّاهـا مهمـا كانـت قاسـية ومـرّة غيرمستسـاغة اليـوم وهـذا أفضـل وأنبـل مـن تقـديم عمليـة مزيّفـة لأبنـاء الجزائربنـاة مستقبلها.

وفي هذا المجال لابدّ أن ندّد بما يكتب من تاريخ ثورتنا بأقلام غير نزيهة بغية الحطّ من قيمة تضحيّات الشعب من أجل استرجاع حرّيته واستقلاله مثل ما كتبه الأستاذ حموعيسى عن تاريخ الثورة في المنطقة وهو الكتاب

الذي يرفضه المجاهدون جملةً وتفصيلاً ويعتبرونه وصمة عار،وسبّةً لتاريخ الثّورة في هذه الجهة ".

-أخي القارئ،أختي القارئة،على كلّ من يقرأهذه المذكّرة يجب عليه أن يتفّهم إحساسي وشعوري نحومنافحتي وذبّي عن شرف الوالد محمد بن عمربوحميدة المناضل والمجاهدالمسالم،الشّجاع الّذي لم يعرف عهده خصومات ولا مناكفات بين المتساكنين وأنّ عدوّه الوحيد هوالإستعمار.

ولا أدري ما جعل هؤلاء الكتّاب يتهجّمون عليه إن لم يكن الحسد والعصبية المقيتة وابتغاء الزعامة ؟ولربّما أرادواأن يجعلوا من شخص محمد بن عمرعنصرتشويق لتسويق مؤلّفاتهم،فكلّ من كان له مشكل سيّاسيّ مع محمد بن عمريريدأن يجعل منه شمّاعة لإثارة النّعرات وزرع الكراهية والتشكيك في نضاله وجهاده ليس إلاّ.

-موقف شابّ ميزابيّ مثاليّ يستحقّ الثّناء:

و يحضرني موقف شابّ ميزابيّ ميثاليّ من شباب القرارة التقيته ذات يوم بمقرّبلديّة غارداية سنة2012 قبل الأحداث الأليمة المؤسفة التي كانت لها مقدّمات، منها شحن النفوس بأساليب الكراهية على طريقة هذا الكاتب،ومن شاكله من الذين حلا لهم أن يغرّدواعلى شبكة التواصل الإجتماعي وهم قلّة ،لايعبّرون في الحقيقة حسب وجهة نظري عن الرأي العام الميزابي وذلك بالطّعن في الإمام المجاهد محمد بن عمرعلى طريقة هذا الكاتب فأخذوا يلوكون ويجترّون من تلك البضاعة العفنة بنهم دون أن يميّزوا بين الطيّب والخبيث.

فكنت وذاك الشّاب واقفين أمام أحد شبابيك مصالح الشؤون المدنيّة فبادرني بالقول بعد السّلام :"يا الحاج نحن هنا في وادي ميزا ب نريد أن نتعايش في أمن وسكينة وسلام ووئآم وفي ظلّ الاحترام المتبادل والتّسامح الدّيني واحترام قناعة الآخروتقاسم المنافع ،لكن الذين نغّصوا علينا عيشنا وأقضّوا مضاجعنا وأفسدوا قلوبنا أيّ تسبّبوا في الفتن هم الشّيوخ من الجيل السّابق إلاّ من رحم الله ،والضّحايا هم نحن جيل هذا الزّمان"

فأكبرت في هذا الشّاب الميزابي موقفه وشّجاعته وإخلاصه تجاه سكّان وادي ميزاب مالكيّة وإبّاضيّة وبادلته نفس وجهة النظر وقلت له: لقد أثلجت صدري بهذا الكلام الطّيّب وأنّ كلمتك تكتب بماء الذّهب. حيث قال المولى عزّوجلّ:" **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء توتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون...**"(27/26 إبراهيم).

ذكّرني ذاك الشّاب العفيف الوسيم المثقّف في هذا الكاتب الذي لم يتقّ الله في الإمام محمد بن عمربوحميدة وأقول لمن يقرأ الج 1والج2 لهذا الكاتب: كن مثل ذاك الشّاب الميزابي الذي عرف الحقّ فتبرّأ من أولئك الشيوخ من أمثال هذا الكاتب،الكاذب - بارك الله في أمثال هذاالشّاب- وأعتقد جازماً أنّه يوجد الكثيرمن المثقّفين الميزابيين ممّن يحملون فكرته الوحدويّة شريطة أن يتحرّروا من هيمنة من قد يتبنّون أفكارهذاالكاتب الذي لوّث فكره بالعصبيّة المقيتة وأن يستهجنواويستنكروا بجرآة كلّ محاولة خسيسة تسعي إلى إثارة البلابل والقلاقل وغرس بذور السخائم والإحن في صدورالنّاشئة الأبرياء، مهما كان انتماء ذوي الأقلام المأجورة سواء كانواعرباً أم ميزابيين وعليهم أن يتحرّوا الحقيقة بعد قراءة فاحصة محايدة.

وأشهد أنّي وأنا ابن حيّ الحفرة قد تعايشنا مالكيةً وإباضيةً في أمن وسلام ومودّة ودرسنا جميعاً في مدرسة حيّ الخرّاجة ولم يعتد أحدنا على الآخرولوبرشق هذا ذاك بحصى،هذا بين الصغاروأمّا بين الكبارفكانت العلاقات ووشائج المودّة وحسن الجواروطيدةً وظاهرةً بارزةً كتبادل المنافع والزيّارات حتّى الهدايا في المناسبات وغيرها ولا تستغرب إذا قلت لك بدون تحفّظ :إنّ تلك العلاقات البينيةالمثالية المفعمة بأساليب حسن الجواروالمعاملة قدتعدّ ت إلى الرضاعة المتبادلة من ثديي هاته أوتلك من الطائفتين .وهذا ما يجب أن يقال لهذا الجيل كحقائق وقعت .

وكانت بين الأئمة ورجال الدّين علاقات أوطد ومنهم محمد بن عمر وزملاؤه في المسجد العتيق في أعلى القصرومدرسة الإصلاح الذين كانت تجمعهم المناسبات.وكان-رحمه الله-غالباً ما يحضرالحفلات الّتي يدعى إليها من طرف إدارة مدرسة الإصلاح لاسيّما في ختام السنة الدراسية رفقة طلبته فيلبّي الدّعوة وكانت له مكانة احترام ووقارضمن كوكبة من العلماء والشيوخ الميزابيين الحاضرين آنذاك وتراه يبادلهم التحايا ويقاسمهم أفراحهم وأتراحهم وبالرجوع إلى الأربعينا ت من القرن العشرين يتبيّن لك أنّه كان لمحمّد بن عمرعلاقة وطيدة مع أبرز الشخصيّات الإباضية الممثّلة في الشيخ بيّوض إبراهيم بن عومر وعليه، راجع الفصل الثاني ص34 من هذه المذكّرة تجد قول الكاتب محمّد عليّ دبّوزفي هذاالصدد،واقرأ إن شئت ما قاله المجاهد رفيق محمد بن عمرالأستاذ إبراهيم رمضان -رحمه الله- في شأن الإتّحاد بين الميزابيين والعرب لمواجهة العدوّالصليبي في سيّاق الحديث عن قيّام الثورة.وهذا ما جاء ذكره بقلم ابنه الأستاذ مصطفى رمضان -رحمه الله- نقلاًعن أبيه المجاهد ابراهيم رمضان:"وعندما وصل ابراهيم رمضان إلى غرداية بدأ فكره في جمعية الإصلاح يخطّط للعمل الثوري مع زملائه علي الناصري ومحمد بن عمربوحميدة المدعو (المذبوحي)...اتفقواعلى قضيّة تحريرالبلاد من الإستعمارواتفقواعلى الأهداف والغايات وملخّصها الوحدة بين الميزابيين والعرب لتحقيق مشاركة الأمّة الجزائرية في تقريرمصيرها"([1]).

فلم، لم يقل حمو محمد عيسى النّوري هذا الكلام للميزابيين؟ أم أنّه كان خارج ميدان الثّورة أو بالأحرى كان يغرّد في خليّته التلقائية خارج السّرب مع فلان وفلان كما ادّعى؟

[1]- إبراهيم رمضان رجل العلم والنّضال -معلّم المجاهدين في سجن بربروس ص 173 لمؤلّفه أ/مصطفى رمضان.

وفي معرض الحديث عن النّهي على اتهام الناس بالباطل قال تعالى:
".... ومن يكسب إثما فإنّما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ثمّ يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً"النساء111/110.

وما أنصح به أيّ كاتب،أن يكفّ عن إثارة النّعرات والنّبش في الماضي ذي التاريخ التليد ولوبذريعة قول الحقيقة وهذا درءاً لكلّ مفسدة حتّى لا يستغلّها أصحاب الأهواءوالفتن فيصيبوا بها كرامة الرّجال الصّالحين من العلماء والمجاهدين. قال الله تعالى في محكم تنزيله محذّراً من الوقوع في الفتن :**"واتّقوا فتنةً لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة ،واعلموا أنّ الله شديد العقاب** "الآية 25 من سورة الأنفال.

وقناعتي أنّ تاريخ الثّورة هوحلقة من سلسلة ثورات الشّعب الجزائري عبرالتاريخ وليس من حقّ كائن من كان أن يحتكره لنفسه ولا لقبيلته ولا لعشيرته ولا لطائفته ولا لجهته ولا لزعيم مهما علا شأنه، فالزعيم الوحيد هوالشعب الجزائري باستثناء من خانوا الثورة مهما كان جنسهم وانتماؤهم ولوكانوا من ذوي القربى فأولئك قد رمي بهم في مزبلة التاريخ، ولتكسرأقلام، ولتمزّق أوراق دعاة العصبيّة وليفضح مثيرو الفتن ولتبخس مؤلّفاتهم في سوق البوارومن هؤلاء نبرأ. ولتظلّ غارداية وما حولها من المدن والقرى ومن فيها آمنةً وإنّا لنتطلّع لغد أفضل عندما نرى شباباً يحملون أفكارذاك الشّابّ الميزابي القراري الذي جاء ذكره آنفاً،وبهذا يمكننا تحقيق حلم كلّ من الشيخين الجليلين المجاهدين محمد بن عمربوحميدة وإبراهيم رمضان بن صالح رجلي الإصلاح والوحدة. قال الله تعالى: **"واعتصموابحبل الله جميعاً. ولاتفرّقوا. واذكروا نعمة الله عليكم إذكنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً..... "**

الآية 103 آل عمران

خاتمة

إذا كان لابدّ من حقوق ينبغي على الأجيال المعاصرة والّتي تترى أداؤها وجوباًلأعلام الأمّة وهم من خدموهم وضحّوامن أجلهم ونذروا حياتهم من أجل عزّتهم وكرامتهم وشموخهم أن يذكروا مآثرهم وأن يتأسّوا بهم ويقتفوآثارهم وأن يدينوا لهم بالعرفان والترحّم عليهم ملتمسين لهم العذرإذا ما أخطأوا نظيرتضحياتهم الجسام .

ولله درّالقائل الحكيم:

ألا كلّ من لايقتدي بأئمّة * * * فقسمته ضيزى عن الحقّ خارجة

حيث أنّهم-رحمهم الله - لم يخلّفوا لنا تراثاً مكتوباً على صفحات كتب إلّامانـدرأوفي أورراق غيرمتّسقة على أدراج غيرمنتظمة،معظمها معرّض للتلف،ذلك لأنهم عاشوا الحقبة الإستعمارية المظلمة فلم تتح لهم وسائل ولا فرص تمكّنهم من ذلك نظراً للظروف المعيشية العصيبة التي عاشوها في ظلّ الحرمان والقبضة الحديدية والرّقابة المستمرّة والقوانين الجائرة،ناهيك عن تعقّب الخونة المأجورين لهم ليل،نهارومن هؤلاء الشرفاءعلى سبيل المثال لاالحصرالشيخ محمّدالأخضرفيلالي الذي لا نعرف عن سيرته شيئاً ولم نعثرله إلى الآن على مخطوط وهو رفيق الشيخ العلاّمة محمّد البشيرالإبراهيمي وهومن هو ! في المنفى بآفلووكذلك كان حال الإمام المجاهد محمّد بن عمربوحميدة -رحمه الله وطيّب ثراه- الذي كاد اسمه يمحى من الذاكرة لولاهذه الصفحات.

فمن الخطإ إذاً مقارنة زمننا بزمنهم فشتّان بين هذاوذلك،فأعظم بهم من رجال!فلا تثريب عليهم إذاً،وأنّى لهم ذلك؟فحسبهم أنّهم أحبطوا مخطّطات فرنسا الصليبيّة وجنيرالاتها وعملائها بعد أن تحمّلوا سيّاط جلاّديها والزّجّ بهم في غياهيب السّجون،ونفيهم بعيداً عن الأهل الأخلاّء وفلذات أكبادهم وتصدّوا للمحاولات الفاشلة لرجال الكنيسة الساعية إلى استدراج الأهالي في تقبل النصرانية وتغييرعقيدة التّوحيد بعقيدة التّثليث مستغلّين حالهم المزرية، وكذا سعي ساسة الإدارة الإستعمارية في القضاء على لغة الضاد وذلك بسنّ نصوص قانونية ومحاولة تزييف

تاريخ الأمّة وطمس هويّتها العربيّة الإســـلامية،لولاأن قيّض الله تعالى هؤلاء الرجال الأفذاذ لتحمّل هذه الرسالة وهذا في ظلّ انعدام مؤسّسات نظـامية مســـتقلّـة فكـانواأحقّ بهـا وأهلهـا وكـانوابحقّ رموز الوحـدة والإصـلاح والنضـال والتحدّي،و من بين هؤلاء الرجال الشـرفاء الذين آثروا الحياة الباقية على الحياة الفانية خدمةً للدين والوطن،ألا وهوالإمام المناضـل والمجاهد محمد بن عمربوحميدة الّذي أبلى بلاءً حسـناً فعسـاه أن يكون من أولئك الذين صـــدق فيهم قوله تعالى:**" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظروما بدّلوا تبديلا ".** 23الأحزاب

وعليه،إنّـالنرانـامدينين لهم بتســـجيل البقيّة البـاقية من آثارهم الأدبيـة المكتوبـة بـأقلامهم على أوراق إن وجـدت وتـدوينهـا،والتي قـد تكون طفحت بشـتّى العلوم والمعارف والأفكارالتي قد تكون تضـمّنتها والّتي تعكس نضـالهم المسـتميت وجهادهم ولو في سـطور،هذا لكونها تراث أمّة. علاوة على ذلك ومن أجل أن تحتفظ الذاكرة الجماعية بمآثرهؤلاء الصـــفوة الكرام البررة الـذين جمعوا بين العلم والـدعوة والإصـــلاح التربوي والجهاد ،حريّ بالمهتمّين أن يعكفوا على صـــيّانة هذا الإرث الأدبي والتاريخي ويضطّلعوا بأداء مهمتهم وذلك ببذل قصارى جهودهم في السـعي حثيثاً لإقامة ملتقيات فكرية على مسـتوى الفضـاءات الثقافية كـالجـامعـات والنوادي وإقـامـة معـارض لصـــورهم ومخطوطـاتهم و تخصيص أجنحة لعرض نبذة عن سيرهم الذاتية من أجل إعادة الإعتبار لأشـــخاصـــهم على غرارما يحظى به نجوم الفنّ والريّاضـــة والزعماء السـيّاسـيّون التاريخيون، في حين تنكّربعض زعماء الثورة لمســاهمة هؤلاء الأعلام المنتســبين إلى جمعية العلماء المســلمين الجزائريين في ثورة التحرير-للأسـف-قصـدإقصـائهم تاريخيّاً متجاهلين رسـالة رئيسـها الشـيخ محمّد البشـيرالإبراهيمي بتاريخ 15نوفبر1954يعلن فيها تأييده لاندلاع الثورة ،والرســـالة الثانية التي بعث بها في 19نوفبر1954إلى شيخ الأزهربالقاهرة يحثّه فيهاعلى الإعلان عن قيّام الثورة في الجزائر.

أخي القارئ أختي القارئة،كم كان يحدوني الأمل في إتمام هذه الإضبارة لعلّي من خلالها أكون قد سلّطت الضوء على شخصيّة هذا الإمام الفذّ المناضل والمجاهد محمد بن عمروأبرزت بعض مآثره وآثاره ونضاله ومواقفه في مواجهة وتحدّي قوّى الشّرّوالعدوان مهيكلاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي حركة انتصارالحريّات والديمقراطيّة ثمّ في جبهة التّحريرالوطني،والتعقيب على ذوي الأقلام المأجورة الّذين أرادوا النّيل من كرامته تاركاً لك حقّ النّقد لتبدي رأيك بنزاهة وبلا مواربة ولا شطط ولا إجحاف ولامجاملة حتّى،عملاً بقوله تعالى :

" ... وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذّكرون"من الآية 153آل عمران.

والذي أرجوه، أن أكون قد ساهمت بهذا العمل المتواضع في إثراء المجالات الثقافية والأدبية وأن ينال هذا الكتاب ثقة الباحثين في مادّة التاريخ وثقة مريدي الإمام المجاهد محمّد بن عمربوحميدة والسادة القرّاء وأن يأجرني الله على المجهود الذي بذلته بكلّ صدق وأمانة وليبقى رصيداً للأجيال ومفخرةً للأحفاد.

ولله درّالقائل الحكيم:

وما من كاتب إلاّ سيفتى ويبقي الدهرما كتبت يداه

فلا تكتب بخطّك غير شيء يسرّك في القيّامة أن تراه

والّذي أحمد الله عليه أن وفّقني بعدأن شفيت من عدوى وباء" كوفيد 19أوكورونا"الّذي كنت أحدضحاياه، إذ لولاعناية الله لكنت من الهالكين ولضاعت الفرصة،لكنّني ابتليت بوفاة أمّ أبنائي يوم11جويلية 2020 بسبب الوباء وعلى إثرذلك عقدت العزم على مواصلة الكتابة بعون الله وبتوفيق منه متحدّيّاً الأزمة التي ألمّت بي كماألمّت بكثيرمن النّاس ولازالت كذلك فكانت هذه السّطورمسك الختام ولعلّي أخيي القارئ أختي القارئة قد وفّقت في إنجازهذه المذكّرة وإن لم أوفّ الرّجل حقّه، ولله الحمدوالمنّة.

إشادة وامتنان

لايسعني في معرض الإشادة والإمتنان إلاّ أن أعرب عن خالص إشادتي وامتناني إلى كلّ من د/ زرباني محمّد مصطفى على تقديم هذه المذكّرة وإثرائها ببعض الوثائق والمعلومات التاريخية التي أفادني بها و إلى د/ أحمد أولاد سعيد الذي أفادني هوالآخربملاحظاته القيّمة وعقيلة ابني عبد الحميد المهندسة -هاجرددّوش- التي كان لها الفضل في إعانتي على كتابة هذه المذكّرة على الحاسوب بمعيّة حفيديّ وهما على التوالي الطالبان محمّد وبشرى ولدي ابني عبد القادر.

المؤلّف

La partie de l'image avec l'ID de relation rId41 n'a pas été trouvé dans le fichier.

الملحقات: رجال كانت لهم مآثر

الأستاذ إبراهيم بن زيان بوحميدة

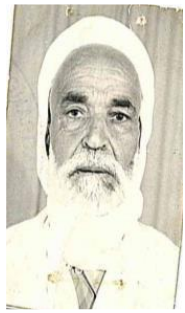

الشيخ إسماعيل بن زيان بوحميدة

الشّيخ الإمام محمد بن عمر بوحميدة

الشيخ محمدالأخضرفيلالي

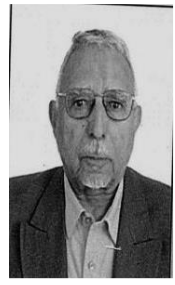

المجاهد محمد جبريط

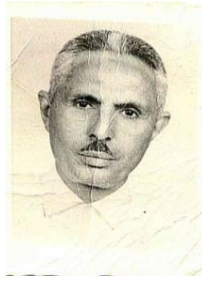

المجاهد اميزة بوداوود

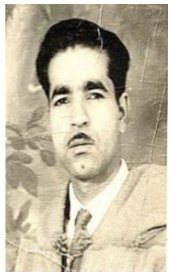

المجاهد مسعود الأخ الأصغر لمحمد بن عمر

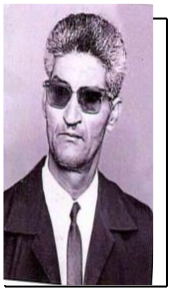

المجاهد العيد أخو محمد بن عمر

الشهيد مسعود شحمة أحد تلامذة محمد بن عمر

الشهيد حوتية الجيلالي رفيق محمد بن عمر

صورة لمحمّد بن عمر(في الوسط) و والده وأحد أصدقائه في أوّل زيّارة وآخرها لغارداية بعد الاستقلال سنة 1963(حي الحفرة).

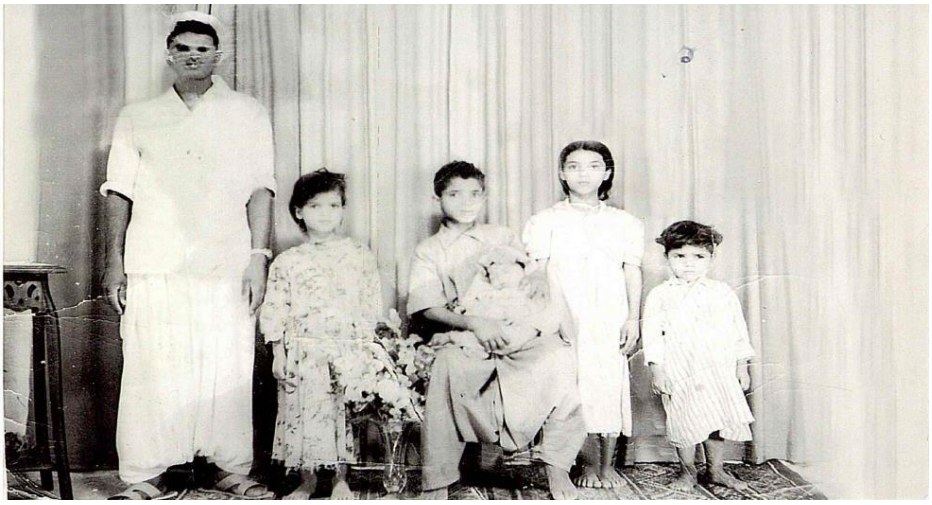

-صورة لأبناء الإمام أثناء تواجده في السجن (عبد الحميد غائب في الصورة)على اليسارالعمّ عيسى بن عمر.

بدون تعليق :لا حظ أرجل أبناء محمّد بن عمر.

04 صورة لجمال الدين بوجميدة-صاحب القميص الأبيض المنيعة1963

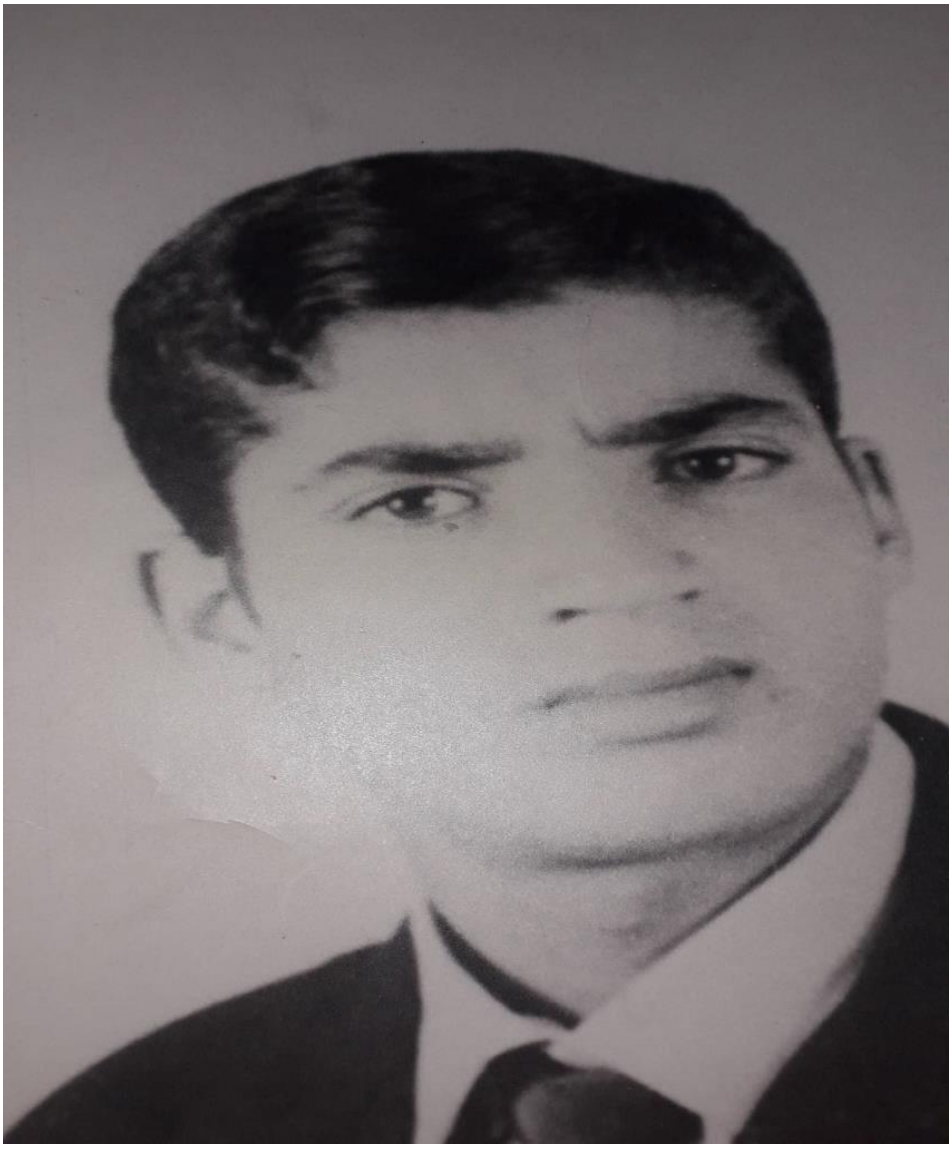

05صورة لجمال الدين بوحميدة -قبل الإستقلال ببرّاقي في ربيع1962

06صورة لجمال الدين بوحميدة وبعض إخوته وإحدى بناته بالبليدة
1969

كلمة تأبين الإما م الفقيه سي زيان بوحميدة جدّ محمّدبن عمرمن جهة الأم إمام أسبق في مسجد خالد بن الوليد بحيّ الحفرة وأحد المدافعين عن قضيّة الآذان المحظورسنة1931 ، من مواليد خلال1870و المتوفّى سنة1939.الكلمة المكتوبة في هذه الوثيقة ألقاها الشيخ الفقيه المالكي الحاج عبد القادرالزغيدي المتوفّى في1973.

تعيين محمد بن عمر ناظرا للشؤون الدينية:

نسخة من قرار تعيين المرحوم الحاج محمد بن عمر
في درجة إمام أول مناظر للأوقاف سنة ١٩٦٤م.

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية والشعبية
وزارة الأوقاف
الديوان

قرار رقم ٦٤/١٤٤/ر د ١

بناء على المرسوم رقم ٦٤-٢٠٠ الصادر بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٤ الذي تم بمقتضاه تعويض حكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية.

وبناء على المرسوم المؤرخ في ٢٧ سنة ١٩٠٧ المتعلق بالأوقاف العامة.

وبناء على القرار الوالي العام رقم ٧٧/١/ر د الصادر بتاريخ ٢٧/١/١٩٤٢.

وبناء على القرارات الصادرة بتاريخ ١٢/١/١٩٣٣ و ١٢/١/١٩٤٥ و ١٣/١/١٩٤٩ و ٤٢٤/١٦٥٠ التي تنص على مبالغ الأجور المؤقتة التي يتقاضاها رجال الدين.

وباقتراح من المدير المركزي لوزارة الأوقاف.

السيد وزير الأوقاف قرر ما يلي:

١) البند الأول - السيد [illegible] بن عمر يتمتع بالمرتب المؤقت المخول لمنصب إمام أول مناظر للأوقاف بالبليدة.

٢) البند الثاني - السيد [illegible] بن عمر يتقاضى ما يعادل الراتب الاستدلالي [illegible] المنصوص عليه في المادة الثالثة من التعليمة الوزارية والمالية والمتضمن المركز [illegible] لوزارة الأوقاف بتطبيق هذا القرار الذي يختبر ساري المفعول ابتداء من تاريخ التحاق المعني بالأمر بمقام وظيفته أي ابتداء من ١ فبراير ١٩٦٤.

حرر بالجزائر في ٢٠ نوفمبر ١٩٦٤

عن الوزير
مدير الديوان

-واجهة مذكرة سليمان غزال:

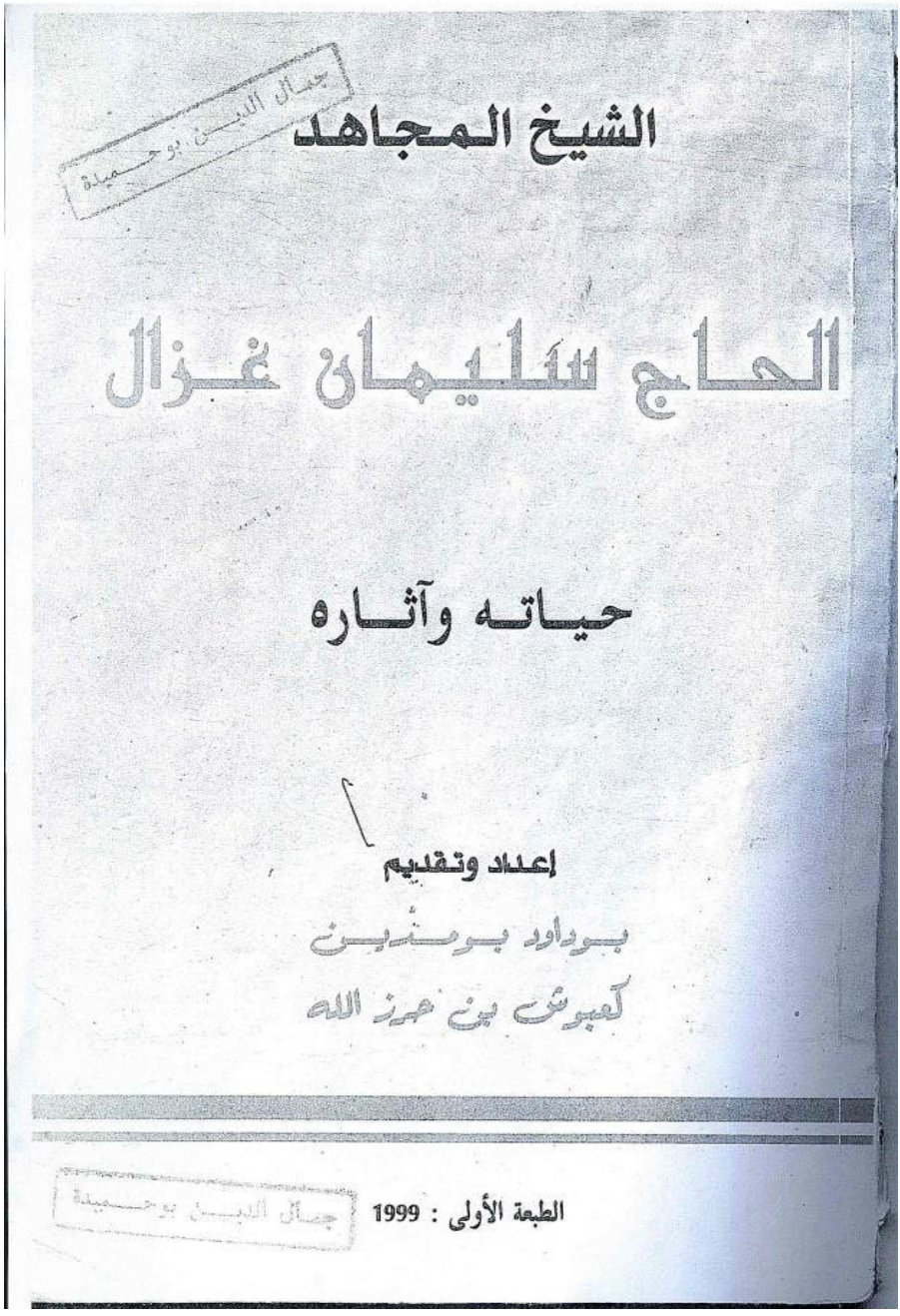

-استقبال الأخ سي محمد جغابة:

❁ الوثيقة – ز – ❁

إستقبال الأخ / سي محمد جغابة

مع جماعة من قيادة سي الحواس

فوج الصحراء

جمال الدين بوحميدة

إلى منظم اللجان بالصحراء

الأخ / غزال سليمان

بتاريخ 25 جويلية 1956 نزل عند بوداود سي أمويزة بغرداية المكلف و نائب غزال سليمان لمراقبة اللجان و تخبئة اللباس العسكري و السلاح و قبض الرسائل و الجنود من ناحية بوشريط و عبد الرحمان بن الهادي وسي زيان و الحواس، فقدم سي محمد اجغابة برسالة و ثمانية جنود فبعث لي إلى ناحية الدلاعة فقدمت إليه و قبضت الرسالة منه مضمونها لنمكن له نصيب سلاح و لباس لأن جيش التحرير في احتياج لذلك، و عليكم بالعمل و الإجتهاد، فقمت بواجبي و قدمت له مسؤولا بغرداية سي محمد بن اعمر و سي أمويز ليمكنوا له ما يحتاج و ذهبت إلى الدلاعة فوجدت رسالة من سي زيان يؤكد علي و يأمرني أن ندفع له ما كان في الدخيرة إلى جنود سي الحواس كلنا في منطقة واحدة، فبعد أيام رجعت إلى غرداية فكان عميله المخلص الوطني سي محمد اجغابة اتصل بجميع اللجان و المدن من عين صالح، المنيعة، متليلي، القرى السبع بغرداية فوزع الجنود على كافة المدن:

- الحاج قنتار ببريان.
- عثمان بالقرارة.

-64 -

• مزيان بمتليلي خارج البلاد لتجنيد الجنود.

بلقاسم و إبراهيم فدائيين بغرداية.

• رابح عصمان مع جنوده و قنتار برفقوه الذخيرة و اللباس العسكري و السلاح إلى سي الحواس.

كان السيد محمد اجغابة هو المسؤول عن أولئك الجنود و تمركز في دار بغرداية د الحاج اعمر بن لعجال و الحاج إبراهيم بوشمة و جعلوا له بطاقة التعريف شعنبي ي رحل متليلي، فعمل عمل المجاهدين الأبطال الذين كافحوا على وطنهم العزيز.

اريخ جانفي1957 كان تفتيش عام قبض على الجان بالقرارة و غرداية فوجدوا انات و خط يدي في اللجان يثبت عملي أنا المسؤول بتلك الصحراء، فقبضت بقي سي محمد اجغابة هو المسؤول بذلك مع جماعته، فرهبوا و عملوا عملا جبارا حونة و المستعمرين حتى إلى سنة 1958 ذهب بجنود إلى الولاية الخامسة لقطع ريق من الولاية السادسة، و انتشروا أصحاب بالونيس مع فرنسا في ذلك الحدود شرقية،و عمله للوطن يشهدوا عليه أصحاب غرداية، متليلي، ولاية الصحراء ان هقار.

-اعضاء خلايا الجنوب:انظر،محمّد بن عمر في السطرالخامس.

المنيعة	الحاج البشير مع 11 عضو
عين صالح	محمد بوراس مع 11 عضو
متليلي	الحاج إبراهيم بوشمة مع جماعة 11 عضو
غرداية الشعانبة	الحاج اعمر بن لعجال مع جماعة 11
غرداية مذابيح	الحاج محمد إمام المسجد و جماعة 11
العطاطشة	الحاج سلامة مع جماعة 11
الشرفة القرارة	الحاج مسعود، الحاج علي اجغابة 10 معهم
حاسي الدلاعة	بن أمويزة الحاج بلخضر مع جماعة 11
أولاد بن شاعة	الحاج عبد القادر بن مهية مع 11
قصر الحيران	بن مهية.قدور و اعمر بن النعيمي مع 10
الأغواط	بن سالم محمد مع جماعة 11
الأرباع	سي محمد التيجاني –الشرقة– 11 عضو
الأرباع	سي بن اعمر التيجاني –الغرابة– 11 عضو
القياد و الخواجات وعرش المعامرة	فرحات محمد بن مبروك 11 عضو
أولاد طعبة بمسعد	بن الرميثة.عبد الباقي مع 11
أولاد يحي بن سالم	سي اعمر بن فتاشة مع 11

62 64 66 69 71 72 73 75 77 88 89 91

جمال الدين بوحميدة

و كل لجنة خدمت و أدت واجبها، فجمعت من المال و السلاح ما وجب عليهم، و كان عملهم بج و اجتهاد، و كل لجنة مكتوب عليهم بقدر إستطاعتهم، و إنني أذكر الجمع ما اتصل بيدي من عين صالح، غرداية، المنيعة، متليلي، القرى السبع:

- السلاح: 800 بندقية (السداسي) من نوع الطليان، 25 بندقية خماسي.

- 20 ناظور (مري) من النوع الرفيع.

-51 -

-قرار النفي:

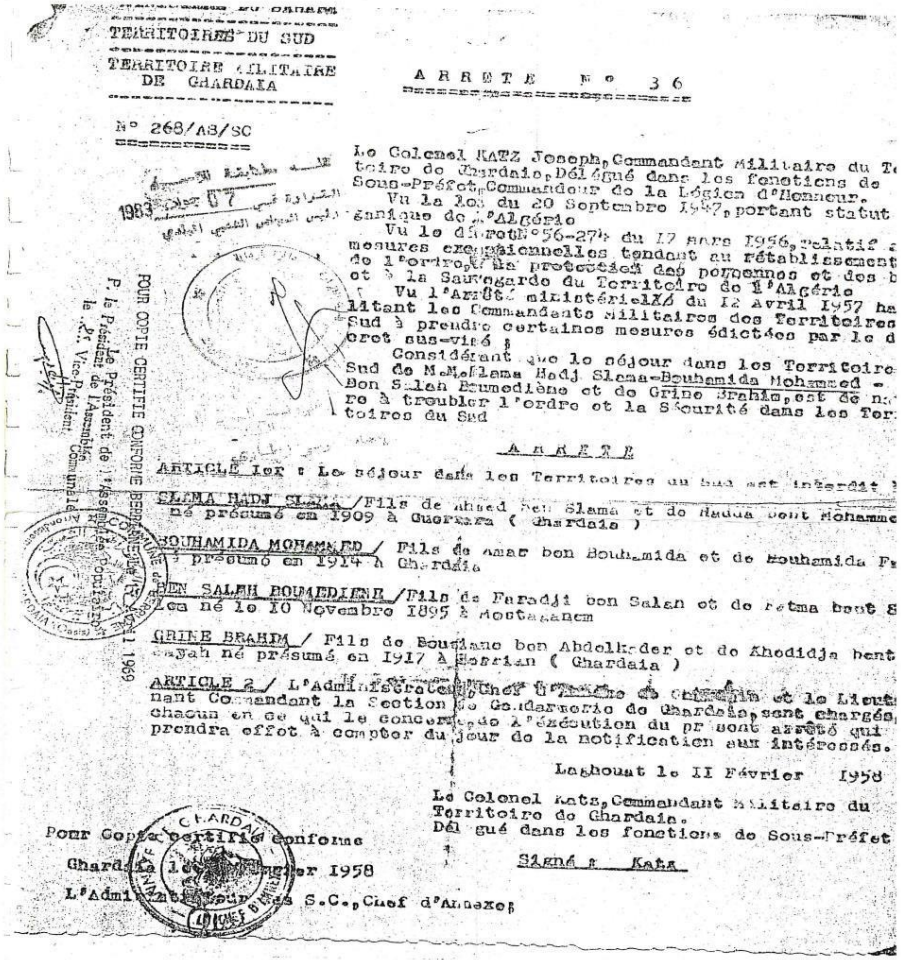

TERRITOIRES DU SUD

TERRITOIRE MILITAIRE
DE GHARDAIA

N° 268/AB/SC

ARRETE N° 36

Le Colonel KATZ Joseph, Commandant Militaire du Te
toire de Ghardaia, Délégué dans les fonctions de
Sous-Préfet, Commandeur de la Légion d'Honneur.
Vu la loi du 20 Septembre 1947, portant statut
ganique de l'Algérie
Vu le décret N°56-274 du 17 mars 1956, relatif
mesures exceptionnelles tendant au rétablissement
de l'ordre, la protection des personnes et des b
et à la Sauvegarde du Territoire de l'Algérie
Vu l'Arrêté ministériel du 12 Avril 1957 ha
litant les Commandants Militaires des Territoires
Sud à prendre certaines mesures édictées par le d
cret sus-visé ;
Considérant que le séjour dans les Territoire
Sud de M.M. Slama Hadj Slama-Bouhamida Mohammed -
Ben Salah Boumediène et de Grine Brahim, est de na
ture à troubler l'ordre et la Sécurité dans les Ter
toires du Sud

ARRETE

ARTICLE 1er : Le séjour dans les Territoires du Sud est interdit
SLAMA HADJ SLAMA / Fils de Ahmed Ben Slama et de Hadda dont Mohamme
né présumé en 1909 à Guerrara (Ghardaia)
BOUHAMIDA MOHAMMED / Fils de Amar ben Bouhamida et de Bouhamida Fa
né présumé en 1914 à Ghardaia
BEN SALEH BOUMEDIENE / Fils de Faradji ben Salah et de Fatma bent S
né le 10 Novembre 1895 à Mostaganem
GRINE BRAHIM / Fils de Boudiane ben Abdelkader et de Khodidja bent
Yah né présumé en 1917 à Berrian (Ghardaia)
ARTICLE 2 / L'Administrateur Chef de Subdivision et le Lieut
nant Commandant la Section de Gendarmerie de Ghardaia, sont chargés,
chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du pr sent arrêté qui
prendra effet à compter du jour de la notification aux intéressés.

Laghouat le 11 Février 1958

Le Colonel Katz, Commandant Militaire du
Territoire de Ghardaia.
Délégué dans les fonctions de Sous-Préfet

Signé : Katz

Pour Copie certifiée conforme
Ghardaia le 14 Février 1958
L'Administrateur Chef des S.C., Chef d'Annexe,

POUR COPIE CERTIFIE CONFORME
P. le Président de l'Assemblée Populaire
le Pt. Vice Président

قرار منع بوحميدة عبد المجيد و جماعة من دخول مدينة تمنراست في 1958/06/21

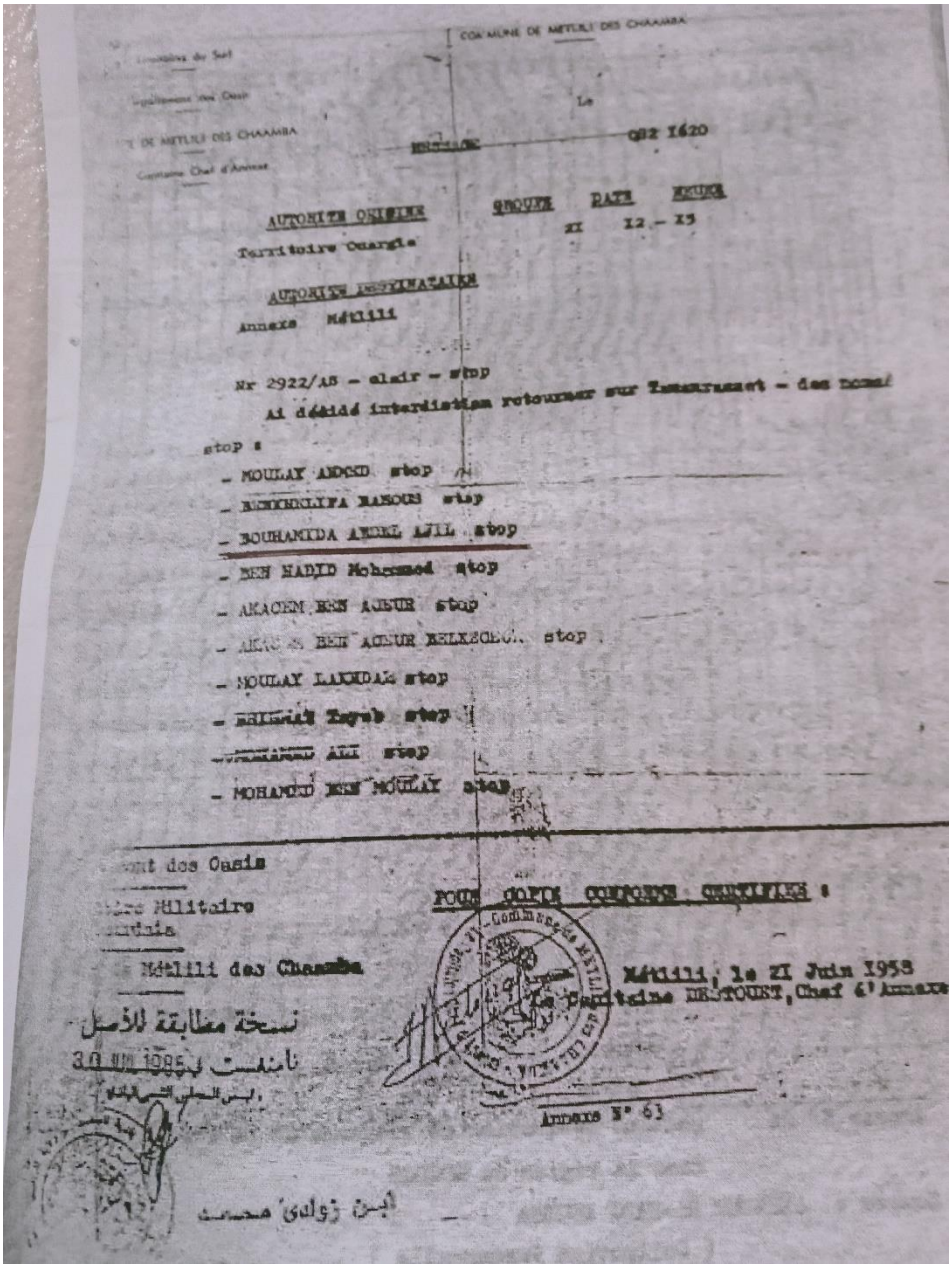

COMMUNE DE METLILI DES CHAAMBA

Le

Métlili 1620

AUTORITE ORIGINE	GROUPE	RANG	ANNEXE
Territoire Ouargla	XI	12 - 13	

AUTORITE DESTINATAIRE

Annexe Métlili

Nr 2922/AS - clair - stop

Ai décidé interdiction retourner sur Tamanrasset - des nomé/

stop :

- MOULAY AHMED stop
- BENKHENCHIRA RAMOUS stop
- BOUHAMIDA ABDEL AZIZ stop
- BEN MADID Mohammed stop
- AKACEM BEN AJEUR stop
- AKA[illegible] BEN AJEUR BELKACEM stop
- MOULAY LAKHDAR stop
- BELHADJ Yaqub stop
- [illegible] ALI stop
- MOHAMED BEN MOULAY stop

[illegible] des Oasis

[illegible] Militaire

[illegible]

Métlili des Chaamba

POUR COPIE CONFORME CERTIFIEE :

Métlili, le XI Juin 1958

Le Capitaine BERTOUNT, Chef d'Annexe

Annexe N° 61

نسخة مطابقة للأصل

تامنغست في 30 JUIN 1985

ابن زوادي محمد

-قرارلجنة الإعتراف بالعضوية:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

لجنة الاعتراف بالعضوية
في جيش التحرير الوطني
والمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني

ولاية الاغواط
دائرة عاردابة

المرجع : القرارات المؤرخة 16 - 17 - 20 اكتوبر 1982 رقم 298/04/03
المنشور الوزاري رقم 701 المؤرخ 17 11 1982

قـــرار اللجنـــة

اعتبارا لقرار لجنة دائرة عاردابة

بتاريخ 1984/07/30

تعلمكم بانه اعترف لكم بالعضوية في

جيش التحرير الوطني

- المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني من 1956 الى 1962 —
السجن من فيفري 1957 الى فيفري 1958 والدائمة من مارس 1958 الى 1962

السيد بوحميدة محمد

تاريخ ومكان الازدياد 1914 بعاردابة

ابن عمر وابن بوحميدة فاطمة

عنوان المستفيد

بوحميدة جمال الدين ابن بوحميدة
محمد بن عمر عاردابة

في

- قائمة أسماء المساجين:

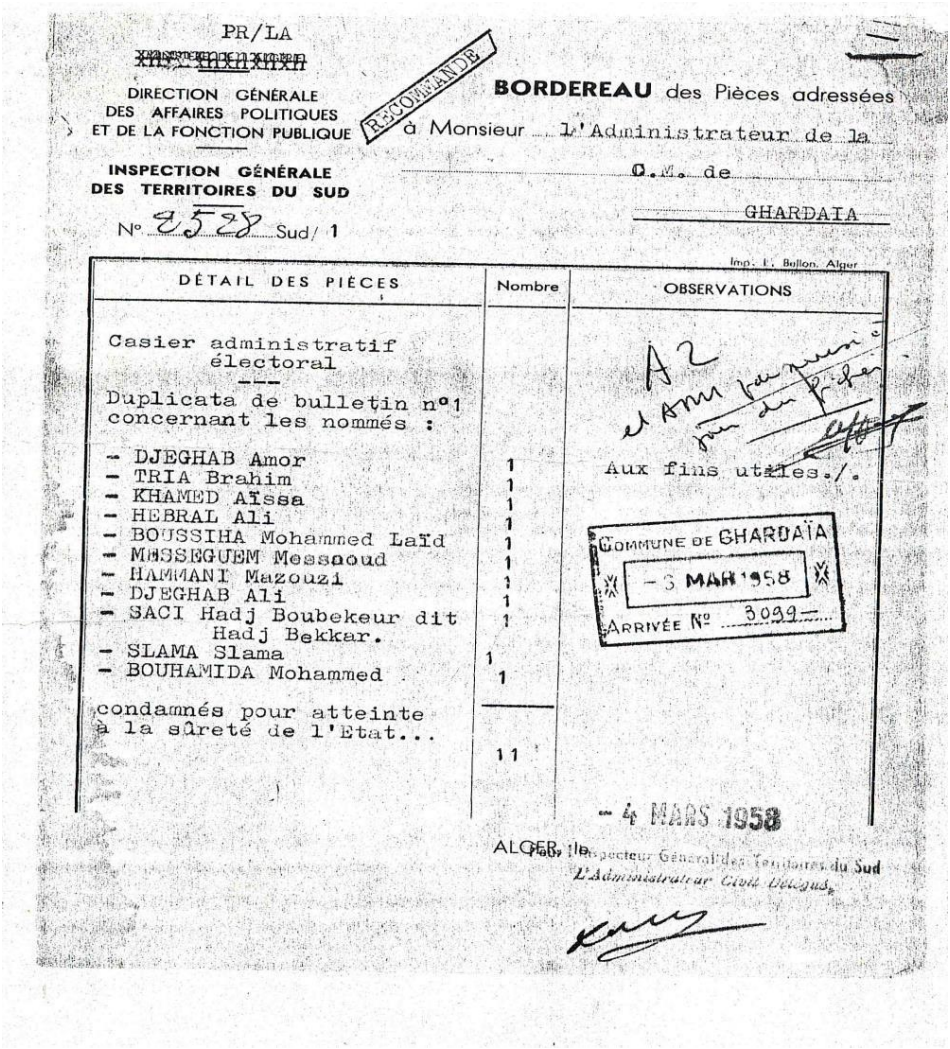

PR/LA

DIRECTION GÉNÉRALE
DES AFFAIRES POLITIQUES
ET DE LA FONCTION PUBLIQUE

INSPECTION GÉNÉRALE
DES TERRITOIRES DU SUD

N° 2528 Sud/ 1

RECOMMANDÉ

BORDEREAU des Pièces adressées

à Monsieur L'Administrateur de la C.M. de GHARDAIA

Imp. I. Bellon, Alger

DÉTAIL DES PIÈCES	Nombre	OBSERVATIONS
Casier administratif électoral --- Duplicata de bulletin n°1 concernant les nommés :		A2 et Ami pour copie conforme pour le Préfet Aux fins utiles./.
- DJEGHAB Amor	1	
- TRIA Brahim	1	
- KHAMED Aïssa	1	
- HEBRAL Ali	1	
- BOUSSIHA Mohammed Laïd	1	
- MESSEGUEM Messaoud	1	
- HAMMANI Mazouzi	1	
- DJEGHAB Ali	1	
- SACI Hadj Boubekeur dit Hadj Bekkar.	1	
- SLAMA Slama	1	
- BOUHAMIDA Mohammed	1	
condamnés pour atteinte à la sûreté de l'Etat...	11	

COMMUNE DE GHARDAÏA
- 3 MAR 1958
ARRIVÉE N° 3099

- 4 MARS 1958

ALGER, le

Pour l'Inspecteur Général des Territoires du Sud
L'Administrateur Civil Délégué

-رسالة محمد بن عمر الى اهل غرداية بخطّ يده :

بسم الله وباسم محمد النبي

وباسم الشعب وباسم الانسانية وباسم الرحمة والعدل والاحسان. ادفع بهذا الخطاب الحزين والنداء الاليم الى الاخوان ابناء الصحراء الكرام الغيارى شهد لهم التاريخ بنعوت الفضائل وخصال المكارم والمحامد اولئك الذين يقرون الضيف ويكرمونه ويطعمون الجائع ويشبعونه ويسقون الحاري ويسعفونه ويواسون الحياة البائسة على انياب العاتية، ويبكون للمصاب ويجمعون بين الاحباب اذ لم ينزغ الشيطان بينهم وعفا لهم المشاكل الصعاب الى هؤلاء الكرام من ابناء العروبة الاباة ابعث اليكم بهذه الكلمات من قلب قريب يرقى بلذة الضنا والاكواخ ايها الاخوان

انتم على علم بما يجري بالعاصمة جو نظرة الدنيا وجمعة الثائرة وهاجم وفوضى التي وقعت على عشرات الالوف يولدكم ويؤلمكم ان يقع عليكم عيشكم وانتم اسمحوا لي ان اقول لكم قبل اذ كنتم تسمح. ان الامر فوق ما تتصورون ان الموت بالرصاص هين وفيه راحة ولذة وان الجرح قد يجد من يعالجه ولكن الموت عن بعد الجوع قاس والبرد لا يحتمل ان الموت في مثل هذا الفصل في عز شتاء باجمعه في غير رفق ولا رحمة واني للانسان ان يحلم من فضله وقد حمت عصابة الشر الوحل وسائل الابادة والهول بعد الفتك بالارواح امحنته في ضلم باحت بهم المنازل وخربت الديار وبالجملة هو المنظر ان يرى الرجل الحر بجنبه الجزائري كان فقد الحر العين والابناء والاهل كاملاك السماء والشيوخ الذين هم كاشجار الوقار امام دبارهم المخربة يجمعون امتعتهم لا يهتدون الى الخلاص سبيلا لا يعرفون اين يتوجهون لان الموت من وراءهم ومن قدامهم وبالجملة عاقبة المشهد ان يرى الجزائري الجزائر مكلوم وحيث ينادي مدحجين في دمائهم يتنون الاناث المذكرة يستغيثون ولا يغاثون ويستجمون ولا يرحمون لم تكتب عصابة الشر بدفنة الاعداء الوحشية

وعمدت الى اخراج الشعب ممنوع حوز تظم الى مخادره ديارهم وقبل
ان يبسوا عليهم جاء غضبهم فخرج اوليك المذكورين من ورده من
ديارهم لوادا ولا يدرون الى اين يتوجهون ولا الى اى ركن يأوون
وعمدت الى قطع اللوق حتى لا يتمكن ابناء الشعب من مزاولة
اعمالهم ليضطروا على لغة الحبش لم يطب خمرة غيظهم من كل
ذلك فبكوا وقد رددوا وكرروا وامروا ارباب المعاشر ان
يعلموا ابناءهم حتى تسعد اولاد الراقى وجوه ابناء
الشعب وحالوا بين العمال بالكمرسى وانزال الشكمات التى توضع
فى رقبات منها الشعب فزوروا لخطتهم الابادية فى هذا البوم المتشمس
يجيش اخوانكم ابناء العروبة الاعزاء ابناء الشهداء وازواجهم ابناء
الشعب الجزائرى ابناء الاسلام الكرام لغة الجو المؤنس يجيش اخوانكم
واخواتكم وتشجعهم لذلك وخدمة للانسانية وقياما بالواجب
الوطنى المقدس وكرامة الجامعة العربية والوطنية وعملا بما يقتضى الشعب
من الكارثة بما اختار والله الوفد ليلتقى بكم ويشرح لكم حالة الشعب
الاليم بكم وسمعوا منهم بيطلبون [illegible]
انكم يحشر ابناء الصحراء عذر الجزر والرحمة والنجدة لانكم ما زلتم
تتحلون وشمائل العرب وتتحلون باخلاقهم فيختاروا وفدهم اليكم
لتشاركوا معنا بالاجراء بحراكيكم وشعائركم ويبرز ذلك بينا
فجوده بتموينكم الكريم من انواع المخابرات من قمح وشعير
وتمر وغير ذلك مما هو ميسور لديكم وتقتنا
فيكم عظيمة ورئيس الوفد السيد جراوى عبد الرحمان
موضح قصة جيش التحرير الوطنى وجبهة التحرير الوطنى
واذا لم تعتمد عليكم فى تيسير مهمته حتى يعود الينا وقد
حمل معه الشعب تلبية الصحراء وكلفه الواجب مقدس
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
اخوكم الذى يحترمكم ويجلكم : بوحديده محمد بن عمر

تقارير أصلية من الأرشيف الفرنسي ، تعقب مناضلي الحركة الوطنية "M.T.L.D" من بينهم محمد بن عمر وشقيقه العيد بوحميدة ولعمى الشيخ في شهر آوت 1946 .

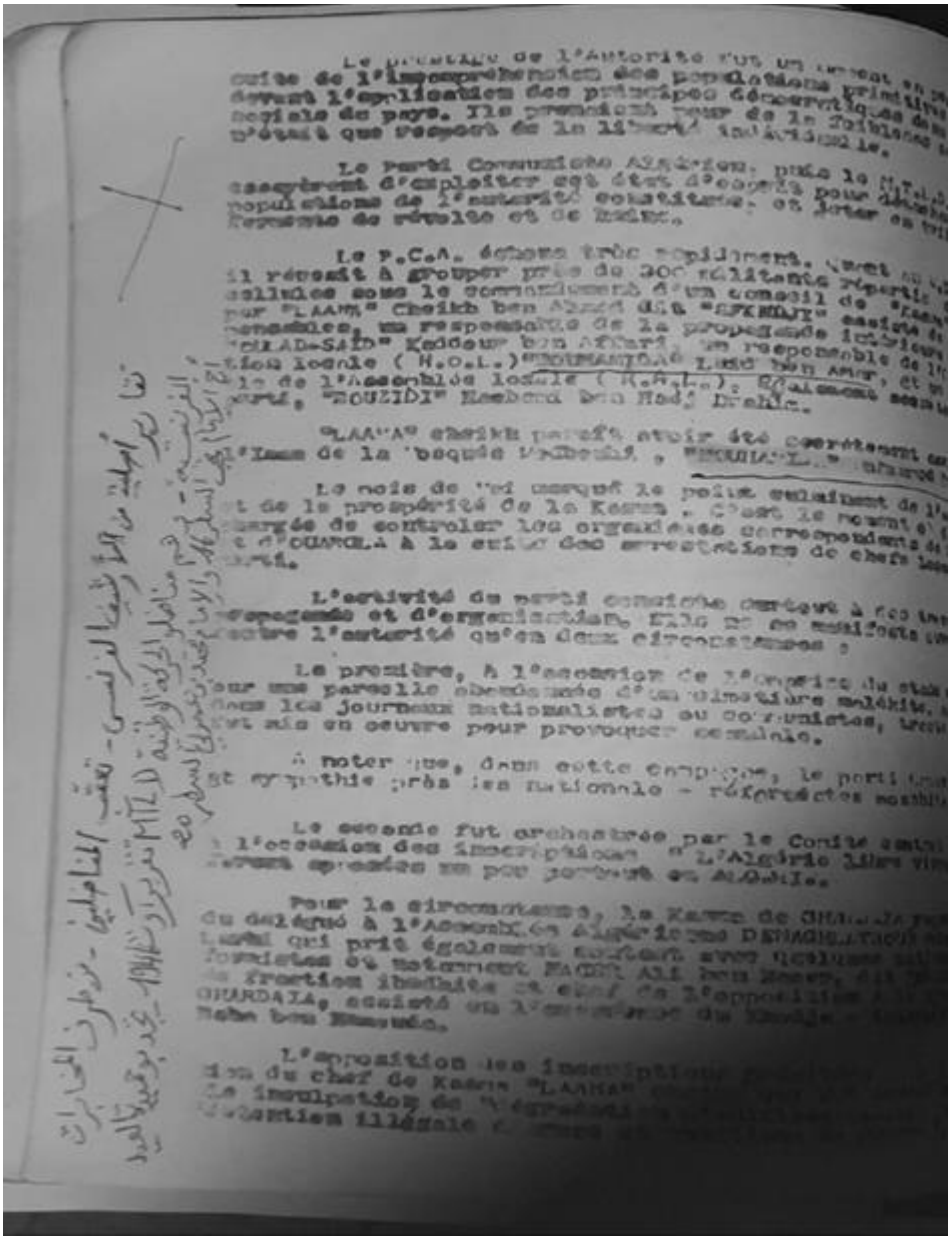

- نسخة من أرشيف مسجد خالد بن الوليد

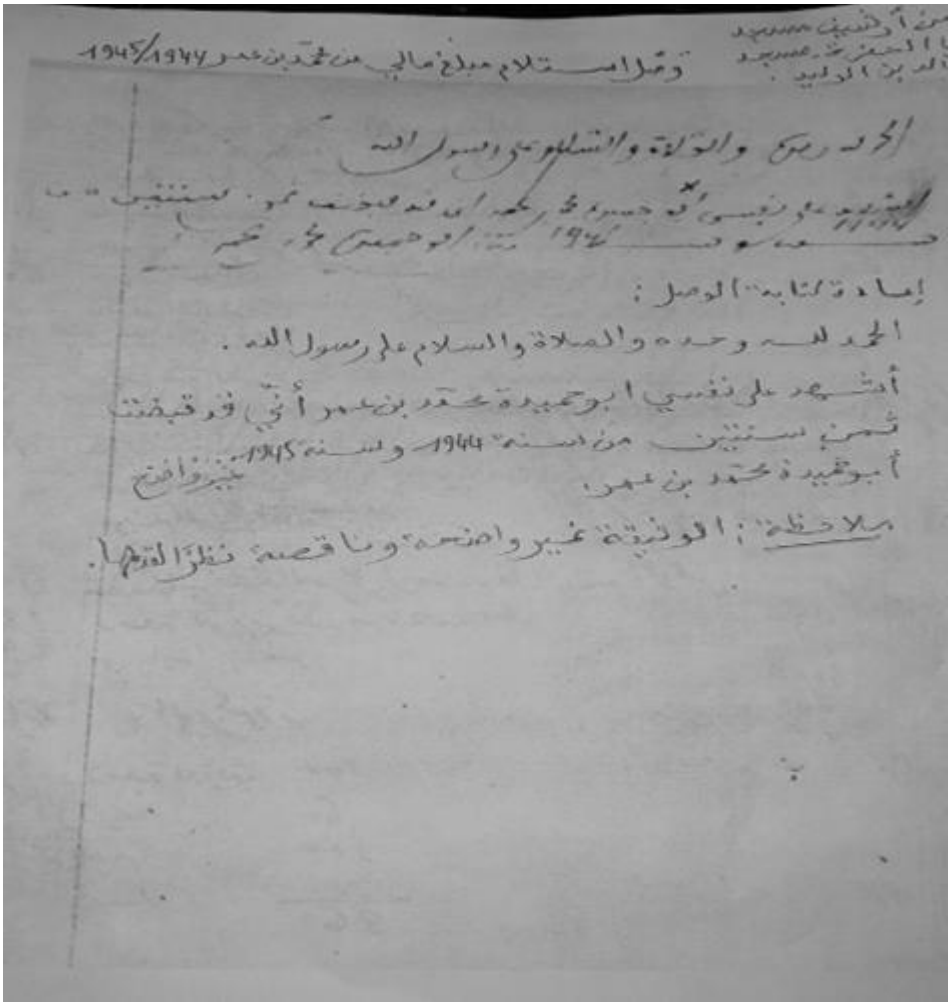

وصل استلام مبلغ مالي من محمد بن عمر 1963/1964

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

[illegible]

إفادة لكتابة الوصل :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله .

أشهد على نفسي ابو حميدة محمد بن عمر أني قد قبضت ثمن سنتين من سنة 1964 وسنة 1965 [illegible] أبو حميدة محمد بن عمر

ملاحظة : الوثيقة غير واضحة وناقصة نظرا لقدمها.

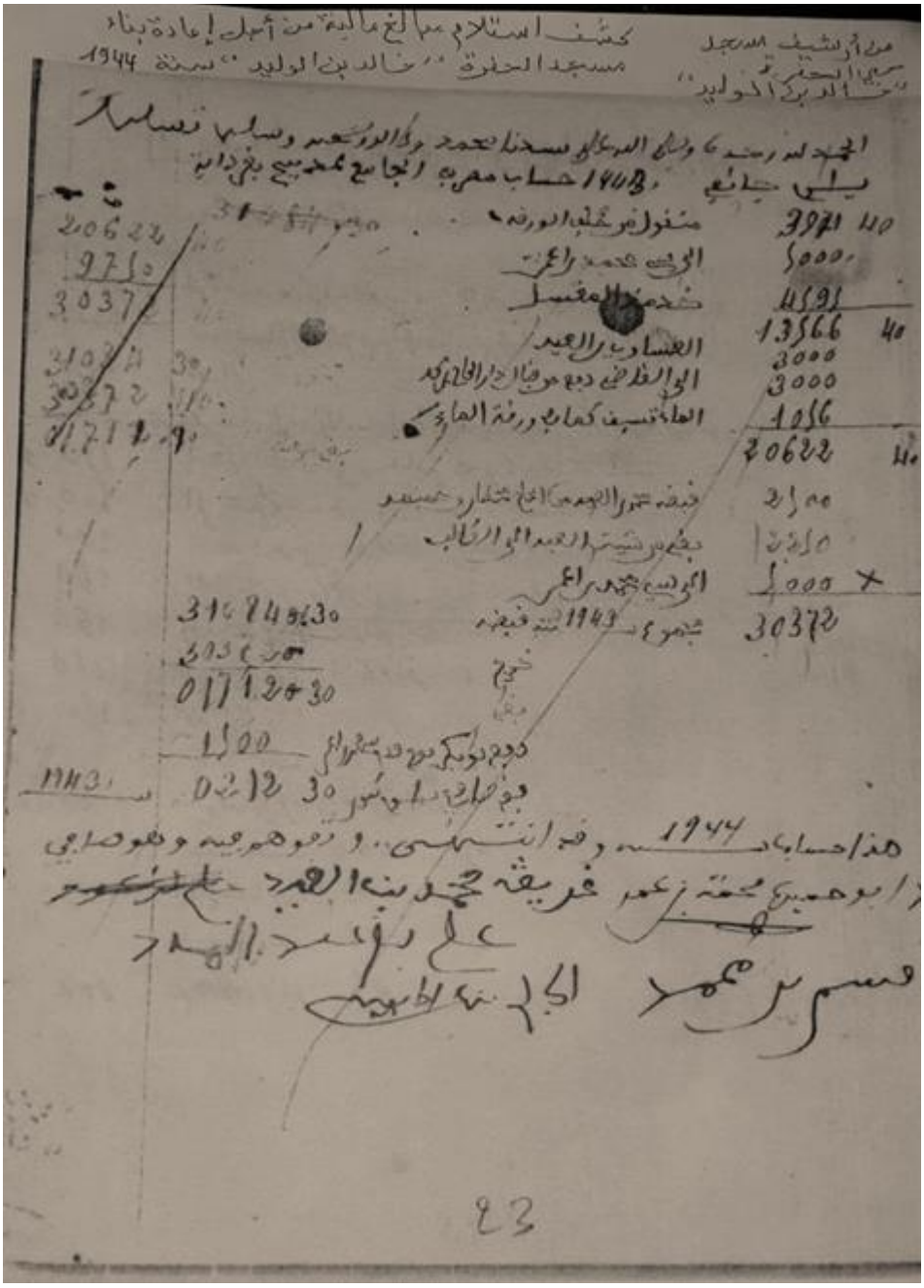

كشف استلام مبالغ مالية من أجل إعادة بناء
مسجد الحفرة "خالد بن الوليد" سنة 1944

من أرشيف المسجد
مسجد الحفرة
"خالد بن الوليد"

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
يلي جانبي حساب مفرزة الجامع المذبح بخزانة

منقول من خلف الورقة	3971	40
الوجيه محمد العمر	5000	
خدمة المغسل	491	
	13566	40
العساف بن العيد	3000	
الوالظ في دفعة من خالد الحامد	3000	
العاني تسليف كتاب ورقة العامري	1056	
	20622	40
قبضة عمر الهدهد من الحاج شنار حسين	2100	
بقية من شيخ العيد الوراثب	1200	
الوجيه محمد بن العمر	1000	X
مجموع سنة 1943 قبضة	30372	

خرج

دفع لوكيل موقوف الوالي
دفع لحارس المسجد 30 02 12

هذا حساب سنة 1944 وقد انتهى. وتقوم عليه وطوصابي
أبو حبيب محمد بن عمر فريقة محمد بن العيد
علي بن سعد الحمد
قسم بن محمد الجابر الطيب

كشف استلام مبالغ مالية من أجل بناءمسجد خالد بن الوليد 1944

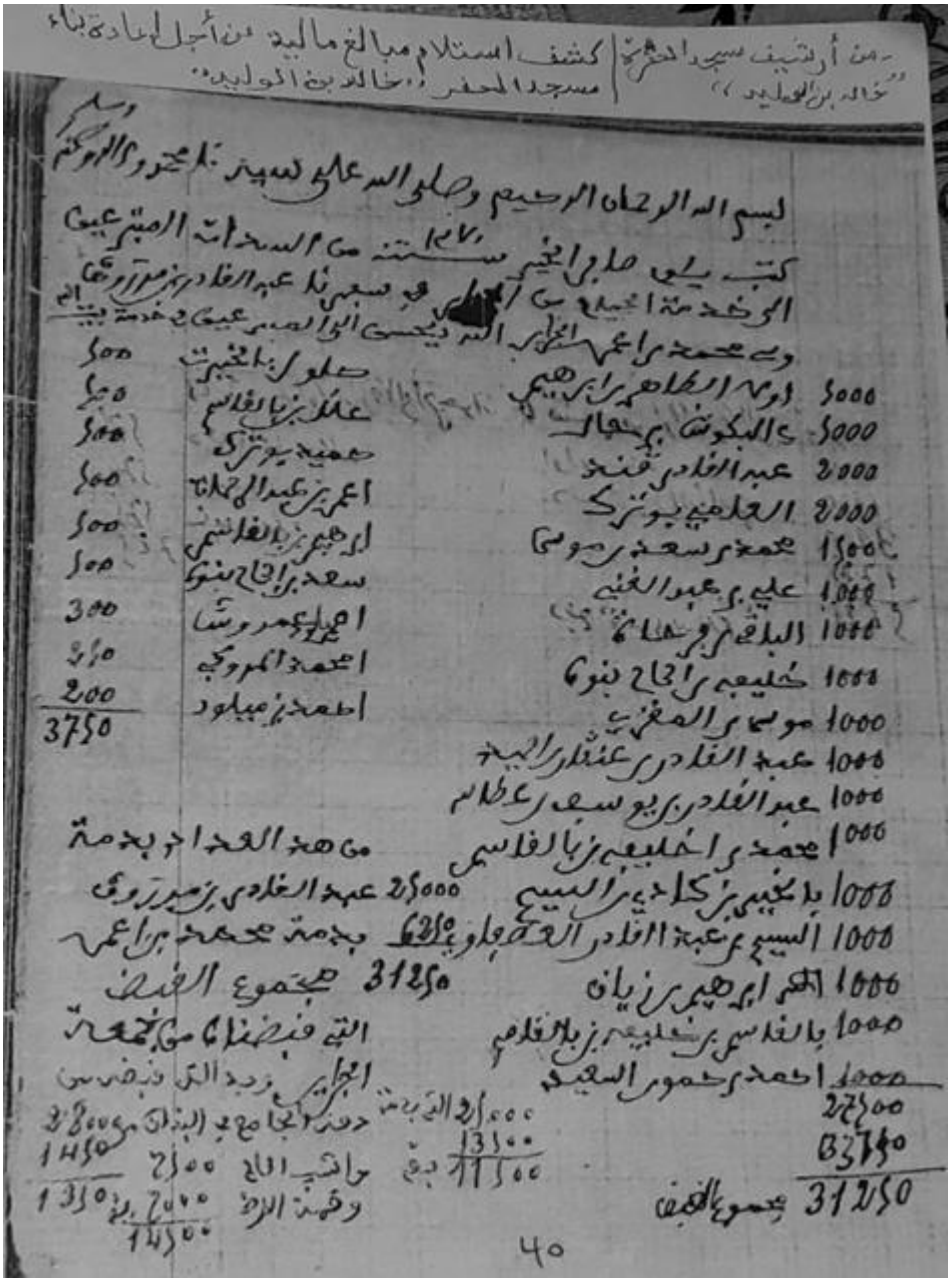

من مكتبة المرحوم محمد بن عمربوحميدة -انظرالختم جانبه-

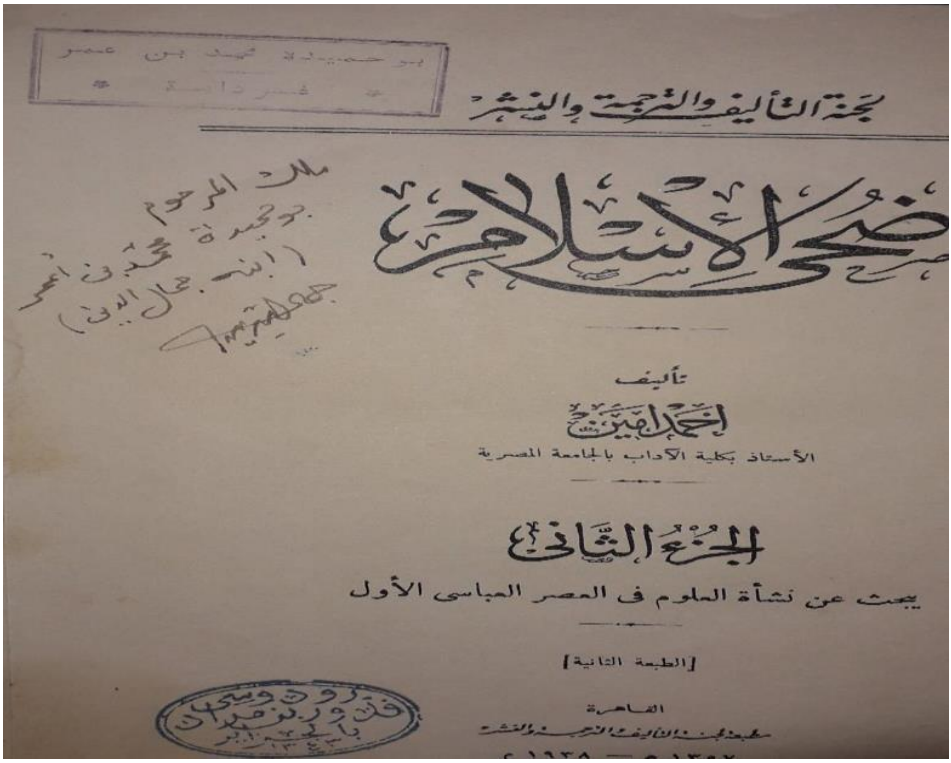

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ضحى الإسلام

تأليف

أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الجزء الثاني

يبحث عن نشأة العلوم في العصر العباسي الأول

[الطبعة الثانية]

القاهرة

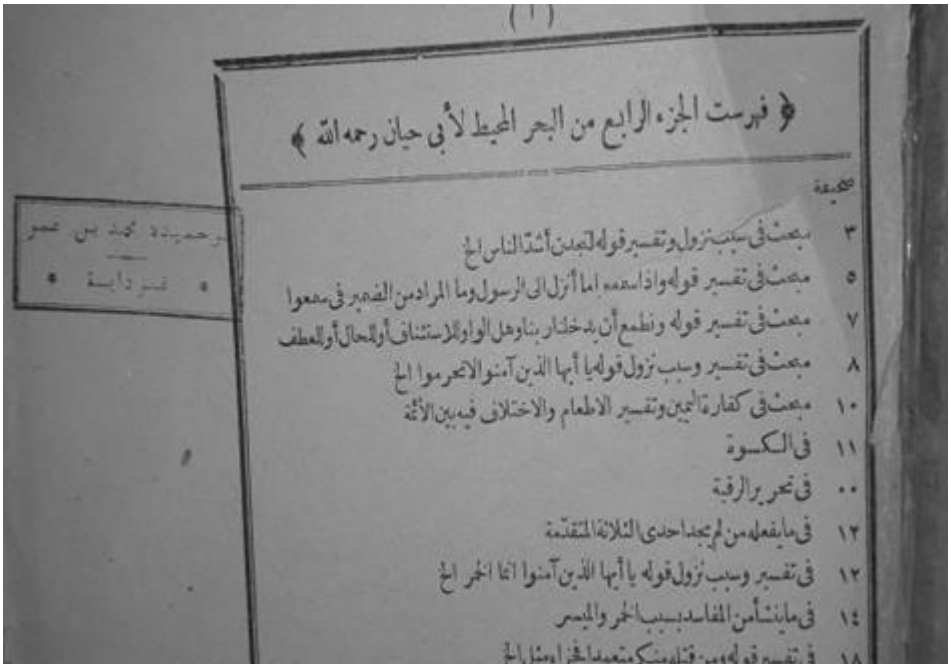

(١)

فهرست الجزء الرابع من البحر المحيط لأبي حيان رحمه الله

الصفحة	
٣	مبحث في سبب نزول وتفسير قوله لتجدن أشد الناس الخ
٥	مبحث في تفسير قوله واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول وما المراد من الضمير في سمعوا
٧	مبحث في تفسير قوله ونطمع أن يدخلنا ربنا وهل الواو للاستئناف أو للحال أو للعطف
٨	مبحث في تفسير وسبب نزول قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا الخ
١٠	مبحث في كفارة اليمين وتفسير الاطعام والاختلاف فيه بين الأئمة
١١	في الكسوة
٠٠	في تحرير الرقبة
١٢	في ما يفعله من لم يجد احدى الثلاثة المتقدمة
١٢	في تفسير وسبب نزول قوله يا أيها الذين آمنوا انما الخمر الخ
١٤	في ما ينشأ من المفاسد بسبب الخمر والميسر
١٨	في تفسير قوله ومن قتله منكم متعمدا الخ وما الخ

قبر الإمام المجاهد محمد بن عمر بوحميدة بالمصلّى العتيق مقبرة أولاد بوحميدة -غارداية-عليه نقش كلمة تأبين للشيخ اميزة بوداوود.

فهرس الكتاب

مقدمة الطبعة الأولى	12
مقدمة الطبعة الثانية	15
الفصل الأول: سيرته الذاتية	17
تعلمه على يد شيخه محمد الأخضر الفلالي	21
دوره التعليمي في مسجد خالدبن الوليد وتعيينه مساعدا للفيلالي مؤقتا	28
قوائم أسماء بعض من درسوا على يده من الذكور	30
تعليم البنات	33
الفصل الثاني: نشاطه الثقافي في مسجد خالد بن الوليد	34
أعماله في النشاط الثقافي والدعوي والإصلاحي في المسجد	37
نشاطات المجموعات الصوتية وفرقة المسرح	38
تحديه الحاكم العسكري وحاشيته أثناء حفل ديني في المسجد	39
الإمام محمد بن عمر يناصر قضية فلسطين وشعبها	41
نشاطه الدعوي والإصلاحي ميدانيا	42
من مآثره إصلاح ذات البين	49
كيفية تعامله مع البدع المنكرة – كنموذج -	52
سعيه في بناء ميضاء ودوره في إعادة بناء مسجد الحي	54
الشروع في بناء الميضاء	55
مراسلته أحد المجندين بالفيتنام ،في الشأن	58
الفصل الثالث: الغاية من تنصير الجزائريين وموقف محمد بن عمر منه	59
الغاية تبرر الوسيلة	61
رئيس كنيسة الآباء البيض يكتم إسلامه	64
انتشار مراكز الآباء البيض في بعض الجهات	65
تعامل الإمام محمد بن عمر مع ظاهرة محاولة التنصير	68
أسلوبه في التعامل مع محاولة التنصير كنموذج	70
الفصل الرابع: دوره النضالي في الحركة الوطنية	74
تجنيد الشباب لكتابة شعارات مطالبة بالحرية	75
حملة اعتقالات شباب الحركة الوطنية MTLD	76
القيام بمظاهرة لفك حجز الإمام محمد بن عمر	77
مجريات حدوث مظاهرة 1952	80

الإمام محمد بن عمر رمز الوحدة و النضال و التحدي فعلا	83
الفصل الخامس: انتماء محمد بن عمر إلى الثورة	85
انخراط محمد بن عمر في الثورة كقيادي	87
انطلاق العمل المسلح في منطقة الجنوب الأوسط	89
انخراطه في تنظيم الشيخ زيان عاشور	93
التأطير العسكري وبعث العمل الفدائي في الناحية	96
الإضراب العام واعتقال محمد بن عمر بوحميدة	99
وصف قيام الإضراب في مدينة غارداية	99
ظروف اعتقال محمد بن عمر حسب شهادة نجله المؤلف	101
تعذيبه وتحديه لجلاديه حسب شاهدي عيان	103
دخوله سجن البليدة وإلقاؤه الدروس في إحدى قاعاته	110
نفي محمد بن عمر على إثر مؤامرة دبرت له	112
الفصل السادس: اختياره مدينة براقي مقرا لمنفاه القسري الدائم	118
الفصل السابع: مواصلته النضال الثوري في الولاية الرابعة	125
قيام مظاهرة 11ديسمبر 1960	130
مجريات احداث مظاهرة 11 ديسمبر في براقي كما عايشتها	131
مجريات احداث 1962	135
مساهمته في مواجهة oas سنة 1962	137
حادثة المرسى ودور محمد بن عمر في علاج الجرحى	140
ارساله رسالة استغاثة من براقي الى اهل غارداية	141
نص رسالة محمد بن عمر الى أهل غارداية	142
الفصل الثامن: كان يوم الاستقلال فتحا مبينا	146
دور محمد بن عمر في الاشراف على تسيير المرحلة الانتقالية	147
مجريات الاحتفال بالاستقلال في العاصمة وضواحيها	148
الفصل التاسع: من مآثره بعد الاستقلال مباشرة – تحويله كنيسة براقي الى مسجد -	150
قصة تحويل الكنيسة الى مسجد عنوة	152
اخر محطة من حياته السياسية	154
الفصل العاشر: تعيينه مفتشا جهويا للشؤون الدينية والأوقاف	155
نعي وفاته عبر وسائل الإعلام الوطنية	159
مجريات جنازة الإمام المناضل و المجاهد محمد بن عمر	160

الفصل الحادي عشر: تعقيبات على الكتاب المفترين - المعقب عليه السيد القيادي جغابة محمد	165
- المعقب عليه السيد عبد الحميد مسعود بن ولهة	169
- المعقب عليه حمو محمد عيسى النوري	184
موقف شاب ميزابي مثالي يستحق الثناء	190
الخاتمة	194
اشادة وامتنان	196
الملحقات / رجال كانت لهم مآثر	199
- صورة لمحمد بن عمرعند زيارته غارداية 1963 - صورة لأبناء الإمام سنة 1957	200
صورة لجمال الدين بوحميدة في مدينة المنيعة سنة 1963	201
صورة لجمال الدين بوحميدة في ربيع 1962	202
صورة لجمال الدين بوحميدة وإخوته بالبليدة سنة 1969	203
تأبين الامام الفقيه سي زيان بوحميدة	204
تعيين محمد بن عمر ناظرا للشؤون الدينية	205
واجهة مذكرة سليمان غزال	206
استقبال الأخ سي محمد جغابة	207
أعضاء خلايا الجنوب	209
قرار النفي	210
قرار منع بوحميدة عبد المجيد وجماعة من دخول مدينة تمنراست في 1958/06/21	211
قرار لجنة الإعتراف بالعضوية	212
قائمة أسماء المساجين	213
رسالة محمد بن عمر الى اهل غارداية	214
تقارير أصلية من الأرشيف الفرنسي	216
نسخة من أرشيف مسجد خالد بن الوليد	217
// // // // // // // //	218
// // // // // // // //	219
من مكتبة المرحوم	220
قبر المرحوم محمد بن عمر بوحميدة	221

جمال الدين بن محمّد بن عمر بوحميدة

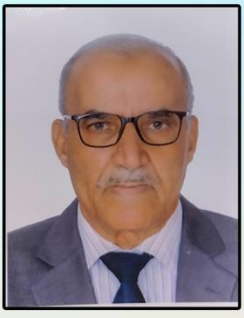

- من مواليد 1946 غارداية, تربّى وترعرع في أحضان أسرة محافظة لها باع في خدمة المسجد وفي التعليم القرآني واللغوي أباً عن جدّ .
- تلقّى تعلّمه في كتّاب معلّم الأجيال خال والده إسماعيل بن زيّان بوحميدة وتعلّم الفرنسية في مدرسة "محمّد الصالح بوزيدي ثمّ واصل دراسته في براقي إلى نهاية 1959 ثمّ انخرط في التمهين .
- تابع دراسته كعصاميّ في البليدة فحظي بقسط وفير من اللغة العربية بفضل أستاذه وصديقه الوفيّ أطال الله في عمره وألبسه ثوب الصّحّة والعافية الأستاذ عبد القادر وشن ثمّ رافقه في مادة الأدب العربي الأستاذ المصري الأزهري محمّد غنيم أستاذ سابق في المعهد الإسلامي .
- بعد حصوله على شهادة التعليم المتوسّط انخرط في سلك التعليم الإبتدائي لمدّة عشرين سنة 1973/1993, حاصل على شهادة الكفاءة التربوية, ثمّ مارس التعليم الحرّ لمدّة اثنتي عشرة سنة .
- شارك في مظاهرة 11 ديسمبر 1960 على الرغم من حداثة سنّه وكانت له مواقف ثوريّة متأسّيّاً بنهج والده الثوري .
- انخرط في شبيبة جبهة التحرير الوطني وشارك في العديد من نشاطاتها الثقافية والمهرجانات الدولية بالعاصمة كالمهرجان الإفريقي وحملات التشجير سنة 1963 إلى منتصف 1964, ناضل في الحزب من 1965 إلى نهاية 1992.
- عمل في مستشفى "فرانتزفانون" بالبليدة 1966 ثم انتقل إلى مستشفى قضي بكير غارداية.
- أسس جمعية الوحدة الثقافية سنة 1978, فأشرف على عدة نشاطات ثقافية وتربوية واجتماعية وأنشأ لها ناديا ثقافيا لمواصلة رسالة والده وما فتيء كذلك إلى هذه الساعة من نهاية سنة 2021 على الرغم من تقدّمه في السن.